بسم الله الرحمن
الرحيم

التوحيد الأعظم

المبلغ من لا يعلم إلى رتبة من يعلم

سلسلة الصفاء

التوحيد الأعظم

المبلغ من لا يعلم إلى رتبة من يعلم

للعارف بالله

الشيخ أحمد بن علوان

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م
الطبعة الثانية ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
طبعة منقحة ومصححة

تقديم:

الحمد لله وعليه نعتمد وإليه نستند، والله أفضل من حُمد، وكل خلقه منه تستمد.

وصلى الله على سيدنا محمد سيد الوجود، وعلى آله وصحبه الركع السجود، أهل المكارم والجود.

وبعد:

فإن مؤلفات سيدي أبي الحسن، سيد اليمن الجنيد الثاني، أحمد بن علوان اليماني، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، من أكثر الكتب المؤلفة في عقيدة أهل السنة السنية فائدة، والتي ينبغي أن يحرص على اقتنائها ودراستها ومطالعتها مريدو السعادة في الدارين...

وكان قد ذكر لي الولد عبد العزيز سلطان المنصوب، عزمه على إخراج هذا الكتاب النفيس، وكذلك بقية ذخائر السيد الصفي أحمد بن علوان، معتمداً بعد الله تعالى على توفر نسخ قديمة عثر عليها، وذلك لإخراج نسخة سليمة وصحيحة خالية من الأخطاء والإضافات التي يمكن أن تكون قد حدثت نتيجة تداول الكتاب، ونقل نسخه خلال المدة الزمنية التي تفصل بيننا وبين زمن كتابته قدر الإمكان...

ولقد باركت هذه الفكرة وأملي من الله سبحانه وتعالى أن يوفقه لإنجاز هذا العمل الخير والممتاز.

كما أني قد اطلعت على ما أنجزه ووجدت سلامة عمله وصوابه.

والحمد لله رب العالمين بدءاً وختاماً.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

إبراهيم بن عمر بن عقيل
مفتي لواء تعز
الاثنين ٣ رجب ١٤١٠هـ

٢٩ يناير ١٩٩٠م

شكر وثناء

إلى السيدين الفاضلين:

الشيخ إبراهيم بن عمر بن عقيل،

والشيخ عبد الباري محمد السروري.

أتقدم بالشكر الجزيل للتوجيه والدعم المعنوي الذي كان له الأثر الممتاز في إخراج هذا الكتاب.

ع. س.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

تتميز هذه الأيام بظاهرة إحياء للتراث اليمني الأصيل، وإزالة الغبار الذي تراكم عليه وحجبه عن أداء دوره الفاعل، ومن ثم المساهمة في النهوض بالمستوى الفكري لأبناء هذا الوطن والإنسانية عموما.

ولقد كان الظن السائد عند أكثر الناس أن الإنسان اليمني في فترات التاريخ السابقة، كان شحيحاً في عطائه الفكري، وغلب عليه طابع الجهالة والتخلف وعدم المساهمة في الركب الثقافي الإنساني، أخذاً وعطاء.

وساعد على استقرار هذا الظن بروز أعداد كثيرة من مؤلفات الكتاب والمؤرخين والأدباء والعلماء في البلاد العربية والإسلامية، عاشوا خلال عهود التاريخ الزاهر، ثم انتشار هذه المؤلفات ليجد القارئ انعدام أي اسم من أبناء اليمن -غالباً- بين مؤلفي هذه الكتب والموسوعات.

ربما نعيد هذا -بعد أن اتضحت الصورة الآن- إلى عدد من العوامل أهمها:

- السياج الذي كان مفروضاً على هذه البلاد من قبل النظام الملكي البائد بحيث كان يصعب الاحتكاك مع الغير والاستفادة مما لديهم وتقليدهم ومحاكاتهم فيما هم عليه.
- ثم الفقر الذي كان مخيماً أيضاً في هذه الأرض، مما صرف الهموم عن التفكير عن ما سوى تأمين لقمة العيش الضرورية.

ولقد هيأ الله الظروف الآن للنظر فيما حولنا، والاستفادة من تجارب غيرنا، فلمسنا الجهود الممتازة لمركز الدراسات والبحوث اليمني، ووزارة الإعلام والثقافة،

وأيضاً للقاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي، والأستاذ عبد الله محمد الحبشي، الذين كان لهم السبق في إخراج عدد من المؤلفات لكتاب ومؤرخين يمنيين خلال العهود الماضية، ولفتوا -بذلك- الأنظار إلى أن الآباء والأجداد لم يكونوا يوماً في هامش التاريخ، بل إنهم أثّروا وتأثروا بما يجري في أوساطهم وفي ما حولهم وكتبوا وصَنّفوا في عدد كبير من الفنون.

وإذا كان تركيز الأستاذين الأكوع والحبشي على تحقيق وإخراج كتب التاريخ، فإن المتابعة لما قد أخرجاه، تبين لنا كيف أن هذه الكتابات قد اتسمت بالشمولية وكتابة التفاصيل التي ربما لم تحدث في أكثر البلدان.

فهذه الكتابات تكاد تكون حلقة متصلة بعضها ببعض، بحيث نجد كاتباً لكل عصر تقريباً، يلخص ما كتبه سلفه ثم يتوسع بذكر أحداث التاريخ اللاحقة لذلك السلف إلى عهده هو، وبعد وفاته بمدة قليلة يبرز كاتب آخر ليقوم بنفس دور سابقه، وهكذا.. بحيث نستطيع القول: إن هذه الكتابات التي تم إخراجها، والكتابات المتوقع بروزها كذلك، سوف تعطينا حصيلة من المعلومات تمنح صاحبها فهماً كبيراً، وربما يكون كافياً للحكم على تلك العصور التاريخية واستخلاص النتائج المتوخاة من هذه الإطلالة عليها.

كذلك فإن هذه الكتب التي انتعشت من مخابئها لم تقتصر على تاريخ بلادنا السياسي العام، وإنما تحمل أيضاً في طياها تاريخ أعداد كثيرة من رجال السياسة والعلم والفكر والأدب.. الخ، مما يمنح المطل عليها ثقة كبيرة وهو يتابع تراجم هذه الجموع، بصلابة وعمق جذوره وقوة ثباته، ومن ثم تتضح له مسؤوليته الجسيمة كابن لهؤلاء العمالقة وثمرة لهم ينبغي أن تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

لا نشك أن القارئ سوف يدهش كثيراً عند مطالعته لتراجم هؤلاء القادة عندما يجد مساهماتهم الفكرية وأسماء مؤلفاتهم التي كتبوها وهي كثيرة ومتنوعة وموسوعية، وأنه بمقدار هذه الدهشة سوف يتألم إذ يجدها مخزونة على هيئتها كمخطوطات وربما في خزانات أفراد لم يقدروها كما ينبغي، ولم يعطوها الاهتمام

اللائق بها، أو أنها محفوظة في مكتبات دول أوروبية أو أمريكية وليس لبلادنا منها شيء، أو أنها مفقودة ولم يبق منها إلا اسمها الذي عثر عليه في هذا الكتاب أو ذاك[1].

وإذا كانت جامعة صنعاء والهيئة العامة للآثار ودور الكتب تعطيان في الوقت الراهن أهمية كبيرة لمسألة جمع المخطوطات وتصويرها وحفظها لديهما وتوفير وسائل الحفظ والصيانة المطلوبة لذلك، فإن هذا أمر يبعث على الاطمئنان لمستقبل هذه المخطوطات، كما أنه ليس بمستغرب منهما وخاصة أن على رأس هاتين المؤسستين العلميتين اثنين من خيرة الرجال الذين يقدرون العلم ورجاله، وهما: الدكتور عبد العزيز المقالح والقاضي إسماعيل الأكوع.

والأمل كبير في نجاح جهود حفظ التراث هذه بحيث تعقبها عملية تشجيع وتسهيل لعمليات البحث والتحقيق لإخراج هذه الكتب إلى صدور الرجال.

وإذا كنا نقدم اليوم أحد روائع تراثنا الأصيل، بعد أن قطع رحلة طويلة منذ تأليفه في منتصف القرن السابع حتى وصل إلينا الآن وقد بلغ من العمر سبعة قرون ونصف، نَسَخه القراء والمحبون خلالها، وانتشر بين أوساط المثقفين عموما، والصوفية على وجه الخصوص، باعتباره واحدا من أهم دعائم الفهم الصوفي للفكر الإسلامي التوحيدي الحنيفي الذي لا تشوبه شائبة، وهو كتاب: (التوحيد الأعظم) للشيخ الولي أحمد بن علوان قدس الله سره، والذي نرجو أن يكون الكتاب الأول في سلسلة كتب الشيخ التي ننوي إصدارها، فإن هذا التوفيق من المولى جل وعلا يدعونا إلى الشكر لله على نعمه والابتهال إليه لنيل رضاه آجلاً وعاجلاً وفي كل حين.

ودواعي الاعتزاز والارتياح من تقديم وإخراج هذا الكتاب تتأتى لما يلي:

١- إن موضوع هذا الكتاب هو من الأهمية التي تجعله يعتبر إضافة جديدة للفكر الإسلامي باعتباره يعالج قضية التوحيد التي شغلت -وما زالت تشغل- حيزا

---

[1] للشهادة على ذلك انظر كتاب مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لتتبين ما استطاع أن يجمعه كاتبه الأستاذ عبد الله الحبشي من أسماء المؤلفات للكتاب والمفكرين اليمنيين في مختلف المجالات.

كبيرا من الفكر الإنساني عموما، وكونها كانت المحور الذي بعثت الأنبياء وأرسلت الرسل لإصلاح خلله في المجتمعات البشرية سواء في أزمانهم أو في مستقبل الزمان.

وميزة هذا الكتاب الذي بين أيدينا أنه لم يكن مكررا في منهجه وتناوله لهذا الموضوع الحساس، وإنما أسهم بالجديد من حيث الأسلوب والمدخل والطريقة والنتائج، ولا نشك أن القارئ سيجد متعة حقيقية وهو يجول في روابيه وروضاته، ولا بد أن يحصل على كل جديد في كل موضوع يطّلع عليه، إن لم يكن في كل صفحة من صفحاته.

كذلك فإن نطاق الاستفادة سيتجاوز المهتمين بالأمور الدينية ليشمل أيضا المهتمين بالدراسات الأدبية والبلاغية.. الخ.

٢- إن مؤلفه هو (ابن علوان)، ولا يحتاج الشيخ أحمد بن علوان إلى تعريف، إذ لا يجهله أحد من أبناء اليمن على وجه الخصوص، واسمه لا يزال يتردد على ألسنتهم صغاراً وكباراً على مر الأجيال، ولا تزيده القرون والأعوام إلا لمعاناً وتألقاً.

وكما نجد أن لكل بلد شعارها الوطني وعلمها الوطني الذي تتميز به عن غيرها، نجد أن عددا من البلاد أيضا لها رمزها في الولاية الذي تميّز عن أقرانه، ثم عمّقته السنون في ذاكرة الأجيال حتى صار اسمه هو البارز دوماً عند ذكر أقطاب التصوف والولاية.

وهكذا نجد حجة الإسلام الإمام أبا حامد الغزالي هو الأبرز عند ذكر بلاد فارس، والشيخ جلال الدين الرومي في أفغانستان وتركيا، والشيخ عبد القادر الجيلاني عند ذكر العراق، والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي عند ذكر دمشق أو الأندلس- باعتبار أن مولده في الأندلس ووفاته بدمشق- والإمام أبا الحسن الشاذلي عند ذكر مصر وتونس، و أبا مدين الغوث عند ذكر المغرب، وفي اليمن فإن الأبرز هو الشيخ أحمد بن علوان نفعنا الله به وبهم أجمعين.

٣- وربما أضفنا دافعا ثالثا وهو دافع ذاتي تحكمه علاقة القــربى والنــسب التي تربطنا بشيخنا الجليل، فيكون هذا العمل أحد عوامل البر التي تــستلزمها هــذه العلاقة من الأبناء للآباء.

ولقد مهدنا للكتاب بترجمة- أرجو أن تكون مناسبة- لــسيدي الــشيخ، ثم أردفنا الكتاب ببعض الفهارس بهدف توضيح بعض الأمور التي قد يحتاجها الباحــث والمطلع، ثم لا ندعي بعد ذلك أنا قد أوفينا الكتاب ما يستحقه من العناية.

فأما ما كان من العمل سليماً وصواباً فمن توفيق الله وعنايته، وإن وجــدت أخطاء -وأرجو أن لا توجد- فإنما يعود ذلك إلي، وحسبي أن ذلك لم يكن مقــصوداً مني، فأستمد لذلك المغفرة والعفو من الله العلي العظيم.

وأخيرا:

أكتب هذه الأسطر الأخيرة صبيحة يوم الخميس ٢٠ رجب ١٤١٠ هـــ، وهذا التاريخ له أهمية خاصة في بحثنا هذا، ففيه انتقل الشيخ إلى جــوار ربــه منــذ ٧٤٥ سنة تماما.

وقبل ثلاثة أيام حدثت لي قصة عجيبة..

فلقد كنت مواصلا القيام بعمل آخر، ثم انسدت الأبواب أمامي فجــأة، ولم أتمكن من الاستمرار في ذلك العمل نهائيا رغم محاولات الخــروج بحــل مــن هــذا الموقف، فتركزت الهمة عندئذ نحو إنجاز إعداد هذا الكتاب الذي لم يتبق منــه ســوى ما يحتاج إلى يومين أو ثلاثة أيام، وفور مباشرتي للعمل تذكرت أن هذه المــدة الباقيــة تنتهي تماما عند هذه المناسبة!!

فكان سروري وابتهاجي بذلك كبيرا لا تساويه إلا دهشتي لهــذا التوافــق العجيب، وإن كانت حِدّتها قد خَفّت بعد ذلك طالما وأحد أطرافها الشيخ الولي أحمــد بن علوان.

فشمرت السعي معتمدا على الله لإنجازه دون إبطاء، وانتهيت منه تمامــا في ليلة الذكرى.

إنني هنا أتذكر مرثيته في سيدي الشيخ (عمر الطيار) حين قال:

ونعاك أهل الحس مـــت ولم تمـــت بل طرت عـــن بـــشريك العـــواق

فيا ليتني أستطيع أن أقول له مثل ما قال لسيدي الشيخ الطيار:

أقول له إنك يا سيدي لم تمت ليلة ٢٠ رجب وإنما بعثت في هـــذه الليلـــة، وإذا كنت قد غبت حساً فإنما لكي تحيا في أعماقنا حياة الانطلاق التي تتجاوز حدود المكان والزمان، وما إنجاز كتابك في هذا التاريخ بالذات إلا أحد مظاهر هذه الحيـــاة الروحية الخلاقة...

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الشيخ الولي صفي الدين أحمد بن علوان
قدس الله روحه

سنحاول في هذه الترجمة أن نستفيد قدر الإمكان من كل ما كتبه المؤرخون اليمنيون في عصره وفي العصور التالية له.. بحيث نعطي الأولوية عمن نأخذ عنهم لمن كان أقرب عهدا إليه، ثم الذي يليه، وهكذا.. وذلك ليتسنى لنا الإلمام بطرف عنه وعن حياته من خلال شهود قرب لزمانه، وأول الشهود هو: القاضي البهاء الجندي صاحب كتاب (السلوك) والذي توفي عام ٧٣٢ هـ (أي بعد ٦٧ سنة فقط من وفاة الشيخ رحمهما الله).

التعريف بالشيخ:

هو القطب الرباني والغوث الصمداني، تاج الأصفياء، نقطة بيكار الأولياء، بحر الحقائق الربانية، ومعدن الحقائق العرفانية، مولانا وسيدنا وبركتنا وعمدتنا، صفي الدين أحمد بن علوان[١].

أما أهم ألقابه في زمانه فهو لقب (جوزي اليمن) نسبة إلى أحد مشاهير علماء الإسلام: ابن الجوزي، في حين انتشر بعد ذلك وذاع لقب (أبو يزيد المعاني) و (الجنيد الثاني) نسبة إلى اثنين من أشهر أئمة الصوفية في التاريخ الإسلامي هما أبو يزيد البسطامي، وأبو القاسم الجنيد البغدادي اللذين عاشا في بغداد في القرن الثالث الهجري، ولقد كان اختيار هذه الألقاب للدلالة على مقامه المنيف.

---

[١] الإحسان: ص ١٤١.

والده:

أورد كتاب السلوك نبذة مختصرة عنه ونصها:

«... وأما علوان الذي دخل البيان[1] بخطه العراق... كان أصله من بلد على قرب من رأس نقيل صيد[2] يعرف بخاو[3]، وكان كاتب إنشاء الملك المسعود بن الكامل، وحكي أنه سافر معه [إلى حجة فحصل حرب، ثم كان هذا علوان تحت جبل فانقطع من الجبل كسف وقع عليه وهو راكب بغلته] وكان آخر العهد بهما، وكان أيام الخدمة يسكن المعافر، موضع من نواحي جبل ذخر يعرف بذي الجنان، ولم أقف له [لوفاته]، على تاريخ، وولده أحمد بن علوان الصوفي...»[4].

ونقلت الكتب التاريخية اللاحقة له عنه هذا التعريف.. (في حين تشير بعض الكتابات المتأخرة نوعا ما إلى أن منطقته الأولى هي ثلا..).

وقد نفهم أن عمله هذا (كاتب إنشاء الملك) يماثل عمل: مدير المكتب... فيكون قريباً جداً من الملك، ولا بد أنه كان يتميز بمواصفات عليا جعلته جديراً بشغل هذا العمل.

وإذا كان المؤرخ الجندي لم يعلم تاريخه كما ذكر، نظراً لحرصه على نقل الأحداث كما علمها دون الاعتماد على التحليل والاستنباط باعتبار أن هذا أمر خارج عن نطاق بحثه ومهمته في الكتاب، فسنحاول تتبع الأحداث للملك المسعود، ومعرفة زمن ذهابه إلى حجه، لمعرفة تاريخ وفاة كاتب الإنشاء علوان، وأهمية ذلك

---

[1] البيان هو المؤلف الكبير الذي ألفه الإمام يحيى بن أبي الخير (٤٨٩هـ- ٥٥٨هـ) في الفقه الشافعي وهو مكون من عشرة مجلدات موجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥) فقه شافعي، وفيه قال الإمام ابن عجيل «لولا البيان ما وسعني اليمن».

[2] يسمى هذا النقيل اليوم: نقيل سمارة، وهو يقع في منتصف المسافة بين مدينتي إب وذمار.

[3] مازالت خاو تحمل هذا الإسم إلى اليوم، وهي قرية كبيرة جنوب مدينة يريم.

[4] السلوك ج/١ص٣٤٩ أو المخطوط رقم (٢٤٩٦) ص ١٠٧ ورقم (٢٤٩٧) ص ١٥٨، والفقرة التي بين القوسين [ ] سقطت من النسخة المطبوعة.

ستتضح لنا فيما بعد.

معلوم أن الملك المسعود بن الكامل هو آخر ملوك بني أيوب باليمن حيث كان وصوله من مصر إلى زبيد الثاني من محرم من عام (٦١٢هـ)[١]، واسمه «إقسيس»، «وكان في سن البلوغ»[٢]، ثم كان طلوعه تعز يوم: الأحد عاشر صفر من عام (٦١٢هـ)، واستولى على اليمن بأسره من التاريخ المذكور[٣].

ومن خلال رصد تحركات الملك المسعود في اليمن نجد أنه كان قد توغل في تحركه في شمال اليمن، لأول مرة في رجب من عام ٦١٧هـ حيث حاصر حصن بُكُر، وهو الحصن الذي يحاذي جبل كوكبان ويطل على مركز الطويلة[٤]، بعد أن كانت صنعاء هي أقصى محطاته من قبل، وظل يحاصر هذا الحصن تسعة أشهر إلى أن تسلمه في شهر ربيع الأول ٦١٨هـ[٥]، وعاد بعده إلى تعز ثم إلى زبيد.

وفي محرم ٦١٩هـ سار من زبيد إلى مكة المشرفة قاصدا لقتال حسن بن قتادة [شريف مكة]، فدخلها بالسيف في شهر ربيع الأول ٦١٩ هـ[٦]، ثم رجع من مكة إلى زبيد في جمادى الآخرة من نفس العام، ثم تقدم إلى مصر في النصف الثاني من شهر رمضان عام ٦٢٠هـ، ولم يعلم عنه أنه مر على المناطق الشمالية غير هاتين المرتين:

الأولى عند حصاره، ومن ثم تسلمه لحصن بكر في المحويت في عامي ٦١٧، ٦١٨ هـ، والثانية عند توجهه إلى مكة حيث نحتمل مروره في بعض جبال حجة في النصف الأول من عام ٦١٩هـ، وبالتالي فإننا نتوقع أن تكون وفاة علوان والد الشيخ أحمد بين هذين التاريخين: (رجب ٦١٧هـ، جمادى الآخرة ٦١٩هـ).

---

[١] العسجد المسبوك، ص١٨١.

[٢] بهجة الزمن، ص ٨٢.

[٣] العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٤٠.

[٤] معجم القبائل والبلدان اليمنية، ص ٨٣.

[٥] بهجة الزمن ص ٨٤.

[٦] بهجة الزمن، ص ٨٤، والعسجد المسبوك، ص ١٨٣.

والدة الشيخ:

ليس لدينا علم كاف حول والدة الشيخ سوى إشارة في مخطوط وجدناه بخزانة الوقف بالجامع الكبير بصنعاء وهي برقم (١٥١٣)[١] كتبها محمد بن عبد الله بن محمد أبي علامة المؤيدي، أنه وجد في بعض الكتب القديمة -وهي تخص الشيخ الإمام الصديق الخاص الزبيدي- حول نسب الشيخ (سنذكره في حينه) أنه وجد فيها أيضاً ما لفظه: «والدة سيدي الشيخ الشريف الحسيب النسيب صفي الدين أحمد بن علوان، عادت بركاته، الشريفة الفاضلة سيدة الحور بنت السيد أبو بكر بن علي الأهدل، ذكر ذلك في تاريخ (براصح)، نقلت ذلك عن إملاء الفقيه الأفضل علي بن سعيد قيّم التربة المباركة في ضريح الشيخ سلمان صاحب الحبيل، بتاريخ شهر صفر سنة ١٠٧١هـ والله أعلم».

ومعلوم الآن لمن يزور قرية عقاقة الواقعة في عزلة الضباب في ناحية صبر، وهي قرية مجاورة لقرية الحبيل (حبيل سلمان)، فإنه سيهتدي بسهولة إلى قبر (ست الحور) والدة الشيخ الجليل أحمد بن علوان، وهو ما يفسر لنا أن المنقول عنه هو قيم التربة المباركة في ضريح الشيخ سلمان. ولقد تكرر نفس الأمر معي من قيم هذه التربة المباركة الآن علي ناجي حيث أفادنا بوجود ضريحها في قرية عقاقة المجاورة لقرية الحبيل، ومع ذلك فإننا نتحفظ في كونها ابنة السيد أبو بكر بن علي الأهدل، ونحتمل أنها تكون شقيقته، وذلك لسبب بسيط هو أن الشيخ أبا بكر بن علي الأهدل من مواليد ٥٨٥ هـ تقريباً، وهي نفس فترة ميلاد الشيخ أحمد بن علوان، وأما وفاة والده فقد كانت عام ٥٩٠ هـ، حسب رواية النسخة القديمة من مخطوطتي السلوك التي اعتمدها القاضي محمد بن علي الأكوع في تحقيقه لهذا الكتاب، وهي الرواية الأصح من خلال تحليل وقائع الأحداث، ومن خلال أقوال بقية الكتب التاريخية الأخرى، مما يرجح كون أن شقيقته هي والدة الشيخ وليست ابنته.

---

[١] أثبتت صورة هذا المخطوط ص(٧٠)، (٧١).

نسبه:

تتزين جميع المخطوطات التي عثرنا عليها بحلية النسب الشريف الآتي بيانه للشيخ، ويندر أن تجد نسخة ليس فيها هذا النسب، وسنعمل على استجلاء هذا النسب من خلال رصد شهادة العلماء الأعلام أولاً.

فقد ذكر سيدي الشيخ إبراهيم بن عمر بن عقيل بارك الله بحياته في تحقيق أملاه يوم الثلاثاء٢٦ من صفر١٣٨٩هـ:

«أن هذا النسب قد أورده كذلك جماعة من أكابر علماء الأمة، وأساطين العلم والاستقامة، منهم الحبيب الشهير والعلم المنير علي بن الحسن بن عبد الله العطاس باعلوي في كتابه (المقصد في أخبار المشهد)، ومنهم الشريف المنيف العلامة أبو بكر بن علي بن هادي مصلح الحسني من أشراف سردد في كتابه (تحفة الأحباب وتذكرة أولي الألباب)، وفي كتابه (الأسرار الباهرة فيمن لهم الشفاعة في الدنيا والآخرة)، وفي كتابه (إحياء الميت من كرامات أهل البيت)»..

وتشير مخطوطة الوقف الآنفة الذكر إلى نسب الشيخ بما يلي[1]:

«بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وجدت في بعض الكتب القديمة ما لفظه:

فائدة أخرى في نسب سيدنا ومولانا الشيخ الكبير والولي الشهير صفي الدين أحمد بن علوان نفع الله به آمين.

وجد في كتب الشيخ الإمام الصديق الخاص الزبيدي من إملاء الشيخ (الفارابي المكي) في نسب شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة صفي الدين أحمد بن علوان بن عطاف...» (ثم أورد النسب كما سيأتي).

إلى أن قال.. «ووجدت فيه أيضا ما لفظه:

---

[1] المرجع السابق.

وجدت ما هذا مثاله بخط مولانا السيد العلامة جمال الدين محمد بن أحمد بن عنقاء المكي متع الله بحياته:

هذا نسب سيدي الشيخ سلطان اليمن أحمد بن علوان اليفرسي عادت بركته، ومن خطه نقلت هو السيد الشريف:

«أبو الحسن صفي الدين أحمد بن علوان بن عطاف بن يوسف بن مطاعن بن عبد الكريم بن حسن بن إبراهيم بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ومحمد بن عنقاء الذي نقل عنه صاحب الروايتين الأخيرتين، والذي ذكر أنه نقل الرواية الثانية منهما من خط الشيخ أحمد بن علوان نفسه هو كما وصفه المؤرخ محيي الدين العيدروسي: «الشيخ الإمام والحبر الهمام، الرحالة المحقق، المعمر العلامة جمال الدين محمد بن الصديق الخاص الحنفي الزبيدي، وكان من كبار علماء زبيد، وأعيان المدرسين بها، وبقية المفتين على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة بقطر اليمن، وبالجملة فإنه كان ليس له نظير في زمانه ولم يخلف بعده مثله، وكان الباشوات[1] فمن دونهم يعظمونه جدا، ويقبلون كلامه ولا يردون شفاعته غالبا رحمه الله تعالى.. توفي عصر يوم الأربعاء رابع شهر شعبان سنة ٩٩٦ هـ ودفن بباب سهام.. وعمره نحو التسعين»[2].

تاريخ ولادته ووفاته:

ليس لدينا ما يفيدنا عن تاريخ مولده بشكل مقبول، رغم محاولة بعض المتأخرين الذين نسخوا بعض مخطوطات كتبه في العقود الأخيرة، في ذكر أن مولده

[1] الباشوات جمع «باشا» وهي كلمة تركية تدل على الألقاب الرسمية التي كانت مستعملة في تركيا والبلدان العربية، وكان يمنح للعسكريين ولكبار الموظفين المدنيين من غير رجال الدين.

[2] تاريخ النور السافر، ص٤٤٣.

كان في عام ٥٣٧هـ وأنه عُمِّرَ ١١٧ عاما، بحيث تكون وفاته قد حدثت عام ٦٥٤هـ[1]، دون ذكر مصادرهم في ذلك.

وهذا بالتحديد يتناقض مع ما أجمعت عليه الكتب التاريخية اللاحقة لزمن الشيخ قدس الله سره، بأن وفاة الشيخ كانت ليلة السبت ٢٠ رجب ٦٦٥هـ.

يقول القاضي البهاء:

«وكانت وفاته ليلة السبت العشرين من رجب سنة خمس وستين وست مائة بقرية يفرس[2]، وقبره بها على باب مسجد لطيف، وهو القبر الملتصق للمسجد وعلى يسار الداخل إليه ويمين الخارج عنه»[3]. ولم يختلف أحد من المؤرخين اللاحقين له عن هذا التاريخ..

فإضافة إلى هذا الإجماع فإن التحري عن صحة كون ليلة السبت تقابل تاريخ ٢٠رجب ٦٦٥هـ يعتبر دليلا هاما كذلك[4]، وذلك أنه كثيرا ما يتم اكتشاف الأخطاء من عدم صحة المقابلة بين اليوم والتاريخ، إذ قد يقول الكاتب أنه توفي مثلا يوم كذا الموافق لتاريخ كذا، ولم تكن هناك إمكانيات في الأزمنة السابقة للتأكد من صحة المقابلة، وحيث قد توفرت هذه الإمكانية الآن فلقد أصبح الاعتماد على هذا الدليل كواحد من وسائل التثبت في صحة المعلومات أمرا منطقيا.. هذه واحدة..

والثانية إن تلك الكتب التاريخية قد أشارت إلى أنه نشأ في فترة شبابه حين كان والده كاتب إنشاء الملك المسعود بن الكامل، يقول البهاء الجندي:

---

[1] بل أشاروا إلى أن وفاته كانت ليلة السبت ٢٨صفر٦٥٤هـ، وبالتحري يتضح خطأ هذا التحديد، فإن ٢٨صفر٦٥٤هـ يقابل يوم الثلاثاء.

[2] يفرس مركز مديرية جبل حبشي (من الحجرية- محافظة تعز) وتبعد عن مدينة تعز بنحو ٢٥ كم تقريبا.

[3] السلوك، ج١، ص ٤٥٨.

[4] أنظر التوفيقات الإلهامية ج١، (سنة ٦٦٥هـ)، وهذا التاريخ يقابل ١٦أبريل ١٢٦٧م.

- «نشأ بموضع يعرف بذي الجنان من جبل ذَخِرْ[1]، ولم يزل على ثروة ورعونة على ما جرت عليه أولاد الكتاب والمتنعمين بقرب الدَولة»[2].

ولما كان المسعود كما تبين لنا سابقا قد جاء إلى اليمن عام ٦١٢هـ، واستمر حكمه حتى ٦٢٦هـ، وكانت وفاة والد الشيخ بين عامي ٦١٧ و ٦١٩هـ، فتكون هذه الحقبة الزمنية هي السنوات التي نشأ فيها الشيخ وترعرع وتلقى فيها تعليمه ودروسه، ولو كان ميلاده فعلا في عام ٥٣٧ هـ فإن فترة المسعود بن الكامل كانت ستأتي وعمره ٧٥ سنة إلى ٨٧ سنة، ووالده لا بد أن يكون كذلك قد تجاوز المائة عام، وهو مما يتنافى وكونه كان كاتب إنشاء للملك وهو في هذا السن، إضافة إلى تعذر ركوبه الخيل كما قد مر، والسفر مع الملك والاشتراك في الحرب... الخ.

ولنا كنتيجة لذلك أن نفترض أن وفاة والده كانت وهو في سن العشرين أو دونها بقليل باعتبار أنها حدثت وهو في ريعان شبابه كما يستفاد من الرواية السابقة.

فيكون ميلاده المفترض قبل أو بعد عام ٦٠٠هـ بسنوات قليلة، ويكون قد عُمِّر ما بين ٦٢ إلى ٦٨ عاماً تقريبا.

مكان ولادته:

يخبرنا القاضي البهاء الجندي أن مولد الشيخ في «موضع يقال له ذي الجنان من جبل ذخر»[3]، في حين يذكر الخزرجي -وهو بعد القاضي الجندي بثمانين عاما تقريبا- أن مولد الشيخ في قرية عقاقة من ناحية صبر[4].

وذو الجنان (جمع جَنّة)؛ قرية صغيرة شرقي جبل حبشي في عزلة بني عيسى، وتشتهر المنطقة بكثرة العيون المائية التي تتجمع في سائلة الزجرة، ويوجد في القرية

[1] تغير اسم جبل ذخر وبات يعرف اليوم بـ: جبل حبشي.

[2] السلوك ج١، ص ٤٥٦.

[3] السلوك، ج١،ص٤٥٦.

[4] العقود اللؤلؤية، ج١، ص ١٤٦.

جامع يحتضن مرقد علي بن الشيخ أحمد بن علوان رحمه الله.

أما قرية عقاقة فتقع على بعد ٣-٤ كيلو مترات من وادي الضباب باتجاه مدينة تعز، وربما كان وجود ضريح والدة الشيخ أحمد بن علوان فيها هو الذي دفع بالخزرجي إلى اعتبارها مسقط رأس الشيخ، حين قال انه ولد فيها ونشأ في ذي الجنان.

زواجه وذريته:

الإشارة الوحيدة التي ذكرها المؤرخ القاضي البهاء الجندي عن زواج الشيخ هي قوله:

«ثم في آخر الأمر تأهل بامرأة من يفرس -القرية المذكورة- فسكن معها ورفض ذي الجنان، ولم يزل بها حتى توفي»[1]...

ولم يبين ما إذا كانت هذه الزوجة هي الوحيدة أم أنها كانت تالية، ثم هل هي أم أولاده أم لا.

وتعبير القاضي يحتمل أنه كان قد تزوج قبل زواجه الأخير الذي انتقل على إثره إلى يفرس وبقيت زوجته الأولى -إذا كانت ما زالت على قيد الحياة حينها- وكذلك أولاده في قريتهم ذي الجنان.

وأضاف الجندي: «وكان له ولد اسمه محمد يسكن ذا الجنان -أصل موضعهم- وكان على طريق مُرضي من طريق المسلمين إلى أن توفي مستهل شوال سنة ٧٠٥هـ»[2].

كما ذكر أن للشيخ ابنة تزوجها عبد الله بن عمر المسن ومن ذريتهما -وهم أسباط الشيخ أحمد بن علوان- كان القائمون بالأمر في الربط المنسوبة للشيخين أحمد بن علوان وعمر بن المسن.

وما زال لهذه الذرية بقية منتشرون في مناطق وجود تلك الربط والزوايا

---

[1] السلوك، ج١، ص٤٥٨.

[2] السلوك، ج١، ص٤٥٨.

سواء في ذبحان أو يفرس أو بعدان.. والمناطق المحيطة بهذه الأماكن.. وكاتب هذه السطور واحد من أفراد هذه الذرية..

وسوف نتطرق إلى كل ذلك بالتفصيل في مواضعه[١].

الظروف الاجتماعية:

إن تتبع الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة يمنحنا إمكانية جديدة للرؤية لظروف ذلك العصر مما يمكننا من تفسير عدد من الملاحظات التي تعترض سير الباحث القارئ لأي قضية حدثت فيه.

ونظراً لأن الشيخ قد عاش سنوات عمره مناصفة تقريبا بين عهدين حاكمين لليمن وهما: النصف الثاني من عهد الأيوبيين[٢]، و٣٥ عاما من بداية عهد دولة بني رسول التي بدأت رسميا عام ٦٣٠هـ (وفعليا عام ٦٢٦هـ).

فيجدر بنا ملاحظة أن عاصمة اليمن في عهد الأيوبيين كانت مدينة الجند[٣] وحصن تعز الذي يسمى اليوم قلعة القاهرة، واستمر الأمر كذلك فترة طويلة في عهد الرسوليين، إذ كانت عاصمة أثناء حكم الملك المنصور عمر بن علي رسول الذي قتل فيها عام ٦٤٧هـ، وحين تولى الحكم الملك المظفر بعد مقتل والده وهو الذي حكم اليمن حتى عام ٦٩٤هـ فإنه بقي في الجند مدة طويلة كذلك، ثم بدأ

---

[١] أنظر «الربط والزوايا العلوانية» في هذا البحث ص٤٩.

[٢] بدأ عهد الأيوبيين في اليمن عام ٥٦٩هـ وانتهى فعليا عام ٦٢٦هـ حين تولى الحكم عمر بن علي رسول نيابة عن الملك المسعود بن الكامل الأيوبي، الذي توفي في ذلك العام. إلا أنه لم يعلن الاستقلال التام عن الأيوبيين وبداية عهد دولة بني رسول الذي يعتبر هذا الملك هو مؤسسها إلا عام ٦٣٠هـ.

[٣] الجند: منطقة شرقي تعز وعلى بعد ٢٠ كيلومتر تقريبا، وأخذت هذه الأهمية لكونها تحتضن جامع الصحابي الجليل معاذ بن جبل وهو الذي بناه بأمر الرسول ﷺ حين بعثه والياً على اليمن وحدد له موقع بناء المسجد هذا.. ومن اللافت للنظر أن جميع الآثار الإسلامية التي خلفها الصحابة في مختلف البلاد الإسلامية قد لاقت اهتماما كبيرا وشيدت حولها المدن... الخ عدا هذا الأثر الكبير الذي كان لصحابي وبأمر من المصطفى صلوات الله عليه !!

تدريجيا بنقل عاصمته إلى ثعبات[1] أولا، فقام ببناء قصر له هناك وهو الذي توفي فيه.

ونعلم كذلك أن مدينة تعز لم تكن قائمة من قبل، ولم يكن معلوماً إلا حصن تعز، وقرية صغيرة اسمها عدينة تقع في قلب المدينة حاليا، وأول من بدأ اتخاذ ثعبات وهو الجزء الأعلى من مدينة تعز حاليا متنزها هو منصور بن الفضل الصليحي الذي باع أملاك وحصون الصليحيين[2] -حين كبر وضعف- إلى الداعي محمد بن سبأ عام ٥٤٧هـ، واستبقى حصن تعز وكان يتنزه في أيامه الأخيرة -التي لم تدم سوى عام واحد يقل أو يزيد شهورا- في ثعبات.

وفي مقابل الجند كان هناك المعافر وجبا..

ويقصد بالمعافر ما يكنى اليوم بالحجرية وصبر وجزء من ناحية موزع، ونواحي الحجرية هي: الوازعية والمقاطرة والشمايتين والمواسط والقبيطة والصلو وجبل حبشي، ونواحي صبر هي: المسراخ وصبر ومشرعة وحدنان، وحسب تحديد الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري: «تجمع مخلاف ذبحان والجؤة (الصلو) وجبا وصبر وذَخِر (جبل حبشي) وبرداد وصحارة والضباب والعشيش ورسيان وتباشعة»[3].

وكان مركز المعافر مدينة جبا والقرى المحيطة بها، وتحديداً هي قرى عزلة الضباب، وعزلة برداد من ناحية صبر، وعزلة بني وافي من ناحية جبل حبشي، وتشمل القرى الواقعة في الفجوة بين جبل صبر وجبل حبشي.. وقولنا مدينة مجازا لأنه لم تكن تعرف التجمعات السكانية الكبيرة في تلك الفترة، وهي إلى التسمية بالقرية الكبيرة أقرب.

وتقع هذه المدينة حسب توضيح الهمداني: «في فجوة بين جبل صبر وجبل

---

[1] ثعبات، قرية من قرى مديرية صبر الموادم، وقد اتصلت أخيرا بمدينة تعز.

[2] مؤسس الدولة الصليحية في اليمن هو الداعي علي بن محمد الصليحي، ومن أشهر ملوكها «الملكة أروى بنت أحمد الصليحي» التي اتخذت جبلة عاصمة لها وانتهت هذه الدولة بين عامي ٥٣٥- ٥٣٦هـ بعد ٩٩ سنة [طبقات فقهاء اليمن، ص١٢٤].

[3] صفة جزيرة العرب، ص ١١٧.

ذخر وطريقها في وادي الضباب، ومنها أودية ذخر وتباشعة... ومشرب الجميع من عين تنحدر من رأس جبل صبر غزيرة، يقال لها أُنف، [وتسمى اليوم حسب شرح القاضي محمد علي الأكوع: الماء الواثقي نسبة إلى الواثق أحد أمراء ملوك بني رسول]»[1].

ولما كانت جبا هي مركز وعاصمة المعافر[2] فلقد كان يقصد بالنطق بها أحيانا المعافر كلها، مثل إذا نطقت الآن «تعز» فقد يكون قصدك مدينة تعز أو ربما لواء تعز فإذا قلت مدينة جبا فإنك تقصد المركز وهذا ما قصده العلامة الهمداني: جبا وأعمالها فإنه يقصد المدينة ونواحيها، ثم إن القاضي البهاء الجندي أكد هذا المسار فهو يقول في كتابه عن يفرس ما نصه: «يفرس من نواحي بلد جبا»[3]

هذا من ناحية..

ومن ناحية أخرى فلقد كانت هذه المنطقة في تلك الفترة مركزا إشعاعيا بارزا للعلم والثقافة، ربما فاق غيره من المراكز في ذلك العصر، وهو ما دعا الجندي إلى القول: «جبا بلد مبارك خرج منها جمع من أعيان الفضلاء»[4] ثم ذكر في موضع آخر: «جبا بلد كبير خرج منها جماعة من الفقهاء وهي أكبر بلاد اليمن فقهاء ومتفقهين»[5].

وبعد هذه الإطلالة السريعة على طبيعة الحياة الاجتماعية يمكننا العودة إلى ملاحقة ترجمة حياة الشيخ الصفي قدس الله روحه.

دراسته:

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص ١٩٤.

[2] تغيرت عاصمة المعافر (الحجرية) إلى يفرس في القرن التاسع أو العاشر الهجري ثم انتقلت بعد ذلك إلى مدينة التربة (تربة الشيخ عمر المسن المشهور بالطيار) وذلك منذ عام ١٠٢٨ هـ حين أنشأ الأمير العثماني: سَفَر هذا المركز أثناء الحرب الطويلة التي دارت بين قواته وقوات الأمير علي الشرجبي وذلك بهدف السيطرة على المناطق الجبلية المحيطة [الإحسان، ص ١٨٧].

[3] السلوك، ج١، ص٣٥٧.

[4] السلوك، ج١، ص ٤٤٦.

[5] السلوك، ج١، ص ٣٥٨.

لقد نشأ الشيخ في هذه البيئة المزدهرة علميا وثقافيا وتلقى فيها علومه ودروسه.

ويبدو أن ظروف والده المعيشية ككاتب إنشاء للملك هيأت له المناخ المناسب، ليتفرغ تفرغا كاملا للدراسة في سني حياته الأولى... وهو ما أشار إليه مؤرخنا القاضي الجندي بقوله:

«ولم يزل على ثروة ورعونة على ما جرت عليه أولاد الكتاب والمتنعمين بقرب الدولة، وطلع طلوعا حسناً قارئاً كاتباً فاضلاً، تعلم الكتابة والنحو واللغة، وشعره وكلامه في التصوف يدلان على ذلك»[١].

ولقد تتلمذ[٢] شيخنا على يد أشهر فقهاء وقته وهو (أبو الخطاب عمر بن أحمد بن أسعد) المعروف بابن الحذّاء، الذي «انتهت إليه رئاسة القراءات في اليمن أجمع، وكان عظيم البركة، قلما قرأ عليه أحد إلا انتفع، وكان مسكنه قرية من قرى جبا اسمها المتفولة.. شرقي مدينة جبا، وكان صاحب كرامات كثيرة...»[٣].

الطرق الصوفية التي كانت قائمة في تلك الفترة:

من الواضح أن الريادة في تلك الفترة كانت للطريقة القادرية، نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت. عام ٥٦١هـ) قدس الله سره، وقد كان امتدادها في اليمن بواسطة رواد منهم علي الحداد[٤] الذي أسسها في تعز والمعافر، وبرز

---

[١] السلوك، ج١، ص ٤٥٦.

[٢] جاء هذا التحديد في إحدى المخطوطات التي لدينا لكتاب الفتوح نقله كاتبه واسمه علي مسعد من مقدمة كان قد كتبها الأستاذ عثمان عبد الله السوئي الأزهري.

[٣] السلوك، ج١، ص ٤٥٣.

[٤] ذكر البهاء في ج ٢ ص ١٧٦ في ترجمته للشيخ عمران الصوفي أنه كان من أعيان مشائخ الصوفية صحب علي الحداد بحق صحبته للشيخ عبد القادر الجيلاني.. ولعله هو الشربف أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد بن حديد الذي عرف بالشريف أبي الحديد،الذي استفاض في ج٢ ص١٣٥ـ١٣٧ في ذكره أصله من حضرموت من آل أبي علوي قدم مع شقيقه لزيارة مدافع الخولاني وتزوجا ابنتيه، أمر الملك المسعود بحبسه مع الشيخ

لمدرسته عدد من الذين صاروا أقطابا تدور حولهم رحى النهج الصوفي القادري، ومنهم الشيخ مدافع بن أحمد الخولاني[1]، والشيخ عثمان بن ساوح، وعمر بن المسن، وعلي الرميمة[2]، وغيرهم.

بينما كان انتشارها في منطقة تهامة على يد محمد بن سنان الحاوري، وكان من أهم خريجي هذه المدرسة الشيخ علي الأهدل وولده أبو بكر وأبو الغيث بن جميل والحكمي وآخرون..

سلوكه الطريق:

والمقصود بالطريق هو الطريق الصوفي، وقد أشار المؤرخ القاضي البهاء الجندي عن ذلك بقوله:

«ذكر بعض نقلة آثاره أنه دعته نفسه وهو شاب إلى قصد باب السلطان والتعرض للخدمة إما مكان أبيه أو غيره، فخرج من ذي الجنان وصار قاصداً باب السلطان، فلما صار بشيء من الطريق إذ بطائر أخضر قد وقع على كتفه، ثم مد منقاره إلى فيه، ففتح الشيخ فاه فصب فيه الطائر شيئا ابتلعه الشيخ، ثم عاد من فوره إلى بلده، فلزم الخلوة أربعين يوما، ثم في الحادي والأربعين خرج من المتعبد وقعد على صخرة يتعبد، فانفلقت الصخرة عن كف، وقيل له: صافح الكف. فقال: ومن أنت؟ قال له: أبو بكر، فصافح فقال له: قد نصبتك شيخا، وإلى ذلك

مدافع ونفاه معه إلى الهند، عاد إلى اليمن بعد وفاة الشيخ مدافع وسكن زبيد ثم المهجم وسافر إلى مكة وبها توفي عام ٦٢٠هـ، كان حافظ عصره، برع في علم الحديث.

[1] مدافع بن أحمد الخولاني: أصل بلده شرعب، أخذ التصوف عن الشيخ أبي الحداد بحق أخذه عن شيخ العصر عبدالقادر الجيلاني، سكن قريته الوَحِيز، زاره الملك المسعود بن الكامل حين رأى شدة إقبال الناس عليه، وصادف ذلك وقت تفرغه للذكر والعبادة التي اعتادها من بعد صلاة الفجر حتى الظهر، ولما لم يخرج الشيخ لمقابلته، أمر الملك بحبسه سبعة أشهر في حصن تعز (قلعة القاهرة)، ثم أمر بنفيه إلى الهند، إلا أن الشيخ مدافع عاد إلى مدينة ظفار التي توفي فيها في شهر شوال ٦١٨هـ. (أنظر السلوك ج/٢، ص١٣٧-١٤٠).

[2] علي بن أحمد الرميمة (تصغير رمة): صحب الشيخ مدافع الخولاني، ولزم طريق العزلة بجبل صبر، وكان شيخا مباركا، صاحب مكاشفات، توفي يوم الجمعة ٢٥رمضان ٦٦٣هـ. (السلوك ج٢ ص١٠٥).

أشار في شيء من كلامه الذي يخاطب به أصحابه حيث يقول: وشيخكم أبــو بكــر الصديق»[1].

شيوخه في التصوف:

فيما عدا ما سبق ذكره فإن المعلومات التي وصلتنا عــن حيــاة الــشيخ في مراحله الأولى على الأقل قليلة، وربما كان لإشراق نجمه الذي سطع وبرز بعدئذ أثــر كبير على اهتمام وتعلق الناس بهذا الحدث الجديد، وجهلوا أهمية رصــد مقــدمات حياته السابقة.

ثم إن الشيخ لم يكن يتحدث عن نفسه في كتابه الذى بــين يــدنا الآن أو في غيره من الكتب، وبقي تركيزه قائما في الأمور العامة التي أخذت منه كل اهتمامه.

ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتلمس مبتغانا ونعثر على بعض ما نريده من هنــا أو هناك[2].

وحول هذه المسألة فإن أول ما يطالعنا ونحن نحاول رصد أسمــاء الــشيوخ الذين تلقى تعليمه الصوفي عليهم اسم شمس الشموس أبي الغيث بن جميل -عــاش في الفترة من ٥٦٠- ٦٥١هــ، وكان مقره الأساسي في بيت عطا[3] وهي من أعمــال سردد.

وتفيد الروايات التي تتحدث عن علاقتهما بأنه كانت بينــهما مراســلات ومكاتبات، ولا شك أن هذه المراسلات والمكاتبات كانت إثر لقاءات بينهما، ويزيــد من صحة افتراضنا هذا هو كون الشيخ ابن جميل أحد مريدي الشيخ (علي الأهــدل) وهو الذي فتح له على يديه، وقد لاحظنا أن الشيخ الأهدل هو جد الشيخ أحمد بــن

---

[1] السلوك، ج١، ص ٤٥٦، أنظر ص (٣١٥) في كتاب التوحيد الأعظم وفيــه يقــول:«وإمــام خــرقتكم أبو بكر».

[2] كل ما نذكره هنا عن شيوخه إنما هو استنباط من الكلام الذي نورده بعده، وليس هناك نص صريح مما بين أيدينا يشير إلى ذلك عدا ما ذكرناه هنا.

[3] تسمى اليوم دير عطاء، وتقع شمال مدينة الحديدة بين الزيدية والقناوص.

علوان حسب الرواية المذكورة في موضعها[1]، ومعنى ذلك أن هناك مناسبات لازمة تفترض حدوث لقاءات كثيرة بينهما.

ولقد أورد القاضي الجندي أنه كانت بينهما مراسلات ومكاتبات ثم أشار إلى واحدة من هذه المراسلات بقوله:

«إن الشيخ أحمد بن علوان كتب إلى الشيخ أبي الغيث كتابا يقول فيه:

أما بعد فإني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى انتهيت مراتب الإبداع
لا باسم ليلى أستعين على السرى كلا ولا لبنى تقل شراعي

فأجابه أبو الغيث: من الفقير إلى الله تعالى أبي الغيث بن جميل، غذي نعمة الله في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرت أني:

تجلى لي الاسم القديم باسمه فاشتقت الأسماء من أسمائي
وحباني الملك المهيمن وارتضى فالأرض أرضي والسماء سمائي

يا بن علوان أبت المراهم أن تقع على جرحك حتى تقدم شراب العقاقير...

فحين وصله كتاب الشيخ، تقدم إليه والله أعلم»[2]. يقول القاضي البهاء:

«وذكروا أنه لما اجتمع بالشيخ أبي الغيث بعد مكاتبة كانت بينهما يطول ذكرها، وفاتحه الكلام وأجابه، أعجبه، وعلم أنه أعجب بذلك، قال له: أنت جوزي الوقت وأنا دورته وأخشى دورتي تكسر جوزتك »[3].

والاسم الثاني الذي نجده كواحد من ألمع شيوخ شيخنا نفعنا الله بهم، هو

---

[1] أنظر ذكر والدة الشيخ في بداية هذه الترجمة.

[2] أنظر مخطوطتي السلوك رقم ٢٤٩٧،٢٤٩٦ ص ١٣٠، ١٨٧على الترتيب.

[3] السلوك ج١، ص٤٥٦.. ولقد تعودنا من الشيخ أبي الغيث مثل هذه العبارة التي يعبر بها الصوفية عن كسر حجاب الجسد للتوغل في أعماق الروح، كقوله: «خرجت من ابن افلح لؤلؤة عجماء فثقبني الأهدل». أي فتح له على يديه.

(أبو حفص عمر بن المسن المعروف بالطيار)، وربما جاءت تسميته بالطيار من قول الشيخ أحمد بن علوان عنه في مرثيته له:

ونعاك أهل الحس مت ولم تمت ... بل طرت عن بشريك العواق

وأما وجه الاستدلال بكونه أحد الشيوخ الذين تلقى تعليمه عليهم هو كذلك ما جاء في هذه المرثية[1] بقوله:

كنا الظلام وكنت أنت سراجنا ... كنا العطاش وكنت أنت الساقي
لا بالمهيمن ولا المهين لقادم ... منا أبا حفص ولا البرّاقِ
أسست فينا الخير واستنهضتنا ... لمراتب علوية ومراقِ
وهديتنا سبلا بمن سبقتنا ... حييت من هاد ومن سبّاقِ
تحدو بنا وتشوق نحو إلهنا ... حييت من حاد ومن شوّاقِ

ولقد كانت المحصلة النهائية للعناية الإلهية بعد كل ذلك هي بروز ولمعان اسم من أعظم الأسماء في سماء الولاية في أرض اليمن سيظل حيا في ذاكرة الأجيال ومؤثرا في تفكيرها إلى ما يشاء الله...

الطريقة العلوانية:

لا توجد أي إشارة في كتب الشيخ أو في غير ذلك إلى مسمى الطريق الذي نهجه في أول أمره، وإن كان المستفاد أن روح الطريقة العلوانية -نسبة إليه- هو البارز والواضح من أول مطالعة، وهي التي شقت طريقها فيما بعد كرافد ثقافي يمد الطرق الصوفية المنتشرة في اليمن بزاد قوي من النماء، والثقة بسلامة الخطى والعمق المعرفي.

[1] أنظر النص ٢٨٠ في كتاب الفتوح.

وهنا يلزم أن نشير إلى أننا لا نستطيع أن نصف الطريقة العلوانية بنفس أوصاف الطرق الصوفية الأخرى التي لها أورادها وأذكارها المستقلة، ثم لا تشترك مع غيرها في أي من هذه الأشياء.

إنها في الحقيقة عصارة وطنية لفكر صوفي يؤهل صاحبه أن يكون مناسبا لسلوك الطريق الصوفي أيا كان مسمى النهج الذي يسير عليه.

ومن هنا نرى أنه يمكن أن يكون صوفياً شاذلياً[1] أو قادرياً الخ...، ومع ذلك يكون علوانياً في انتمائه وفهمه.

إن الطريقة العلوانية قد استطاعت أن تكون الخلفية الروحية والنفسية لجميع أتباع الطرق الصوفية من أبناء اليمن، حتى أنها أصبحت سياجاً منيعاً ينضوي تحت لوائه أبناء هذه الطرق مثلهم في ذلك مثل أبنائها المباشرين دونما تفرقة.

أصحابه ومريدوه:

لقد انتظم للشيخ –شأنه في ذلك شأن غيره من أئمة الطرق الصوفية– أتباع ومريدون، جاءوا إليه في حياته من بلاد شتى ليسلكوا على يديه، ويربيهم التربية النافعة لهم في دنياهم وأخراهم.

وذكر لنا القاضي الجندي أن الشيخ «كان كثيرا ما يرد إلى السمكر، إحدى قرى الجند، وله بها أصحاب كثيرون أدركت جماعة منهم»[2]، ثم كشف عن أحد أهم أصحاب الشيخ منهم وهو السلطان أبو العلاء السمكري[3]، وهو الذي

---

[1] شقت الطريقة الشاذلية طريقها إلى اليمن وحصلت على مكان مرموق على يد الشيخ علي بن عمر الشاذلي نزيل المخاء في بداية القرن التاسع الهجري، وكان من أصحابه الشيخ عفيف الدين عبد الله بن عمر المسن، ثم كان لظهور الشيخ حسان بن سنان (ت ١٣٢٢ هـ) في منطقة الصراهم بجبل حبشي، وذريته من بعده الفضل الكبير في نشر الطريقة الشاذلية في الآونة الأخيرة.

[2] السلوك، ج١، ص ٤٥٨.

[3] «أبو السمو العلاء بن عبد الله بن محمد بن العلا الوليدي الحميري... كان الشيخ ابن علوان يثني عليه ويوده وأجازه بجميع مقروءاته ومنظوماته ومنثوراته، ومن عجيب ما رواه عن الشيخ أحمد بن علوان (ما ذكرته) عند

كان يوجه له الشيخ كثيرا من الرسائل التي وردت سواء في كتاب التوحيد أو كتاب الفتوح دون ذكر اسمه، ويكتفي بعبارات عامة بدلا عن ذلك مثل: جواب على مسائل سائل، وغير ذلك.

كما أن من مريدي الشيخ عددا من الأسماء مثل: داؤد النساخ، وعلى بن عمر بن أحمد، ومحمد بن عمر الحضرمي، والنقيب علي بن يحيى،... وهؤلاء هم الذين علمناهم لوجود أسمائهم بكتبه حيث كان يوجه لهم رسائله الوعظية...

وذكر الشرجي الزبيدي وهو بعده بمأتي سنة تقريبا، «أنه لم يعلم لأحد من الأولياء في الجبل (لتمييزهم عن الأولياء في سهل تهامة)، أتباع أكثر من الشيخ أحمد بن علوان»[1].

وليس في هذا القول مبالغة، فلم يعلم لأي من الأولياء في اليمن، أتباع في حياته وفي مماته وإلى زمننا هذا بعد سبعة قرون ونصف، كما لسيدي الشيخ أحمد بن علوان.

إضافة إلى ذلك فلقد كان للشيخ علاقاته الممتازة مع شخصيات عامة ومسؤولة ومن مختلف البلاد، ويبدو لنا ذلك واضحا من خلال رسائله العديدة ذات الطابع الودود والمربي التي كان يوجهها لهذه الشخصيات.

ومن هؤلاء الذين وجه رسائله إليهم: الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي، والشيخ عبد الوهاب بن رشيد وآخرين، وسنعمل على ذكر ترجمة هؤلاء في كتاب الفتوح إن شاء الله.

ذكره حين سأله عن أرجى آية في القرآن، ومن عظيم ما كان بينه وبين الشيخ من الألفة أنه كان متى انقطع من الرواح إليه وصله إلى السمكر ولبث عنده أياما، وكان صاحب محفوظات وروايات من الأشعار والأخبار ماهرا بفن الأدب وعنه أخذ والدي...» [السلوك ج٢ ص٨٩].

[1] طبقات الخواص، ص ٢٤٤.

علاقته بالسلطة الحاكمة:

كان للشيخ صوته المتميز في مخاطبته للسلطة الحاكمة والتي كان يمثلها أهم اثنين من سلاطين دولة بني رسول وهما:

- الملك المنصور عمر بن علي رسول وهو مؤسس هذه الدولة.
- الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول وهو الذي تولى السلطة بعد مقتل والده الملك المنصور عام ٦٤٧هـ، ومن تتبع رسائل الشيخ إلى كلا الملكين -وهذه الرسائل موجودة في كتابي: التوحيد، والفتوح- فإنا نلمس فيهما الشجاعة في القول والنصيحة الجريئة، والمنطقية في المواجهة، الممزوجة بالاحترام للقائم بالأمر.

فهذه الرسائل ليست من تلك التي يقصد بها صاحبها الاستعراض والتظاهر وتسجيل المواقف.. وإنما نجدها تناقش بالتحليل والموضوعية مقدمات القضايا والمشاكل التي يريد الشيخ طرحها وذكرها للسلطان وأسبابها وعيوبها وآثارها المدمرة والسيئة، ومن ثم أساليب مواجهتها وأهمية المعالجة لها، والتذكير بوعد الله ووعيده.

وهو في خطابه إنما ينطلق من موقف العارف والناصح والمدافع عن الحق.

كذلك فإنه لما كانت قضية الظلم تستلزم هز البنيان الظالم من جميع جوانبه، فإن الشيخ لم يغفل هذا الجانب، ونجده يرنو ببصره إلى فئة تعتبر من أهم وأخطر الفئات في المجتمع، وهي الفئة المعاونة للحاكم الظالم التي لولا وجودها لما تمكن هذا الظالم من الظلم.. فيبصرها الشيخ بخطورة عملها هذا.. ثم يحقرها في مسعاها ومآلها.. لعل ذلك يكون رادعا وزاجرا لها.. فيقول:

«وظلمتكم سيئاتكم في الدنيا، وسيئات أنفسهم في الآخرة، فاحتسبوا ما صار إليهم، ولا تكونوا على ظلم إخوانكم لهم أعوانا، فتكونوا لهم أتباعا يوم القيامة وإخوانا...».

ثم يمعن في السخرية من أعوان الظلمة، فيقول:

يا بـــايع التقـــوى بقيمـــة أكلـــة   وعصى الإله لقد ركبت الأخطـــرا
بالفلس والقـــيراط تـــصبح خالـــدا   في نار من كنـــز الكنـــوز وقنطـــرا
زقومهـــــا وحميمهـــــا وسمومهـــــا   ســـيّان بينكمـــا تقـــسم أشـــطرا
وقرنتمـــا أســـرى بغـــل واحـــد   تتلاعنـــان علـــى الإحالـــة والمـــرا
وإذا أحلـــت عليـــه قـــال لأنـــني   كنتُ الأمير وكنت أنـــت المـــؤمرا
فخرجت لا دنيا ولا أخـــرى معـــاً   انظر لنفسك قبـــل ذلـــك منظـــرا
يوم الندا يا أين من ظلـــم الـــورى   والتابعين ومـــن أمـــرَّ ومـــن بـــرا
يلقون في التابوت كي يرمـــى بهـــم   في النـــار ســـيدنا بـــذلك أخـــبرا
يـــا مـــستحلاً للمحـــارم قـــاتلا   أو ظالمـــاً أو جاحـــداً أو منكـــرا
العدل خصمك في غد فاحذر غـــدا   ما دام يمهلـــك النـــدا أن تحـــذرا
هذا أخـــوك ألـــيس ربكمـــا معـــاً   أحداً أليس نبـــيكم خـــير الـــورى
فأخذت مال أخيـــك واســـتضعفته   ماذا تقول إذا همـــا لـــك أحـــضرا
وبـــأي وجـــه في غـــد تلقاهمـــا   وقد استغاث أخوك منك وأكثـــرا
الذنب يغفـــر إن ســـلمتَ مظالمـــاً   إن المظـــالم ذنبـــها لـــن يغفـــرا

مؤلفاته:

جمع الشيخ بين منهجي التربية: التربية في الصدور، والتربية في السطور.

وتربية الصدور: هو ما بثه الشيخ من تعليمات وتوجيهات مباشرة لأصحابه الذين عاشوا معه وتلقوا عنه.

وتربية السطور: هو ما سطره الشيخ في كتبه التي أكثر الناس مـــن نـــسخها وتداولها.. منذ ذلك التاريخ وإلى الآن..

يقول القاضي البهاء:

«وكان كثيرا ما يرد إلى السمكر، إحدى قرى الجند، ولـه بها أصحاب كثيرون أدركت جماعة منهم، وبالقرية كتاب فيه معظم كلامه»[1].

وأورد القاضي مقتطفات من وعظه وإرشاده من كلا كتابيه التوحيد، والفتوح، وسنشير إلى ذلك في موضعه..

إن مؤلفات الشيخ المعلومات لنا الآن والتي قمنا بتحقيقها – عدا الخطب المنبرية، هي:

١. التوحيد الأعظم المبلغ من لا يعلم إلى رتبة من يعلم.
٢. كتاب الفتوح الفائق الحاوي للمعاني الرقائق والإشارات الدقائق.
٣. البحر المشكل الغريب.
٤. المهرجان.
٥. مجموعة خطب منبرية.
٦. رسالة «الكبريت الأحمر».

وفي إشارة في مقدمة إحدى المخطوطات التي بأيدينا ذكر كاتبها واسمه علي مسعد أن للشيخ كتبا أخرى كذلك وهي:

١. قاموس الحقائق.
٢. كنز العرش.
٣. البحر المحيط.
٤. وداع لرمضان.

ولم يتيسر لنا التأكد من ذلك أو العثور على أي من هذه الكتب.

كذلك أخبرني سيدي الفاضل الشيخ إبراهيم بن عمر بن عقيل أن شخصا

[1] السلوك، ج١، ص ٤٥٨.

من منطقة السواء بالحجرية أخبره أنه كان قد أهدى الإمام أحمد قبـل خمسين سنة تقريبا نحو سبعين رسالة من رسائل الشيخ أحمد بن علوان...

منهجه التربوي والتوجيهي:

لقد نبغ الشيخ بدراسته في مختلف مجالات العلوم الدينية والأدبية حتى تمكن من أن يجعلها قاعدة انطلق منها فيما بعد لمخاطبة الآخرين بتلك القوة والسلاسة في التعبير الذي لم يقف عند واحدة من وسيلتي التعبير: النثر أو الشعر، وإنما استطاع أن يمتطيهما معا، ويعرج بهما في معامع الدروب المختلفة، وبدورهما فلقد أسلما له القياد، وأطاعاه فيما أراد.

والمتتبع لكتابات الشيخ النثرية والشعرية يلمس هذا منذ أول وهلة يقرأ له فيها.. وسوف يلحظ كذلك أن تلك المقدرة الفائقة في التعبير تتميز أيضا بترتيب منطقي للأفكار، بعيدا عن التكلف والصناعة المفتعلة.

وغالبا ما يعبر عن القضية التي يكون بصدد الحديث عنها بذلك النثر البليغ حتى إذا قلنا أنه لم يبق أمامه مدخل إلا وطرقه، نجده يمتطي جواد الشعر، فيصول في ميدان تلك القضية ويجول، مظهرا بدائع وعجائب لم نكن نظن أنه قد بقي منها بعد نثره لها شيء.

كما أنه قد أكثر من استخدام كلمات أعجمية وخاصة في ديوانه «الفتوح»، مما يدل على سعة اطلاعه وعمق معارفه.

ولقد لخص القاضي الجندي رأيه وإعجابه بما يلي:

«.. ثم ألقى له الحب في قلوب الناس والوجاهة، فتحكم له قوم كثير، وفي المواعظ نحا نحو ابن الجوزي، وكذلك كان يقال له: جوزي اليمن»[1].

وله في التصوف فصول كثيرة يتكلم بها على لغات شتى، فسئل بعض

---

[1] السلوك، ج١، ص ٤٥٦.

العارفين: من أين كان الشيخ يعرف تلك اللغة وهو عربي، ولم يكد يعرف له خروج من بلده، وأهلها عرب لا يعرفون غير العربية؟ فقال:

كانت روح الشيخ مهبطا لأولياء الله، ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ فينطق بها كما يقولون، والدليل على ذلك أنه كان يكتب كلامه الذي ينطق به بآلات متفرقة، ثم يستعرض ذلك فما لم يدركه غسله، وقال: كان الشيخ أشوق إلى كلامه من سامعيه، وكان متى علم أن في السامعين لكلامه من لا يفهمه قال معرضا به: يا واقفا على الماء وهو عطشان.

وسأله السلطان علاء وهو من فقهاء الأجناد [الجند] وهو من أكبر أصحابه، عن أرجى آية في القرآن. قال: قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾[1]. قال: «إذا كانت محبة الله قديما، لم يؤثِّر فيها أعراض التبغيض حديثا، وإذا كانت البغضة من الله قديما، لم يؤثر فيها أعراض التحبب حديثا، ويكفي على ذلك شاهداً معصية آدم وطاعة إبليس، فلما هبط آدم إلى أرض شقوته من منيف حصن رتبته، بمن فيه من ذر نفوس ذريته، عادت عليهم عوائد محبوبهم، فنزل إلى سماء الدنيا شوقا إلى تقريبهم، وحياء من تعذيبهم ليالي أيام الدائرة، إلى أن يطلع فجر الآخرة، ينادي كل ليلة بلسان التنبيه: هل من تائب فأقبله، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من عامل فأجزيه»[2].

وسئل[3] عن قوله ﷺ [عن ربه]: «من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن توضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني، ومن صلى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني، ومن دعاني ولم أجبه فقد جفوته، ولست برب جاف».

فقال للسائل: «معنى الخبر في الشريعة ظاهر، وهو في الحقيقة إشارة إلى أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يتهود أو يتنصر أو يتمجس أو يشرك أو يعصي،

---

[1] الإسراء: ١٧/٨٤.

[2] أنظر النص رقم ١٣٥في كتاب الفتوح.

[3] أنظر ص (٣٢٠).

وذلك هو الحدث الناقض لوضوء الفطرة، ولا طهارة من هذا الحدث إلا بماء التوبة، من توضأ من إحدى هذه النواقض بماء التوبة خرج من جفاء النقض إلى تجديد العهد، ومن صلى بعد هذا الوضوء ركعتين مقبلا على الله مقتديا برسول الله ﷺ خرج من جفاء المخالفة إلى ود المؤالفة، ومن دعا بعد هذه الصلاة خرج عن جفاء الغنى عن الله إلى ذل الافتقار إليه، فلا جرم أنه يستجاب له، ويدخل في صف الأحباب بين يدي رب الأرباب»[1].

ونحن نضيف كذلك ما يلي:

١- إن المتأمل في أسلوب كتابته وتوجيهه سيلمس عمق استيعابه لكتاب الله الكريم، ويبدو ذلك من غزارة استشهاده بآيات الكتاب وشمولية نطاق الاستشهاد بحيث يكاد أخذه أن يكون من كل أو معظم سور القرآن الكريم، ثم نجد أن لهذا الاستشهاد نكهة روحانية رائعة تدفع بالمتابع له إلى الإعجاب بهذا الفهم الجديد الذي لا بد أن يضاف إلى معارفه، وإلى الظن بأن هذه الآية إنما قد جاءت لتلك الفكرة التي ذكرها الشيخ فقط.

إن عمق التحليل والتنقل خطوة خطوة، من البداية التي يستهل بها حديثه، حتى يصل بالقارئ إلى النتيجة بسهولة ويسر، مستدلاً بالآيات الكريمة، مبيناً أحكام المحكم منها والمتشابه بأسلوب يجعل عملية فهم الانتقال -الذي كان. يبدو غير مفهوم من حكم آية إلى حكم آية أخرى- أمرا أصبح طبيعيا بل ومنطقيا. كل ذلك وهو يناقش قضايا ما زال الفكر الإنساني يقف أمامها مندهشا وحائرا في كثير من حالاته مثل مسألة الجبر والاختيار، والقضاء والقدر، والطاعة والمعصية...الخ[2].

ثم إن البساطة التي يبدأ بها الحديث لا تجعلك تشعر -وأنت تتابعه- بمراحل تنقله بك مرحلة بعد أخرى فيدفعك دفعا هينا من مواقع الانطلاق إلى آفاق عالية

---

[1] هذان النصان ذكرهما القاضي البهاء في السلوك ج ١،ص ٤٥٧,٤٥٦ وفي المخطوط (٢٤٦٦) ص ١٤٦ وفي المخطوط (٢٤٩٧) ص ٢٣٧.

[2] أنظر شرح العقيدة ص (٣٤٨) على سبيل المثال.

من العلوم والفهوم لدرجة تشعر وكأنك أنت المستكشف لها لبداهتــها.. ولا ينفــك عنك إلا وقد امتلأ وعاؤك بكل جديد مما لم يكن يخطر من قبل ذلك بالبال.

كذلك فإن استشهاده المتكرر بمرويات الأنبيــاء والــصالحين ومــضروبات الأمثال يدلنا على تشبعه من الثقافة واطلاعه الجيد الذي يهضم ما يطلع عليه هــضما واعيا يقبل فيه السليم ويرفض فيه الخطأ، وينتقد فيه كذلك ما يستحق النقــد مبينــا الوجوه التي استحق بها النقد وماذا كان ينبغي أن يكون... الخ.

٢- إن قراءة كتابات الشيخ وخاصة المنظومة منها تستلزم يقظــة وانتباهــا شديدين تمنعان صاحبهما من الفهم الخاطئ أو الفهم الذي لم يقصده الشيخ.

وتفسير ذلك ما يلي:

إن أيا منا لو فتح واحدا من معاجم اللغة العربية ونقب عن معنى أي كلمــة فيه لوجد أن لهذه الكلمة عددا من المعاني التي لا يربط بينها إلا اشــتراكها فقــط في الصورة، أما هي فتختلف مدلولاتها إلى درجة التناقض في أكثر الحالات.

فكلمة (بين) مثلا تحمل معنى البعد والفساد والعداوة، وأيضا تحمــل معــنى القرابة والنسب والصداقة ومنها ذات البين، وهي كذلك ظرفية بمعنى وسط.

ورغم هذا التشعب في تحديد معاني مفردات اللغة العربيــة إلا أن الأذن قــد اعتادت على فهم معنى واحد، في الغالب لكل من هذه المفــردات، ويعــود ذلــك بالطبع إلى قيام الكُتّاب بتكريس هذا المنهج.

ولكن كل هذا يسقط عند أول مطالعة لكتابات شيخنا العمــلاق، إنــه لا يقبل هذا الفهم الأحادي لمدلول اللغة كمثل الذي يرى الحياة أمامــه بعــين واحــدة ويغلق الأخرى، وإنما هو يبصر بالاثنتين معا: بالعينين معا، وبالبصيرتين كــذلك معــا، فلا يأخذ من الكلمة شطرها ويترك الشطر الآخر، إنه يمتص رحيق الكلمة ومــدلولها امتصاصا كاملا فيعطيها بذلك الحيوية والنشاط، فلقد أحيا منها ما أماته الآخرون.

وإذا كانت الكتابة الراقية بحاجة إلى قراءة بنفس المعيار، فلقد وقع التــصادم هنا! فلم يقابل الشيخ الكاتب بقارئ متفهم، وإنما قابله قراء لم يفهموا في الغالب مــن كلامه إلا وجها واحدا، فارتبكوا ولم يستطيعوا الصمود والمسايرة، وانقسموا عندئــذ

إلى فئات ثلاث:

الفئة الأولى: حاولت أن تواكب المسير قدر الاستطاعة فقبلت كلامه وعملت على فهم ما أمكنها منه وتوقفت عند غيره.

الفئة الثانية: عجزت عن الفهم، ولأنها تحب الشيخ وتودّه فقد استبدلت العجز بالعشق، وقبلت ما قاله حبا وتصديقا، وتغنت بأقواله وانفعلت وجدانيا له مدفوعة بذلك الحب الكامن فيها.

الفئة الثالثة: وهم الذين عجزوا عن الفهم ولم يقبلوا حالة أي من الفئتين السابقتين، ولأنها من تلك الفئة المثقفة فلقد سلّت أقلامها وراحت تغير وتبدل في كتابات الشيخ بما يتلاءم وما تعتقده صوابا، وهكذا إلى أن أحدثت تشويها في بعض النصوص أخرجها عن المقصود الذي أراده الشيخ، ظنا أنها بذلك قد خدمت الشيخ والفكر الذي يريد إيصاله للآخرين، وقد كان لديوان الفتوح نصيب الأسد من هذا التعديل ثم كتاب المهرجان...

وإذا كنا قد وضعنا بتوفيق الله أيدينا على كل أو معظم مواضع التعديل هذه وأعدنا الأمور إلى نصابها قدر الإمكان من خلال الاعتماد على نسخ قديمة كتبت قبل إجراء تلك التعديلات، فإن هذا نبهنا إلى ضرورة إثبات النصوص كما هي عليه أولا، وتنبيه القراء كذلك إلى الدواعي التي حدت بأولئك الذين قاموا بالتغيير، والذي لخصناه بما سبق؛ وهو تفاعل الشيخ مع مختلف معاني الكلمات وامتصاص رحيقها بكامله، في حين وقف الآخرون على مسافة معينة لم يدركوا منها إلا وجها واحدا من وجوه مرموزاتها.

ولذلك فإن القارئ يلزمه لكي يحصل على أكبر قدر ممكن من الفهم الذي قصده الشيخ أن يحتفظ بنسخة من أحد معاجم اللغة يعود إليه عند أكثر الكلمات إن لم نقل جميعها، ولا ينبغي أن يركن القارئ كذلك إلى الفهم السريع الذي يحصل عليه عند قراءة الكلمة أو العبارة، فربما لم يكن ذلك قصد الشيخ وإنما قد يكون قصده في المعنى الثاني أو الثالث الذي لم يعتد الناس على التعبير به.

٣- كذلك فإننا نطالع بُعداً جديداً لاستخدامات اللغة يستحدثه الشيخ

يعطي الكلمة فيه أبعاداً لم تعتدها من قبل، ويأتي بها بصورة جمالية رائعة تجعلها مقبولة منه كونها جاءت بهذه الحلة القشيبة وغير متوقعة من غيره أن تنال هذه الحظوة الكبيرة... وهي من مثل:

- باهوت- من بهت
- للكأس غاروف- من الغرف
- للزهر قاطوف- من القطف
- للمعنى كاشوف- من كشف المعنى

٤- وهناك ظاهرة جديرة بالانتباه ولافتة للنظر، وهي شرحه للكثير من الظواهر الطبيعية الكونية شرحاً علمياً سليماً في وقت لم تكن قد كشفت فيه قوانين هذه الظواهر للناس، بل كان القول بها يؤدي إلى الاتهام في أغلب الأحوال.

ولننظر فيما يلي كيف يشرح قوانين سقوط المطر بهذا الأسلوب الأخاذ الذي يزاوج بين الفهم الديني والفهم العلمي، ويزيل التناقض الذي يتصوره البعض بينهما، فيشير إلى مسألة تبخر مياه البحر وارتفاع هذا البخر إلى طبقات الجو العليا وتحركه حتى تتوفر له ظروف النزول، وكيف ينسجم ذلك مع الإرادة الإلهية باعتباره تنفيذا لهذه الإرادة.

الأمر العجيب هو دقته في توضيح الأمر بالتفصيل في ذلك الزمن في حين أنه ما زال أناس في زمننا هذا يرفضون الإذعان لقول العلم في شرح هذه الظاهرة الطبيعية تحت دعوى أن هذا يتنافى مع كلام الله...

يقول الشيخ[1]: «إذا أمسكت الأمطار عن الأقطار، رفعت إليك البهائم الرؤوس والأبصار، وخضع لك النبات بالذبول والاصفرار، وخشعت لك الأرض بالهمود والاغبرار، فترسل ريحاً كالجواد الكرار، فتثير سحاباً من لجج البحار ثم ترفعها من الأهوية إلى مقدار، ثم تحملها مثقلة الأوقار، إلى حيث تأمرها بالوقوف

---

[1] أنظر ص (٨٤).

والاستقرار، فيلمع بارقها بسيوف من نار، ثم يرعد راعدها بخطاب قهار. معناه: أيتها السحابة إن الجبار يأمرك أن تستهلي بماء مدرار، فجرت بذلك ينابيع الأنهار، وتضاحكت الروض بفنون الأزهار، ولغت بتسبيحك الطيور في الأوكار، والبهائم في المراعي والسباع في الفلوات والقفار».

٥- تعبيره عن المقامات الوارد ذكرها في القرآن الكريم بصورة سلسة ورائعة، والتجول في ميدانها بكل سهولة لافتة للأنظار...

والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

- يا عرش بلقيس محمول على الأسما
- يا ثوب يوسف يشفي ريحه الأعمى
- كأن عيني عصا موسى إذا ترمى
- شمراخ سدرة منتهى أهل النهى.
- حور على عرفات أعراف النقا
- بيت الحطيم وزمزم
- والركن منه الأسحم.
- مسعى الهدى عرفاته وصَفاه بل مرواته
- ومناه بل قرباته
- والكعبة العظمى التي من حجها.
- والخمر في أكوابها من حوض طه يغترف.

٦- وإذا كان النقاد قد اعتادوا على توجيه سلاح الاتهام بالشطح لكل كاتب صوفي، فإن شيخنا الصفي قد سحب البساط من تحتهم ولم يمكنهم من تناول هذا السلاح، ثم مسك بدوره سوطا ألهب به ظهورهم من جهة، وظهور مُدّعي التصوف من ناحية أخرى.

لنتابع بعضا مما قاله في هذا الصدد:

«فيا أيها الشاهدون الشهادة البتراء، أترجون من الله أجرا، ولم تعظموا لها بقلوبكم قدرا، ألسنتكم للخبائث مجرى، وجرائمكم على الصحائف تُقرا، ومظالمكم على الخلائق تترى، لا تتقون الله سرا ولا جهرا، ولا تقتدون برسوله فتْراً[1] ولا شبرا، إن صليتم فصلاة المنافقين، وإن صمتم فصيام المرابين، وإن تصدقتم فصدقة الفاسقين، وإن ذكرتم فذكر المارقين، وإن تركتم فترك المفارقين لأهل الإيمان واليقين...

أين شهادتكم عند الغيبة والفجور؟ أين شهادتكم عند كلام الزور؟ أين شهادتكم عند شرب الخمور؟ أين شهادتكم عند ظلم المقهور؟ أين شهادتكم عند استحلال المحظور؟ أين شهادتكم عند استغاثة المضرور؟ أين شهادتكم عند تسوّر الدور إذا ستركم الديجور[2]؟، أين شهادتكم عند قطع الطريق المسيور على كل ذي سرج[3] أو كور[4]؟، تبرأت والله منكم الشهادة».

وينتقل الشيخ إلى تعريف قصر التصوف بكلام مجمل محكم.. فيقول:

«بُنيَ قصر التصوف من جوهرين أحدهما: كمال التقوى، والآخر: حسن السخاء، فكَمال التقوى أساسه، وحسن السخاء رأسه، وتم وانقطع الكلام، والسلام على ذوي الأفهام».

ومنهج التصوف الذي هو الفقر يعرّفه الشيخ كما يلي:

«اعلم أن الفقر صفة، وأن الصفة معرفة، وأن المعرفة أدب، وأن من لا أدب له لا معرفة له، ومن لا معرفة له لا صفة له، ومن لا صفة له لا فقر له، فالصفة

---

[1] الفِتْر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتها.

[2] الديجور: الظلام.

[3] السَّرج: الرَّحل، وغلب استعماله للخيل.

[4] الكُور: رَحل البعير.

هي القيام بالأخلاق المحمدية الشرعية ظاهرا، والمعرفة هي القيام بـــالآداب المحمديـــة الحقيقية باطنا، والأدب أن لا تبتدع شيئا يخرج من فيك بأقوالك وأفعالك وأحوالـــك عن الاقتداء به، فإن الله تعالى يقول مخاطبا للخاصة من العارفين والعامة من الـــصالحين والكافة من الناس أجمعين: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[1]».

ثم لنتأمل قوله العميق: «ولا تحتقر الجنة كما احتقرها بعض هـــذه الطائفـــة وإن كانت ممن ينسب إلى التحقيق والمعرفة... ولو كان في غامض علـــم الله أو ســـعة رحمته أو أفعال قدرته، ما يعلوها قدراً، أو يفضلها شرفاً، أو يعدلها وزناً، أو يـــسموها فرعاً، لما كان الأولياء أحق بها من الأنبياء، ولا كان الأنبياء أحق بها من الرســـل، ولا كان الرسل أحق بها من الرؤساء، فاعلم ذلك، فليت شـــعري إذا احتقـــروا الجنـــة وزهدوا فيما فيها من تحف المنة، أزهدوا أيضا في مجاورة إمام السنة، وأكرم خلـــق الله من الإنس والجنة، ثم طلبوا الاتحاد وطمعوا في صحبة رب العباد في جهة غير جهتـــه، على صفة غير صفته، وحضرة غير حضرته، وزمرة غير زمرته..».

ويقول في موضع آخر:

«واعلموا أن الفقر ليس بحلق اللحى، ولا بالإقراع والحفا، ولا بسوء الخلـــق والجفا، ولا بأكل الحشيشة المسكرة المطيشة، ولا بالدفوف والمزامير، ولا برقص كـــل متواجد مستعير، ولا بالأحكام المخالفة لأحكام الملك الكبير، المنافية لسنة نبيـــه ﷺ الذي ليس له نظير...

إنما الفقر هو علم بالطريق، وعمـــل علـــى المتابعـــة والتحقيـــق، والإيمـــان والتصديق، مع ما يمد الله به من التوفيق».

لقد بهر القاضي الجندي بما عرفه عن شيخنا الجليل، فراح يسجل شـــهادته العميقة الدلالة والمعنى، فقال عند ختمه لترجمته:

«وقد جعلت ذكر هذا الرجل فارس الأعقاب في أهـــل جبـــا ونواحيهـــا،

---

[1] آل عمران: ٣١/٣.

فليعرف العارف أن غرضي بذلك جعله ختامهم، لأن الله ختم الأنبياء بأفضلهم»[1].

ونحن لسنا الآن بصدد دراسة وتحليل منهجه وثقافته، إذ نترك هـذه المهمـة للباحثين والمحللين والنقاد، وإنما قصدنا الإشارة إلى بعض معالمه والتقديم لكتابه الـذي بين أيدينا الآن.

كرامات الشيخ:

لا يسعنا ونحن نطل على حياة شيخنا الجليل إلا أن نستشرف علـى هـذا الجانب الهام من جوانب بروزه... ذلك أن قضية (الكرامـات) قـد التـصقت بـه التصاقا وثيقاً منذ زمنه وحتى الآن.. وهذا بحد ذاته كرامة عظيمة لا يستهان بها..

فلقد تواتر ذكر هذه الكرامات في زمنه وبصورة كثيفـة لدرجـة جعلـت القاضي البهاء وهو الذي عاش بعده بفترة قريبة يصفها بقوله: «وكانت له كرامـات كثيرة شهيرة يطول تعداد بعضها..».

ثم استمرت هذه الكرامات تظهر بين الوقت والآخر وفي مناسبات مختلفة..

وقبل أن نتطرق إلى ذكر بعضها أود أن ألفت النظر إلى أن الحـديث عـن وجود هذه الكرامات ينبغي أن يقابل برحابة صدر وسلامة طوية.. فإن الفاعل علـى أي حال هو الله سبحانه وتعالى، ولا يصح لنا أن نحجر أمرا قـد أراده الله لأي مـن عباده..

فإذا كانت عملية نقل عرش بلقيس من اليمن إلى مقام سيدنا سليمان عليـه السلام قد نسبها الله تعالى إلى (الذي عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيـا، وهي ولا شك كرامة كبيرة وباهرة، فإن هذا لا ينفي أنها كانت من الله تعالى جعلـها كرامة لأحد أتباع أنبيائه..

بل إن المتتبع لقصة سيدنا سليمان عليه السلام سيجد كذلك تجلي كـرم الله

[1] السلوك، ج١، ص ٤٥٨.

لمخلوقاته كلها، فلقد منح كراماته الجليلة لطير الهدهد فجعله سببا في إسلام أمة بأسرها..

ونعود إلى ذكر كرامات سيدي الشيخ الصفي أحمد بن علوان، فأشير أولا إلى أن قناعة الناس بوجود هذه الكرامات واستمرارها ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار، إذ ليس بقاء هذه القناعة من الأمور السهلة، أو التي هي قائمة على غير أساس، فلو لم يكن الأمر صحيحا لتناساه الناس بسهولة، ولما احتاجوا إلى الخوض فيه، ولكن ثبات هذه القناعة إنما يعود لاستمرار حدوث هذه الكرامات بين الحين والآخر..

ولقد أورد بعض المؤرخين والعلماء عددا من هذه الكرامات يحسن أن نسرد بعضا منها للتوثيق.. ونأمل أن تتاح فرصة قادمة نتوسع فيها بذكر هذا الجانب ليشمل عددا من الكرامات التي حصلت لكثير من المعاصرين أو الأقدمين..

ومما أورده هؤلاء المؤرخون:

١- أخبرني خبير بما ذكر أن جماعة من السمكر خرجوا عازمين على زيارته إلى يفرس أوذي الجنان، ومع كل منهم شيء من الدنيا يريد أن يتقرب به، فلما وصلوا إليه وسلّموا عليه سلّم كل واحد منهم ما جاء به للنقيب، ثم لبثوا ما شاء الله وعادوا بلدهم، وفي أول ليلة لم يقم أحد منهم من نومه حتى وجد ما راح به[١].

٢- حكي أن [الإمام العلامة القاضي الصالح جمال الدين محمد بن عمر العوادي (المتوفى عام ٨١٠هـ)] أراد في أيام ولايته للقضاء منع الذين يحضرون السماع في بعض الرباطات التي تنسب إلى الشيخ أحمد بن علوان بتعز، وعزم على ذلك عند شروعهم في ذلك، فنام فرأى في المنام قائلاً يقول:

احضر في الرباط وأمِّن على دعاء الشيخ أحمد بن علوان فانتبه القاضي من نومه وخرج من فوره من الرباط فوجدهم قد أفرغوا السماع وهم في الدعاء، فأمَّن على دعائهم وانصرف متعجباً على ما رأى ولم يمنعهم من السماع[٢].

---

[١] السلوك، ج١، ص ٤٥٨.

[٢] طبقات صلحاء اليمن ص١٩٩.

٣- أمر ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام بقطع شجرة الشيخ صفي الـــدين أحمد بن علوان، وكان المحرض على القطع الشريف محمد بن أحمد المحنكي فاستدامت به علة دائمة، وأيقظ لنفسه من العلل فتنة نائمة، نسأل الله السلامة عن موجب الندامة[1].

٤- وفي هذه الأيام قالوا إن رجلاً ممن يشتري الطعام نـــزل اليمن الأسفل، فعند أن بلغ الجَنَد اضطره الحال إلى دخول بيت يسأل فيه ما يسد خلته، فوجد فيـــه رجالا من أهل الشام وعندهم أسلحة فأمروه أن يحمل شيئا على ظهره في غِـــرارة لا يعلم ما هو، فلما انتهوا جميعا إلى البرية انكشف أنه مقتول، وعند أن خافوا منه أن يخبر بما هم فيه جزموا بالفتك به، فألهمه الله إلى التوسل بالشيخ أحمد بـــن علـــوان، فلـــم يشعروا إلا بإنسان قد أقبل عليهم مشرعا حربته إلى نحورهم، فدهمهم من الهـــول مـــا أذهلهم عن الرجل، وخلص من شرهم[2].

٥- وفي هذه الأيام كان بثُلا رجل من فقراء الشيخ أحمد بن علوان يتظهـــر بخوارق، فاعتقله القاضي المهدي بن عبد الهادي بقلعة ثلا، فوثب من رأس القلعـــة إلى سوق ثلا، ولم يضره ذلك، فكان رادعا للقاضي وأضرابه عن التشكيك في كرامـــات الأولياء[3].

٦- وفي عام ٩١٧هـــ خسف بفيل السلطان عامر بن عبد الوهـــاب المسمى مرزوق بقرية يقال لها الركز من زوايا الشيخ شهاب الدين قطب زمانه، وواسطة عقد أقرانه، أحمد بن علوان نفع الله به، قريباً من قرية يفرس، وكان قد أدخله بيت بعض فقراء الشيخ كرهاً وسألهم ما لا طاقة لهـــم بتـــسليمه، فلـــم يشعروا حتى غاب أكثر الفيل في الأرض وكانت من القفا من قبـــل رجليـــه، فصرخ صرخات ومات، ألا رحم الله سائسه فكان عبرة لمن رآه، ولم يقدر أحد على إخراج شيء منه من موضع الخسف[4].

---

[1] تاريخ اليمن خلال القرن ١١هـــ، ص ٩١.

[2] تاريخ اليمن، ص ٣١٣.

[3] تاريخ اليمن، ص ٣١٤.

[4] تاريخ النور السافر ص٩٧، الفضل المزيد لابن الديبع ص٣٣٥.

٧- أخبرني السيد الفاضل الشيخ إبراهيم عقيل مفتي لواء تعز ليلة ٢٨ رمضان ١٤١٠هـ قال: قد جاءت لنا فرصة لإعادة بناء قبر سيدي الشيخ أحمد بن علوان في أوائل عهد الثورة، حيث هجمنا على الأبواب وكسرنا الأقفال وأعدنا بناء القبر وقد كان قبل ذلك ممنوعاً.. وقد قلت في ذلك:

وحاشاه أن يرضى عبادة قبره ولا قبر خير الخلق أعلى الورى طُرّا

واتجهنا إلى يفرس لإحياء ذكرى الشيخ وخرج معنا نحو ١٥ ألف رجل، وكان الأمريكان حينها يشقون طريق تعز-التربة، جاءنا أحدهم واسمه: (بوش) وسألنا من هو هذا الشيخ أحمد بن علوان؟ فقلنا له: هو شيخ من مشائخ الإسلام، فقال: «رأيته البارحة وهو يدعوني إلى الإسلام»، فعجلنا بالذهاب به إلى المحكمة وأسلم، ثم أصلح الطريق الفرعية إلى يفرس، وأتى بمولد كهربائي إليها، ولا يزال هذا المولد موجوداً حتى الآن.

مسجده:

نجد أول ذكر لمسجده في ما ذكره الجندي عنه حيث يقول عن قبره: «وقبره على باب مسجد لطيف وهو القبر الملتصق للمسجد وعلى يسار الداخل إليه ويمين الخارج عنه»[١].

فيتضح لنا عندئذٍ أن مسجده قديم وكان قائماً منذ حياة الشيخ.

ويبدو أن أول تجديد لهذا المسجد أو ربما إعادة البناء له تمت أيام السلطان عامر بن عبد الوهاب[٢] حيث تشير بعض أبيات مشهورة وجدناها في بعض المخطوطات، تقول عن المسجد:

والعمارة لعامر فعل كامل مستقيم

---

[١] السلوك ٤٥٨/١.

[٢] .. وهو أهم سلاطين الدولة الطاهرية باليمن، توفي يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر ٩٢٣هـ، وكانت مدة ملكه ٢٩ سنة إلا أياماً [تاريخ النور السافر ص ١١٨].

ومجموع قيمة حروف الشطر الثاني من البيت وفق حساب الجمل ٩٢١، ليبين لنا ذلك أن تاريخ بناء المسجد كان عام ٩٢١هـ[١].

ثم دخل الأتراك اليمن ضمن الامتداد والتوسع الذي استلزمه قيام الإمبراطورية العثمانية.

وقد كانوا يعظمون الشيخ أحمد بن علوان رحمه الله ويجلونه، حتى أن الحاكم العثماني الذي يتم تعيينه على اليمن كان يعتبر مروره على يفرس وزيارة ضريح الشيخ أمراً لا بد منه قبل أن يتسلم مقاليد الأمور في البلاد، وكذلك كان يفعل حين يتم استبداله بحاكم آخر، فقبل أن يغادر البلاد كان عليه الاتجاه إلى يفرس في طريق عودته إلى مقره الجديد، وهكذا[٢].

وقد ذكر المؤرخون انعكاس هذا الاهتمام على بناء مسجد الشيخ، وأولهم الوزير الأعظم مراد باشا الذي عيّن والياً عام ٩٨٣هـ، فقد ذكر القاضي الموزعي أن له «مآثر عديدة ومساع حميدة منها العمارة العظيمة المشهورة، والزيادة الكبيرة المأثورة، في تربة سيدي الشيخ الولي الكبير، والغوث الشهير قطب الزمان، صفي الدين أحمد بن علوان، نفع الله به، المعروفة تربته الفاضلة في قرية يفرس، المحفوفة بالفضل والبركة والأنس، فبنى فيها الصرحة الكبيرة، المحيطة بالتربة الشهيرة، وكان محل هذه الصرحة قبل العمارة شعباً هابطاً، ولم يكن هناك من العمارات قبل ذلك إلا الجامع المبارك، والقبة التي فيها ضريح سيدي الشيخ نفع الله به في أكمة مرتفعة لمن زار وتبارك، فأمر المشار إليه بأن ترتفع العمارة في ذلك الشعب إلى أن تسامت قاع القبة، وتجعل الصرحة من فوق تلك العمارة، وأن تجعل فيها بَرِكات يجتمع فيها الماء، وأن تزاد ثم منارة، فعمرت هذه العمارة في ذلك المكان، وأحكمت غاية الإحكام والإتقان، وأكملت في نهاية الإحسان، اتصل أساسها بالتخوم، وارتفعت شرفاها حتى

---

[١] انظر الكرامة (٦) السابق ذكرها لتتوقع الدافع لبناء المسجد.

[٢] انظر كتاب (الإحسان) للمؤرخ القاضي عبد الصمد الموزعي.

غشي نورها ضوء النجوم، وجعلت الصرحة على جملونات[1] جسيمة رافعة مستقيمة، تمر تحتها القوافل بالأحمال المتجافية، وتقف فوقها الخلائق بالأثقال الوافية، وجعلت المنارة عالية للتأذين، وأجري الماء إلى البركات للطهارة وإقامة شعائر الدين، فوسع الجامع المبارك، والقبة التي يحصل فيها البركات والإشارات لمن زار وتبارك، فصارت عمارة مشهورة، مباركة مأثورة، تقبل الله منه ذلك، وأثابه جنة الفردوس على ما هنالك»[2].

ثم كانت الزيادة التي أحدثها الوزير حاجي محمد باشا، الذي عين والياً على اليمن في شعبان ١٠٢٥هـ، فذكر المؤرخ القاضي الموزعي أن من مآثره العديدة وحسناته المفيدة: «العمارة المباركة التي عمرها سيدي الشيخ الولي الشهير صفي الدين أحمد بن علوان، نفع الله به، فجعل حرزاً مسقفاً في شرقي الصرحة الكبيرة يجلس فيها الناس يوم الجمع المبارك، ويستكنون فيه من المطر، وجعل في طرفه منظرة معظمة، وأمر بتقوية الجدار بأبنية محكمة، وأمر أيضاً بعمارة جملون يجتمع فيه الماء، ثم ينزل منه في أنابيب نحاس، لأجل وضوء الناس منها على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه»[3].

وفي الآونة الأخيرة قام عبد الله المريسي بترميم المنارة إثر حادث وقع له ورؤيا منامية[4]، وفي عام ١٤٠٦هـ قام كل من السيد أحمد علي النهاري بتبليط الصرحة والممر المؤدي إلى باب السلام، ومحمد محبوب الأغبري بتبليط داخل القبة بالرخام.

---

[1] جملونات: عقود أو أعمدة.

[2] الإحسان ص ٥٦.

[3] الإحسان ص ١٥٢.

[4] ومما رآه في الرؤيا أن يعهد بعملية الترميم للحاج محمد عبد الله غالب الصبري ولم يكن يعرفه من قبل.

الربط والزوايا العلوانية:

ولقد انتشرت الزوايا والربط التي أقام بها أسباط[1] الشيخ أحمد بن علوان قدس الله سره، والذين هم كما قد تبين لنا سابقا من نسل عبد الله بن عمر بن المسن الطيار وزوجته ابنة الشيخ أحمد بن علوان، وانتشرت هذه الربط في كثير من المناطق.

ويحسن بنا أن نستعرض هنا ما ترجمه القاضي البهاء للشيخ عمر بن المسن باعتباره المدخل الأنسب لرؤية هذا الموضوع، قال:

«وأخذ الخرقة عن الفقيه (عثمان بن ساوح)[2] جماعة من الأعيان منهم الشيخ عمر بن المسن الذي ينسب إليه العمرية...

.. والشيخ عمر بن المسن كان رجلا كبير القدر شهير الذكر من أعيان مشايخ الصوفية، وله أتباع كثير في نواح كثيرة، وأصل بلده ذبحان[3] وله بها جمع كثير صحبوه واتبعوه على طريق الصوفية، وصار له أصحاب منتشرون في أماكن شتى في بلده وفي جبل بعدان وناحية حجر التي هي على قدر مرحلة من جهة مشرق بلدي الجند.(من أعيانهم عمر بن محمد الراعي وعمر العدوي شيخين كبيرين أهل كرامات شهيرة وانتفع بكل واحد منهما جمع، فعمر[4] توفي ببلده لا أعلم تاريخه بل زرت تربته وهي برباطه في بلد قومه بني عدي).وله[5] عندها[6] ذرية أخيار غالبهم التوفيق ببركته ويسمون العمرية نسبة إليه، وكان له ولد

[1] السبط هو ولد الولد ويغلب على ولد البنت مقابل الحفيد الذي هو ولد الإبن، وهو مشتق من السَبَط أي الشجرة.

[2] عثمان بن علي بن ساوح: تفقه ثم تصوف، صحب الشيخ مدافع الخولاني الذي استخلفه على أصحابه عندما نفي إلى الهند حسب ما مر عند ترجمته.

[3] ذبحان: منطقة مشهورة في الحجرية جنوب مدينة تعز وتبعد عنها بمقدار ٦٠ كيلومترا، وحاضرتها مدينة «التربة» حيث مرقد (تربة) الولي عمر بن المسن والتي أصبحت منذ العام ١٠٢٨هـ مركزا لقضاء الحجرية.

[4] المقصود بـ«عمر» هنا هو عمر العدوي.

[5] ضمير (له) هنا يعود على عمر المسن.

[6] أي في جبل بعدان وناحية حجر.

اسمه عبد الله تزوج بابنة الشيخ أحمد بن علوان ولهم منها ذرية هـم الآن أصحاب الشام[1] بالربط المنسوبة إليهم لا سيما في ناحية جبل بعدان وبعضهم في بلده يقوم برباطه الأصلي، وكانت وفاته على أكمل طريق نهار الثلاثاء ثالث جمادى الأولى الكائن في سنة أربعين وستمائة»[2].

فحين توفي الشيخ عمر بن المسن في هذا العام تقلد الشيخ أحمد بن علوان زمام الأمر وآلت مهمة التوجيه والمشيخة إليه على أصحابه وعلى أتباع الشيخ عمر بن المسن وصارت الكلمة المباشرة له.. حتى في تحديد القائمين بالأمر في رباط الشيخ عمر بن المسن في ذبحان..

ثم تجسد هذا التلازم والتلاحم من خلال تنصيب أبناء الذرية المشتركة للشيخين ونقصد بهم أبناء عبد الله بن عمر المسن الطيار في الربط التي كانت قائمة في مناطق أتباع الشيخ عمر بن المسن سواء في بعدان وحجر والمنطقة المحيطة بهما أو في بلده الأصلي ذبحان، وصار يعرف الواحد من أفراد هذه الذرية ممن يقوم بهذا المنصب «بالمنصوب»، وإن صار هذا اللقب فيما بعد يطلق على ذريتهم من بعدهم بشكل عفوي[3].

وبهذا التعيين تم امتزاج شأن الأسرتين الذي كان بدايته الزواج بينهما، وكان

---

[1] شَامَ يعني ظهرت في جلده شامة، شامٌ مفردها شامة، يقال: صاروا شاماً في البلاد أي تفرقوا في البلاد تفرق الشامات في الجسد، وأصحاب الشام هم أصحاب النظر.

[2] السلوك، ج٢، ص ١٠٧، والمخطوط (٢٤٩٦) ص ٢١٠، والمخطوط (٢٤٩٧) ص ٦٨ ج٢.وتاريخ وفاته يقابل ٢٨ أكتوبر ١٢٤٢م.

[3] جاء لفظ المنصوب من «المنصب» وهو منصب المشيخة وقد ذكره الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه «الصوفية والفقهاء في اليمن» ص٢٦ حيث قال: «وفي الغالب يكون تولي المشيخة وراثيا فيخلف الابن والده وهكذا على أن يقوم الابن بكافة الأعمال التي يمارسها الأب، وهؤلاء هم الذين تسموا فيما بعد «بالمناصب»، فقد ذكر الجندي والأهدل عددا كبيرا من هذه المنصبات كمنصبة بيت سود بن الكميت ومنصب بني المكدش ومنصب بني الحكم، ومن أشهر المناصب الصوفية في اليمن والتي لا تزال قائمة إلى الآن منصب بني الأهدل»، ومنصب بني العيدروس في عدن.

أبناؤهما فيما بعد هم أداة الدمج كما قد أشار إلى ذلك القاضي البهاء، وهو ما حـــدا ببعض الكتاب المتأخرين إلى القول بأن الذين توارثوا القيام بالأمر في الزوايا والـــربط الصوفية العلوانية هم المناصب أبناء الشيخ عمر المسن ولم يدرك سر ذلـــك الاختيـــار والتخصيص، كون شهرة الشخص ومعرفته إنما تأتي من اسمه، واسم أي من هؤلاء إنما ينتهي بلقب المسن أو الطيار أو المنصوب وهو أمر طبيعي كون انتساب الإبن لأبيه ولا يسمى باسم أمه.

ورغم شهرة أسماء هؤلاء القائمين بالأمر باسم المسن أو الطيار أو المنـــصوب فلقد كانت الشهرة المصاحبة لهم بنفس القوة كذلك لهذه الـــربط بـــالربط والزوايـــا العلوانية، ولم يخف عن هؤلاء الذرية انتماءهم المبارك أيضا لجدهم الشيخ أحمـــد بـــن علوان، وإن خفي على كثيرين غيرهم لتقادم الزمن ولطبيعة تكوين الأسماء كما قد تبين سابقا.

ولقد اشتهر عدد من الأسماء من هذه الذرية فيما بعد في هذه المناطق..

ففي الجانب الأول (بعدان وحجر وما إليهما) ظهر عدد منهم ذكرهم المؤرخ البريهي السكسكي[1] بقوله:

«ومن أهل الصلولة الشيخ جمال الدين محمد بن علي المسن، كانت له العبادة وظهرت له الكرامات وتحكم على يده جماعة من الصوفية، وربط أماكن كثيرة فجللها أهل الأمر واحترموها، وبقي هذا الشيخ مأوى للوافدين إلى أن توفي بها.

ومن كراماته ما أخبر الثقة أن الشيخ شهاب الدين صاحب رباط الـــسناحي قال له: أريد أن تريني الكعبة المشرفة عيانا وأنا بمكاني هذا، فأشار إلى جهـــة الكعبـــة فكشف عنها فرآها الشيخ شهاب الدين، ثم تحكم على يده.

وكان الشيخ جمال الدين قد رزق مالاً جزيلا ورثه من والدته وهي من قـــوم يسمون بني العماد من أهل مدينة تعز، فاشترى بذلك المال أرضاً كبيرة حوالي الصلولة وفي غير ذلك من الأمكنة، وكانت والدته من العابدات توفيت (برباط تبة) وقـــبرت

---

[1] العلامة المؤرخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني، (ت عام ٩٠٤هـــ).

هناك، وهي تزار ويتبرك بها، وتوفي ولدها بعدها، وكانت وفاتهما أول المائة الثامنة رحمهما الله تعالى...»[1].

ثم تحدث عن الجيل الثاني لهم، فقال:

«وفي حبيل الأملوك تبة للمشائخ الصلحاء من بني المسن، وقد سكن فيه من ذرية الشيخ جمال الدين محمد بن علي المسن جماعة، منهم الشيخ علي والشيخ أحمد والشيخ عفيف الدين عبد العزيز وهو أكبرهم وأشهرهم، وكان لهم عبادة وفضل، واشتهر منهم الشيخ عبد العزيز المذكور، ولما توفي خلفه بمنصبه أولاده الثلاثة: جمال الدين محمد سكن الرباط المشهور بالعشوة مما يوالي بلد الجحادر، وكان مقصوداً للمهمات مكرماً للضيف، والثاني هو أبو القاسم، والثالث أحمد، فاشتهر منهم بالكرم أبو القاسم وتوفي بأول المائة التاسعة»[2].

أما في ذبحان فقد ظهر وبرز اسم الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن المسن، وكان كما ذكره المؤرخ البريهي نقلا عن القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النحواني:

«هو صاحب الطريقة وإمام أهل الحقيقة وأستاذ العارفين وشيخ المحققين، أخبرت أن مولده في الرابع عشر من المحرم سنة ٧٥٤ هـ. قال: وهو ممن جمع صفات المحاسن، واحتوى على محاسن الصفات، وكرم الشمائل وعذوبة الطبع، ولين العريكة، وقرب الجناب، ولطف المعنى. كان مشهورا بالفضل والصلاح متضلعاً في فنون العلم، متحرياً فيها سيما علم العربية فإن له فيه اليد الطولي والغاية القصوى، وله قريحة مطاوعة وفطنة لامعة وفصاحة رائعة وقدم في العلوم بارعة.

وكان محبوبا إلى عامة الناس وخاصتهم، مقبول الشفاعة مسموع الكلمة مجاب الدعوة في حال السماع، إذ كان شاربا من المعرفة بالكأس الأوفى، سالكا مسلك الحنفاء، وأعطي الحظ والمشرب الأصفى، (قال النحواني رحمه الله تعالى): قرأت عليه طرفا من علم العربية وغير ذلك.

---

[1] طبقات صلحاء اليمن (تاريخ البريهي)، ص ٥٨.

[2] نفس المصدر، ص ١٨٠.

وعلى الجملة فكان هذا الشيخ ممن جمع بين العلم والعمل، فمنحه الله الخير الدنيوي والأخروي، وظهرت له كرامات كثيرة، وكانت له قريحة مطاوعة ينظم بها الشعر، من ذلك ما قرأته معلقا بخط تلميذه القاضي وجيه الدين النحواني، قال أقمت عند الشيخ الصالح الرباني عفيف الدين عبد الله بن عمر المسن أياما ثم أردت أن أستأذنه بالسفر من عنده، فكتبت له أبياتا، فأجابني بقوله:

يا سيدا رقت معاني لفظه	ومهذبا فاقت علاه فخارا
الإذن إذنك لا جناح فمن يساوره	الشوق لا يلذ قراراً
ويكون صبح غد رحيلك سالما	وتعود في كنف اللقا تسمارا

ولما تولى القاضي وجيه الدين النحواني قضاء جبلة كتب إليه الشيخ عفيف الدين ما مثاله من قصيدة طويلة، أوله:

سرى ناعم النسر من ذي سلم	فطاف بربع الشجا واستلم
وخامرني من شذا طيبه	ارتياح السلاف وروح النعم

حتى قال في آخرها يمدح القاضي وجيه الدين النحواني:

لعل الوجيه ويا ربما	لمستعطفيه تقولوا نعم
فتزهو الليالي اللواتي خلفن	وترجع بابا لوصل اللمم
أحبة قلبي فمن لي بكم	وكم لي وكم لي وكم لي وكم
ولولا ولولا ولولا ولم	لحمت على ربعكم والخيم
وأزكى التحية تغشاكم	صباحاً مساء وأوفى النعم

وله غير ذلك من القصائد والتواسل.

توفي هذا الشيخ عفيف الدين عبد الله بن عمر المقدم الذكر في أيام التشريق من خاتمة شهور سنة ثمان وعشرين وثماني مائة رحمه الله تعالى ونفع به. وقبره مشهور يزار ويتبرك به.

وخلفه بمنصبه الشيخ الصالح جمال الدين محمد بن عبد الله، قام مقامه في إكرام الضيف والإحسان إلى الوافد، والسعي في الإصلاح بين الناس، فكان مسموع القول مطاع الأمر، له الجاه العريض والثناء المستفيض، ولم يزل كذلك حتى توفي بعد سنة ثلاثين وثمان مائة.

وخلفه بعده جماعة من أهله لم ينالوا رتبته إلى أن نجب فيهم في وقتنا الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، هو ابن عم الشيخ عفيف الدين المقدم الذكر.. فأحيا منصبهم ومآثرهم، وهو الآن عمدة للقاصد والوافد، ويجتمع عنده جماعة للذكر، وجعل ذلك راتباً على الدوام، وظهرت له كرامات، ودام على ذلك إلى أن توفي»[1].

ثم تفرع عن هذه الفروع فروع ظهروا في أماكن أخرى محيطة بالمراكز الأولى وأنشؤوا فيها الربط والزوايا، وأداروا أراضي الوقف التي كان يوقفها أتباعهم وأصحابهم على هذه الربط وروادها.. وعرفت الربط التي يقيمونها بأماكن الهجرة حيث يأوي إليها كل غريب ويجد فيها ما يحتاج من قوت، ويتلقى ما يفتح الله له على أيديهم من علوم الدنيا والدين، ويُعلم عنهم قيامهم بحل المشاكل التي تحدث دائما بين القبائل وما قد تؤدي إليه من حروب وأضرار، وظلت كلمتهم مسموعة وذات اعتبار قوي لدى جميع أبناء المناطق التي تواجدوا فيها، وخاصة عند غياب الدولة في العصور المختلفة...

والفرع الذي ينتمي إليه كاتب هذه السطور هو في ناحية المقاطرة من الحجرية، وهو أحد امتدادات ذبحان نظرا لقرب المنطقتين، فذبحان هي المركز الحالي لناحية المقاطرة كما أنها أيضا مركز لناحية الشمايتين والمواسط بالحجرية، وقد كان أول من انتقل إلى هذه المنطقة الجد السادس واسمه سعيد ناجي، وهو الذي ينتهي إليه نسب جميع «المناصيب» في ناحية المقاطرة، وانتقاله للمنطقة كان قبل أكثر من مأتي عام، وقد أنشأ هو وأولاده عددا من الربط (دواوين) في القرى التي انتشر فيها أبناؤه من بعده، وتوزعوا في عدد من قرى الناحية ابتداء من قرية الوجد التي تبعد

[1] طبقات صلحاء اليمن، ص ١٦٧-١٦٩.

(١٠)كيلومترات عن ذبحان، وانتهاء بالصبيحة وطور الباحة وهي تبعد عن سابقتها بـــ (١٥) كيلومترا أخرى.

أما في ذبحان فقد ظهر منهم العلامة عبد الوهاب بن عبد الله مقبل المنـــصوب (١٢٩٥-١٣٣٥هـــ) مولده في التربة، وتولى الإفتاء بها، واشتهر باسم المفتي، ومحمد عبد المجيد المنصوب الذي كان مدرسا هناك في أواسط هذا القرن المـــيلادي، وهمـــا اللذان ذكرهما إبراهيم المقحفي في كتابه (مجموع البلدان والقبائل اليمنية)، والقـــائم اليوم في رباط سيدي الشيخ عمر بن المسن هناك هما الشيخان الفاضلان محمد عبد الله المنصوب، الملقب بالعزي المنصوب، وابن عمه الوالد الحاج محمد بدري.

ولا بأس أن نشير في الأخير إلى أن وضع هذه الأربطة الآن ودورها قد انحسر كثيرا بفعل الضربات القوية التي تعرضت لها من قبل بيت حميد الدين منذ نصف قرن من الزمان، وذلك بعد امتداد نفوذها إلى مناطق اليمن الأسفل، وبفعل خوفها من أي معارضة أو تجمعات لها شأنها.

فلقد رأت في التجمعات والأربطة الصوفية خطرا يجب مواجهته ضمن حملتها في مواجهة الفكر المستنير الذي يستهدي به الكثير من المفكرين والعلماء، فعملت على اعتقال الكثير من الشيوخ والمفكرين في مختلف نواحي اليمن وملاحقة أي نشاط عـــام يقومون به، واهتدت إلى فكرة القضاء على العوامل المساعدة لأي تحرك تتوقعه، وكان نصيب الشيخين الجليلين أحمد بن علوان وعمر بن المسن وذريتهما من هذه المواجهـــة كـــــبيرا، وصـــــل إلى حـــــد تغـــــيير ملامـــــح ضـــــريحيهما ومسجديهما تحت دعاوى باطلة[١]، بل زاد إلى درجة إغلاق مقام الـــشيخ أحمـــد بـــن

[١] كان قد أشيع أن ولي العهد أحمد حميد الدين قد أمر بنبش القبرين وليس فقط تغيير ملامح البناء، وقد هجاه الشاعر الحضراني بقوله:

أضريح أكرم ناسك و تقي	نبشته كف الماجن (البدعي)
من ين آلاف القبور نبشته	بغياً بدون مسوغٍ شرعـــي
نبش القبور رذيلة وفضيحة	حتى لدى البوذي والزنجي
ما ذاك إلا أنه من معشـــر	سنية في معشـــــر ســـني

علوان[1] لفترة من الزمان غافلة عن إدراك حقيقة كون اسم الشيخ أحمد بن علوان قد أصبح عصارة نابضة بالحياة والحب والصفاء في وجدان وضمير الإنسان اليمني، ثم امتدت أيديها إلى أموال الوقف المرصودة في مختلف النواحي لصالح الأربطة وروادها وحولت إيراداها لخزينة وزارة الأوقاف ومنعت استمرارها لما رصدت له.

أما مساحات الأراضي الموقوفة باسم الوقف العلواني فهي واسعة وكبيرة، ولم نعلم بالضبط مقدارها، إلا أنها على كل حال تشمل أراض في محافظات تعز وإب والحديدة، ولحج وأبين ،بل وفي مدينة صنعاء العاصمة، وتصب إيراداها حتى اليوم في خزينة وزارة الأوقاف.

أما معرفة مدى شرعية هذا الإجراء واستمراره فنتركه لعلماء الشريعة الإسلامية ليقولوا رأيهم فيه.

---

[1] وقصة إعادة بناء الضريح والتابوت بدأت حين اتفق كل من الشيخ إبراهيم بن عمر بن عقيل والشيخ محمد إمام والسيد إسماعيل الغرباني عند اجتماعهم في زاوية الشيخ إبراهيم بن عقيل على إعادته، ثم رأى الشيخ محمد إمام بعد ذلك الشيخ أحمد بن علوان قدّس الله سره يقول له: «إذا كان لا بدّ من إعادة بناء تابوتي فليكن على يد الحاج محمد عبد الله غالب الصبري»، ولما لم يكن موضع الضريح ومساحته معروفان بشكل دقيق نظراً لمرور قرابة ثلاثين سنة على هدمه، فلقد عمل على مقاس ضريح الشيخ عبد الهادي السودي المدفون في مدينة تعز، ووضع في موضعه الحالي بناء على إشارة من أحد مجاذيب الشيخ أحمد بن علوان أنه رأى النور يصعد من ذلك الموضع.. وقد تمّ ذلك يوم السبت لخمس أيام خلون من ربيع الثاني ١٣٨٦هـ.

منهج التحقيق

من المهم أن نشير في البداية إلى أن ما نعنيه بكلمة التحقيق لا يتعدى العمل بشكل جاد في نقل الصورة الحقيقية لما كتبه الشيخ دون أي تحريف أو تغيير من خلال المقابلة بين النسخ المتوفرة، والتحري عن صواب النقل لا أكثر.. مع الإشارة إلى ما ذكرته النسخ الأخرى، إضافة إلى تحديد معاني بعض الكلمات أو تعريف بعض المواقع أو ترجمة من تيسرت معرفة شيء عنه.

وهذا العمل ينقسم إلى ما يلي:

أولا: اختيار النسخ... ووصفها:

إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو خلاصة جيدة لثمان من المخطوطات التي توفرت بتوفيق الله لدينا.

وقد سجلنا آراء خمس من هذه المخطوطات في حين اكتفينا بالاستئناس بمحتويات النسخ الثلاث الأخرى عند حدوث اختلاف بين كلمات النسخ الخمس الأولى، وهذه النسخ هي:

١- نسخة مصورة من أصلها المحفوظ بمكتبة وزارة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء وهي برقم (٢٠٢٨)، ورمزنا لها بالرمز "ق"، ونظرا لأن هذه النسخة تعتبر أقدم نسخة عثرنا عليها، إذ أن كتابتها تمت يوم الأربعاء رابع شهر رجب ٩١٨ هـ، إضافة إلى دقتها وندرة أخطائها ووضوح خطها فقد اعتبرناها أصلا، وهذه النسخة وفقا لما جاء في صفحتها الأخيرة برسم الفقيه العالم العامل الراجح الكامل الرحمة الشامل المربي الولي شرف الدين حسن بن غانم بن علي[١]، وهناك إشارة كذلك إلى أنه قد تمت مقابلتها بعد الكتابة على حسب الطاقة والإمكان وهو ما

---

[١] جاء في كتاب مناقب الشيخ عبد الهادي السودي (الحكايتان السادسة والسابعة) أن الشيخ عبد الهادي السودي رحمه الله نصّب المذكور حسن بن غانم وأقامه بصنعاء، وحكّمه تحكيم إرادة.. فانضم إليه خلق كثير، وشاع صيته في جميع بلاد صنعاء، وكان رباطه يسمى رباط أبي الرجاء..

يفسر لنا صواب محتوياتها، ثم إنها صارت وقفا في رباط سيدي الشيخ الولي جمال الدين محمد بن أحمد جناح "للإخوان الراشدين والمريدين الناسكين السالكين"، كما تبين التأشيرتان الواردتان في الصفحتين ١٠٢،٢٥.

ونجد في غلاف المخطوط إشارتين كتبهما حسين يحيى... حافظ كتب الوقف في الجامع الكبير أنه محفوظ لديه كوقف "على قبة الشيخ محمد جناح لعدم وجود من ينتفع به هناك وتعيّن بقاؤه في الخزانة الجامعة لكتب الوقف في الجامع الكبير بمحروس جامع صنعاء بأمر أمير المؤمنين مولانا المتوكل على الله"، وأرّخ ذلك في شهر رجب عام ١٣٤٣هـ، ومهرها بختم المكتبة، وعدد صفحات هذا المخطوط (١٤٦) صفحة مزدوجة أي أنها (٢٩٢) صفحة بمتوسط ١٧ سطرا في الصفحة الواحدة.

والشيخ محمد أحمد جناح الضمدي الذي كان هذا الكتاب موقوفا لرباطه هو أحد العلماء الخيرين من ضمد إحدى قرى المخلاف السليماني، عاش في القرن العاشر. والمقصود بقبته؛ مسجده الذي يعرف بمسجد جناح في صنعاء القديمة، وقبره في هذا المسجد، وقد وجدنا في اللوحة الموجودة في المسجد ما نصه: "العبد الصالح العارف بالله محمد بن أحمد بن محمد جناح الضمدي، توفي رحمه الله في جمادى الأولى ٩٩١هـ".

٢- نسخة أصلية موجودة في مكتبة الشيخ السيد عبد الباري محمد أحمد السروري وفيها أن كاتبها قد أتم كتابتها نهار الاثنين ١٤ من ذي الحجة عام ١١١٤هـ، وهناك مسح لمكان اسم كاتبها بحيث يتعذر قراءة اسمه، وهي مكتوبة كذلك بخط جيد، وعدد صفحاتها (٢٥٤) صفحة ورمزنا إليها بالرمز(أ).

٣- نسخة أصلية أخرى موجودة كذلك في مكتبة الشيخ السيد عبد الباري محمد أحمد السروري وهي حديثة العهد إذ أنه قد أتم صاحبها كتابتها يوم الخميس ٢٤ من ذي الحجة عام ١٣٧٢هـ، وكاتبها هو الفقيه غالب بن غالب

سعيد وصفحاتها (١٥١) صفحة من القطع الكبير، وهذه النسخة مصححة ومنقحة وقد رمزنا لها بالرمز(ب).

٤- نسخة مصورة من النسخة الأصلية المحفوظة لدى مكتبة الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بالجامع الكبير برقم ( )، ورمزنا لها بالرمز(هـ)، وهي مؤرخة في ذي الحجة من عام ١١٠٦هـ، بخط (مولانا شمس الإسلام والدين أحمد بن علي بن أمير المؤمنين)، وعدد صفحاتها المتوفرة ٨٤ صفحة مزدوجة أي ١٦٨ صفحة، وإن هناك نقصا واضحا في عدد الصفحات وفي أماكن مختلفة منها.

٥- نسخة حديثة مصورة وجدناها بمكتبة الأخ محمد سلام غالب الحكيمي ورمزنا لها بالرمز(م)، وهي بخط الأستاذ عبد الرقيب بن علي محمد نعمان الذبحاني ومؤرخة في يوم السبت ٤ ذي القعدة سنة ١٤٠٣هـ، وعدد صفحاتها ٩٣ صفحة كبيرة.

٦- نسخة مصورة حصلنا عليها في مكتبة الشيخ عبد القوي الشريف، وهي بخط السيد عبد الكريم بن أحمد الجنيد كتبها في ١٣٦١/١٠/١٦هـ، وصفحاتها ٦٢ صفحة كبيرة.

٧- نسخة مصورة حصلنا عليها من مكتبة السيد/ أحمد علي النهاري وهي بخط سعيد أحمد بشير قراضه الذي أتم كتابتها في ١٤٠١هـ، ورغم النقص الذي كان واضحا فيها إلا أنها أسعفتنا في موضع واحد بإصلاح خلل كبير كان موجودا في جميع النسخ وتفردت هذه النسخة بالصواب فيه على ما نظن، وأشرنا إلى ذلك في موضعه[1] ورمزنا لها بالرمز(ح).

٨- نسخة أصلية من مكتبة الأخ أنور عبد الله إسماعيل وصلتنا من خلال بحث قام به الأخ أحمد المداني، وهذه النسخة تمت كتابتها في يوم السبت ٤ ربيع الثاني عام ١٣٣٨هـ بخط أحمد بن أحمد قاسم ناجي العجيل، ورغم أنها وصلتنا في وقت متأخر إلا أنها أفادتنا في معالجة مواضع الاختلاف.

---

[1] أنظر ص(١٥٨).

ثانيا: تنظيم الإخراج:

لقد سجلنا آراء النسخ الخمس الأولى بشكل مباشر لقدمها وميزات ضبطها، في حين استفدنا من محتويات النسخ الثلاث الأخيرة عند حدوث الاختلاف كما قد ذكرنا سابقا، وعند الترجيح حرصنا على الأخذ برأي الأغلب وبما نعتقد صوابه مع تسجيل الرأي أو الآراء الأخرى في هامش الصفحة آخذين في الاعتبار حق النسخة الأقدم (النسخة ق) في الحصول على الثقة بما يتناسب وقدمها، وعلى ذلك فإذا لاحظ القارئ في موقف من المواقف أننا قد رجحنا النسخة الأولى مثلا على بقية النسخ الأربع التالية لها فليثق أن ذلك تم لموافقة النسخ الأخيرة التي لم نسجل اسمها مباشرة لها أو تكون مؤيدة ببعض هذه النسخ فقط مع اعتقادنا لصواب هذا الترجيح، وسيبدو ذلك من خلال المراجعة.

ولقد سمحنا لأنفسنا بتبويب الكتاب في ثلاثة أبواب رئيسية مع ثبات بقاء المواضيع كما هي عليه، واستلهمنا هذا التبويب من كلام الشيخ في الفصل الأخير في الباب الأول الذي بدأه بقوله: عبّرنا بالحروف...

ونكون نحن بهذا التبويب قد ترجمنا ذلك الفصل إلى واقع عملي، فهو قد قسم الكتاب إلى ثلاث درجات تعكس توحيد ثلاث رتب وفئات معرفية:

الأولى: توحيد المقربين والذين يشبه توحيدهم توحيد الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم حيث ذكر عنهم قولهم في القرآن: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)، فكان الباب الأول خاصا بتوحيد المسبحين المقربين، وقد وصف الشيخ ذلك بقوله:

"عبّرنا بالحروف المتعلقة بأسماء الله الحسنى وصفاته، عن اللطائف المتعلقة بنوره وسبحاته، الممتثلة لأوامره وطاعاته، أولئك هم السابقون، والكرام المقربون، على جهة التشبيه العقلي، والتمثيل المعنوي".

الثانية: والفئة الثانية من العارفين هم الذين لم يرقوا إلى درجة السابقين، وإن كانوا قد قطعوا شوطا في المعرفة والترقي، فهؤلاء هم الذين لم يمكنهم التسبيح في آلاء الله، وإنما لمعرفتهم لصفاته وأفعاله فقد رفعوا أيديهم إليه متضرعين مبتهلين داعين طالبين منه تعالى العفو والرزق والمعونة، وقد عبر الشيخ عنهم بقوله:

"وكذلك نُعبّر بالحروف المتعلقة بالأسماء المتوسطة، عن اللطائف المتوسطة، التي لا ترتفع هممها إلى الانتظام في سلك البررة الكرام، ولا تنخفض إلى الالتئام بأهل الفسوق والآثام، أولئك أصحاب اليمين، وذوو الاقتصاد في الدين".

الثالثة: وهذه الفئة هم الذين يحتاجون إلى مرشد يعظهم ويعرفهم وينصحهم ويقودهم إلى الصواب، إنهم عامة الناس الذين ليس لهم قدم في العطاء، وإنما دورهم هو في الأخذ والتعلم، فكان الباب الثالث همّه التوجيه والوعظ والزجر والرد على الاستفسارات... الخ، وقد عبر الشيخ عن ذلك بقوله:

"وكذلك نُعبر بالحروف المتعلقة بالأسماء الخبيثة والصفات الشيطانية، كأسماء القاذورات، والجيف والآفات، والحركات المذمومات، عن اللطائف العاصية، المنقطعة القاصية، المقبلة على الشيطان، المعرضة عن الرحمن، أولئك أصحاب الشمال، وأهل البدع والضلال"[1].

ثالثا: عملية الإعداد والمقابلة:

خروج هذا الكتاب بهذه الصورة مبعثه جهود كثيرة وطيبة بذلها أولاد وزملاء سواء في تجهيز وطباعة المسودة الأصلية بالكمبيوتر لتسهل عليها عملية المراجعة والمقارنة، ومن ثم الإخراج بالصورة النهائية، وهي التي تولى إنجاز الجزء الأكبر لها الولدان مراد وسامي عبد العزيز سلطان[2] بمساعدة مشكورة ومحمودة من الأخ عبد الكريم علي أحمد المدير، أو في المقارنة والمقابلة بين النسخ الثمان والذي تم خمس مرات وذلك للوصول إلى مرحلة الأمان والاطمئنان إلى إخراج نسخة ممتازة وسليمة، وأسهم في هذا الجهد الكبير الزملاء: فؤاد عبده سيف، ومحمد إبراهيم غالب، ومحمود سلطان طاهر، وهم الذين أسهموا في المرات كلها، إضافة إلى آخرين أسهموا بين الحين والآخر في بعض المرات ومنهم الحاج محمد عبد الجبار المصعدي،

---

[1] أنظر ص(١١٥).

[2] يلزم أن نشيد بالعمل الممتاز الذي قام به الولدان سامي عبد العزيز وعمر بن عبد العزيز في إعداد الطبعة الثانية من هذا الكتاب.

وعبد الوهاب بشر، وعبد الله السقلدي، والأستاذ عبده حسن صقر، وهو من أبنـــاء مصر الشقيقة.

شكر وتقدير

لا يفوتني في الأخير أن أسجل عظيم امتناني وشـــكري لكـــل مـــن ســـاهم بإخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الجيدة.. وأخص بالذكر الأخـــوة: فـــؤاد عبـــده سيف، ومحمد إبراهيم غالب، ومحمود سلطان طاهر الذين جندوا أنفـــسهم شـــهورا متواصلة للمشاركة في القراءة والمقابلة والمناقشة، ولم يكن غرضهم في كل ذلـــك إلا وجه الله الكريم..

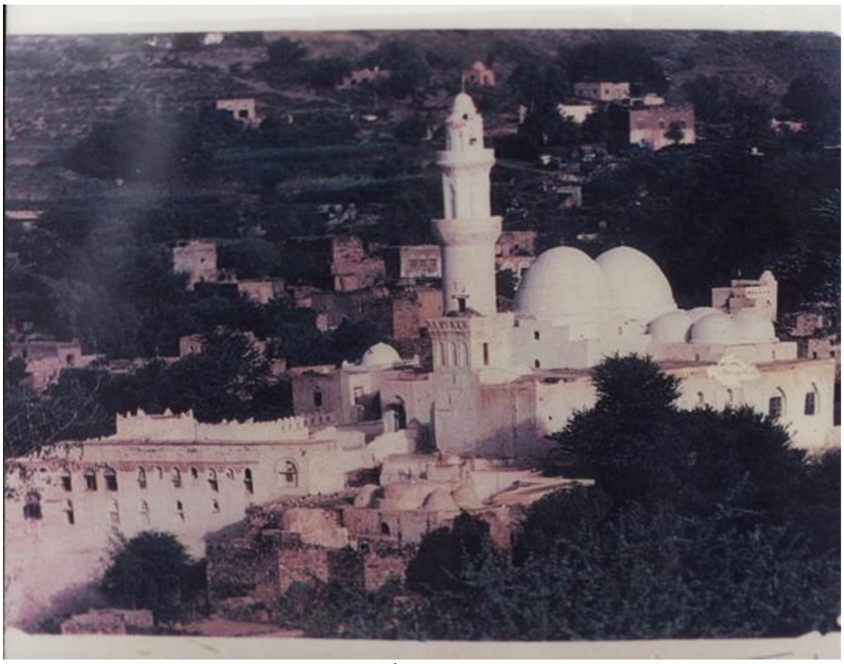
كما أسجل امتناني وتقديري الكبير لجميع أفراد العائلـــة صـــغارا وكبـــارا لمساهمة بعضهم في الإعداد المباشر كما بينت سابقا، ولمساهمة الباقين في توفير المنـــاخ والرعاية والخدمة الطبية لنا أثناء قيامنا بتنفيذ هذا العمل.. فأسأل الله أن يتقبل عملنـــا هذا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه جواد وهاب.

والحمد لله رب العالمين

عبد العزيز سلطان المنصوب

صنعاء في ٢٠رجب ١٤١٠هـ

الموافق ١٥فبراير ١٩٩٠م

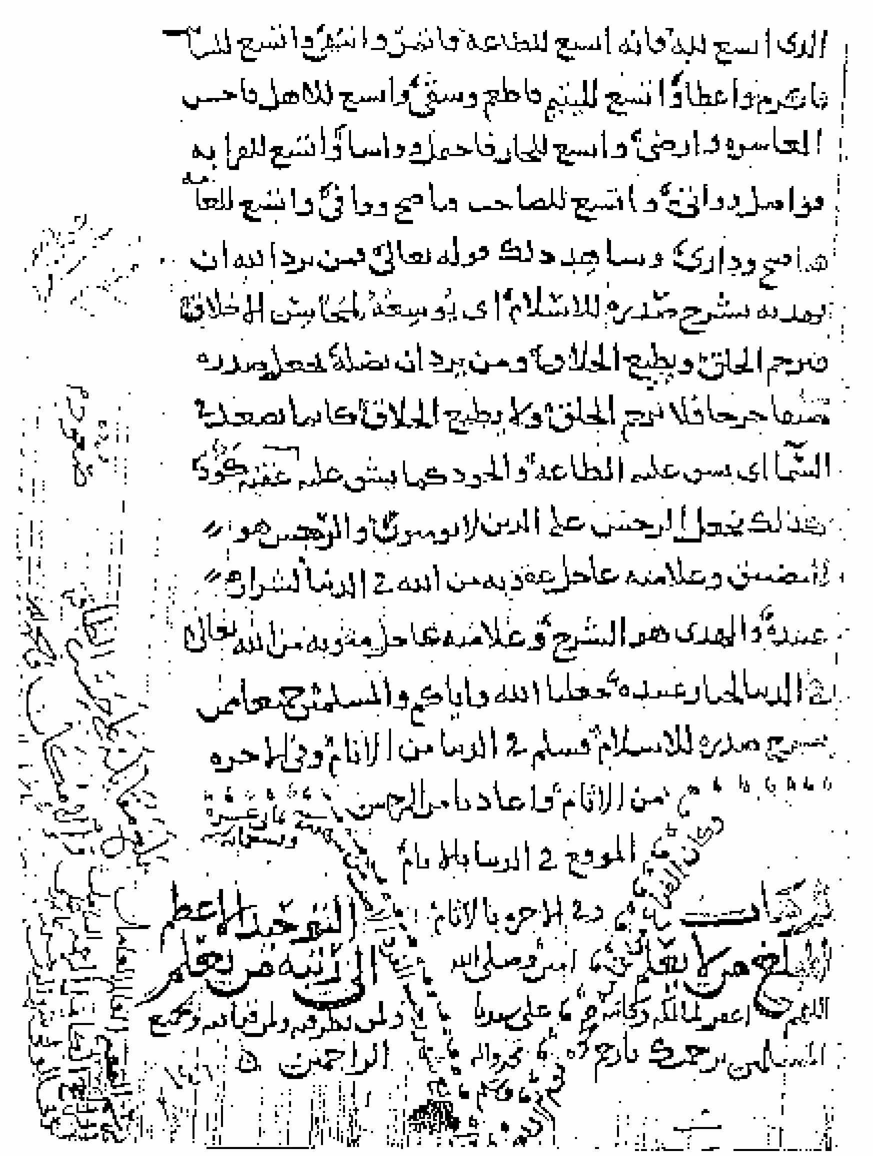


صورة جامع وضريح الشيخ أحمد بن علوان في يفرس

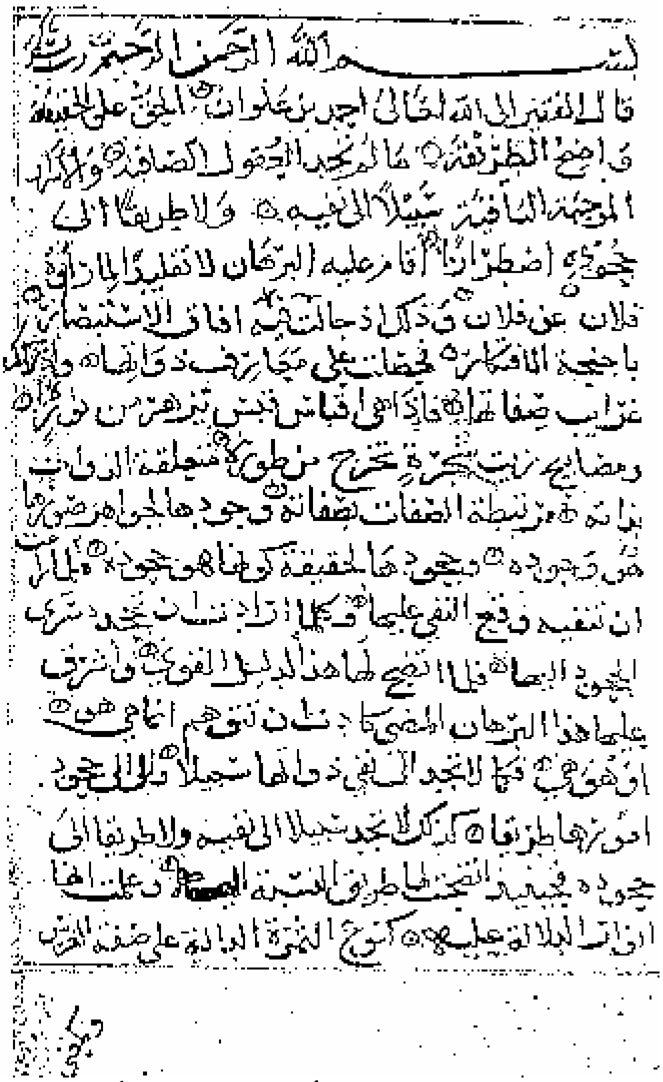


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الإمام العالم
في الأكوان شهاب الدين أحمد
ابن ... رضي الله عنه
الحق على الحقيقة، وواضح الطريقة فيما لم تجد العقول
الصافية والأسرار الموجبة النافية سبيلا إلى نفيه
ولا طريقا إلى جحوده اضطرارا قام عليه البرهان
لا تقليدا لما رواه فلان عن فلان وذلك إذ جالت
العقول في آفاق الاستبصار بأجنحة الأفكار
تحصلت على معارف دوانها وإدراك غرائب صفاتها
فإذا هي اقتباس قبس يزهر من نوره ومصابيح زيت
شجرة تخرج من طور متعلقة الذوات بذاته مرتبطة
الصفات بصفاته وجودها جواهر صور ما هو وجوده
وجودها الحقيقة كونها موجوده ف... رامت أن
تنفيه ورفع النفي عليها ... أرادت أن تجحده
... الجحود إليها فلما اتضح لها هذا الدليل القوي
وانتشر عليها هذا البرهان المضي كادت أن تتوهم

صورة الصفحة الأولى من النسخة ق



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة ق



صورة الصفحة الأولى من النسخة أ



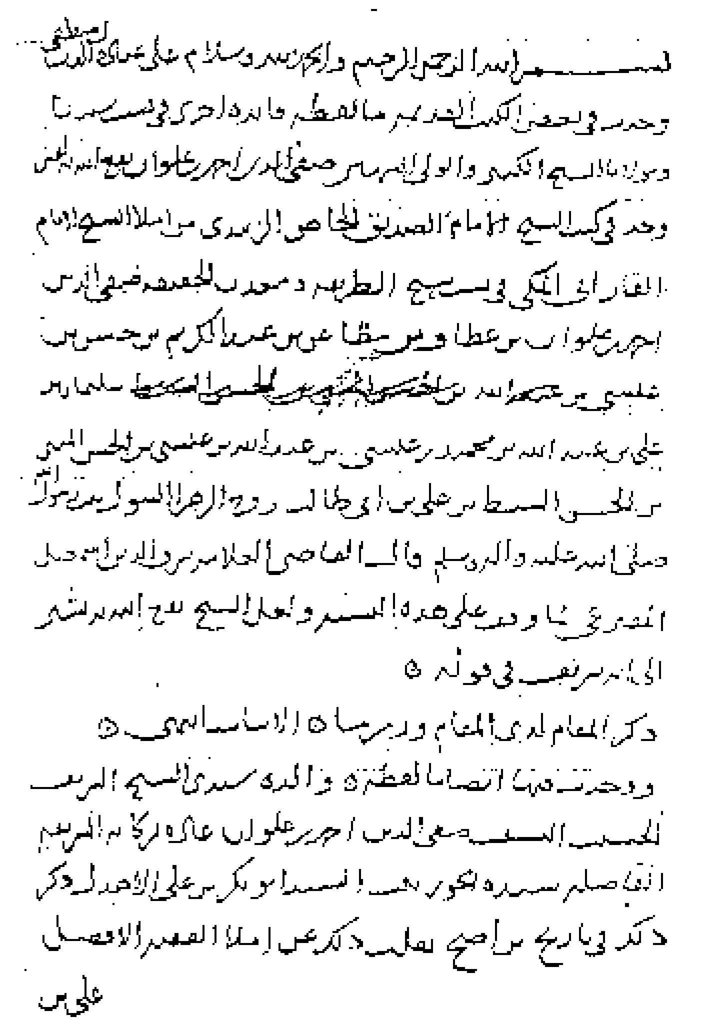
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة أ



صورة الصفحة الأولى من النسخة ب



صورة إحدى صفحات النسخة م


بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
وجدت في بعض الكتب القديمة ما لفظه فائدة اخرى في نسب سيدنا
ومولانا الشيخ الكبير والولي الشهير صفي الدين احمد بن علوان نفع الله به
وجد في كتب الشيخ الإمام الصديق الخاص الزبيدي من املا الشيخ الإمام
المقرئ المكي في نسب الشيخ الطاهر [illegible] صفي الدين
احمد بن علوان بن عطا [illegible] بن عبد الكريم بن حسن بن
عيسى بن عبد الله بن [illegible] سليمان بن
علي بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن عيسى بن الحسن المثنى
بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب زوج الزهراء البتول ابنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقال الفاضل العلامة [illegible]
[illegible]
الى [illegible] في قوله
ذكر المقام لدى المقام [illegible]
[illegible]
[illegible] احمد بن علوان [illegible]
[illegible] ابو بكر بن علي [illegible]
[illegible]
علي بن

صورة المخطوط رقم ١٥١٣ بخزانة الوقف المشار إليه ص(١٨)، (١٩)

علي بن محمد ختم الجزء المبارك في صرح الشيخ سليمان صاحب الكحيل
[illegible] العارف بالله [illegible] الجزء الكامل [illegible]
تاريخ شهر صفر سنة ١٠٧١ والله اعلم [illegible]

ووجدت فيه ايضا ما لفظه وجدت هذا بخط مولانا السيد
العلامة جمال الدين محمد بن احمد بن عبد الله الكبسي رحمه الله هو بن هادي
بن سيدي الشيخ سلطان الدين احمد بن علوان المغربي [illegible]
ومن خط [illegible] هو السيد المرتضى بن الحسن [illegible] بن علوان
بن عطاف بن يوسف بن مولاه علي بن عبد الكريم بن حسن بن ابراهيم بن
سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن ادريس بن عبد الله بن
عيسى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب بن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الحسني المغربي نفع الله به آمين وأعاد علينا من
بركاتهم آمين والله اعلم وسمعت عن والدي السيد العلامة صلاح الدين
صلاح بن الإمام شرف الدين بن الحسين بن الامام عز الدين عليهم السلام
عن والده المذكور بن رفعه الى الامام علي بن المؤيد عليهم السلام
ان احمد بن علوان رحمه الله حسني من جهة الاب والاب زيدي
المذهب والله اعلم كتبه الفقير الى الله محمد بن عبد الله [illegible]
[illegible] في الدارين بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى
آله وسلم

الباب الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحق على الحقيقة واضح[1] الطريقة، ما لم تجد العقول الصافية، والأسرار الموجبة النافية، سبيلا إلى نفيه ولا طريقا إلى جحوده، اضطرارا قام[2] عليه البرهان، لا تقليدا لما رواه فلان عن فلان..

وذلك إذ[3] جالت العقول في آفاق الاستبصار بأجنحة الأفكار، فحصلت على معارف ذواتها، وإدراك غرائب صفاتها، فإذا هي أقباس قبس تزهر من نوره، ومصابيح زيت شجرة تخرج من طوره، متعلقة الذوات بذاته، مرتبطة الصفات بصفاته، وجودها لجواهر صورها هو وجوده، وجحودها لحقيقة كونها هو جحوده.

فكلما رامت أن تنفيه وقع النفي عليها، وكلما أرادت أن تجحده سرى الجحود إليها.

فلما اتضح لها هذا الدليل القوي، وأشرق عليها هذا البرهان المضي، كادت أن تتوهّم انما هي هو، أو هو هي.

فكما لا تجد إلى نفي ذواتها سبيلا، ولا لجحود[4] صورها طريقا، كذلك لا تجد سبيلا إلى نفيه، ولا طريقا إلى جحوده.

فحينئذ اتضح[5] لها طريق النسبة إليه، وعلمت أنها أنوار الدلالة عليه، كنوع التمرة[6] الدالة على صفة الغرس، وكمعنى الحركة الدالة على جوهر النفس، وكأنوار الفجر الدالة على ذات الشمس..

فلسان حال التمرة ينتسب إلى النخلة..

ولسان حال الحركة ينتسب إلى النفس..

---

[1] ق: وواضح.

[2] أ، ب: أقام.

[3] هـ، ب وأصل ق: إذا.

[4] أ، هـ: إلى جحود.

[5] هـ: اتضحت.

[6] أ، ب، هـ: الثمرة.

ولسان حال ضياء الفجر ينتسب إلى الشمس..

كذلك جواهر العقول الروحانية تنتسب إلى الأنفاس الربانية. (الوافر)

كأنهـــار الفـــرات بعـــذب ماهـــا تـــدل الـــشاربين علـــى الفـــرات
فذا مـــن ذا وذلـــك أصـــل هـــذا صفات من صفات مـــن صـــفات
لهـــا أصـــل تعـــود إليـــه حـــي حياة الخلـــق مـــن تلـــك الحيـــاة
ولولا كـــون ذا مـــا كـــان هـــذا كريح المـــسك دل علـــى الفَتـــات
فجاحـــــده كجاحـــــد والديـــــه وملحـــق نفـــسه بـــبني الزنـــاة
ولا عقـــل لـــه إذ كـــل عقـــل يدل عليـــه مـــن كـــل الجهـــات
صَـــــفت أوصـــــافه لمراقبيـــــه وأبهمـــت الأمـــور علـــى الغـــواة
ففـــاز العـــارفون بـــه علـــيهم كما فاز الخلـــوق[١] علـــى النبـــات

فلما انعقد الوجود بالوجود، واقترن الجحود بـالجحود، واتـصل سـبب الشاهد بالمشهود، والموجد بالموجود، خرس عن ترجمان الشك، وبهت عن محاورتهـا[٢] قهرمان[٣] الإفك، وكشف عن بصائرها الغطاء، وعرجـت في ملكـوت الـسماء[٤]، فأشرقت على مشارق الأزل، مكتحلة بأنوار من لم يزل، فعاينت نار هويته العاليـة[٥]، مشتعلة بحطب المعترضات[٦] الباطلة، اشتعالا أوضح[٧] برهانه فأبداه، وأحرق ما سـواه فأفناه.

[١] الخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران.

[٢] أ: محاورتها.

[٣] القهرمان: الوكيل أو الحاجب.

[٤] معدلة في ق: الأرض والسماء.

[٥] أ، هـ: المتعالية.

[٦] ب: المتعرضات.

[٧] ب: تلألأ بدلا من أوضح.

فلما[1] لم يبق في الوجود شيء يوصف بهو إلا هو، اشتملت هويته الأزلية على آفاق الوجود، والعقول قائمة بالشهود، فخرّت عند المعاينة بالسجود، ناطقة بألسنة الوجود والجود، تشهد أنك لأنت هو، السابق لكل هو، الخالد[2] في هوا هويتك الهاوية بكل هو، الماحية لكل هو، القائمة بكل هو، المخترقة لكل هو، المحيطة بكل هو.

- سبحانك سبّوح أنت: عما نسبت إليه نواسب الكدر، المتسبخة[3] بمقارنة الحجر والمدر، تنزهت ذاتك بذاتك لذاتك عن الازدواج والامتزاج، إذ لا صفة تشبه صفاتك[4] ،براءة منك لك بك، على ألسنة العقول التي أصفيت[5] لصفتك، إذ عاينت بنور تبصيرك ما جهل الغافلون من كنه عظمتك.
- سبحانك قدوس أنت: تقدست بطهارة جناب جبروتك عن التثنية والتثليث، إذ لا كفء لك من أهل ملكك وملكوتك، تقدساً[6] أفضت العلم به على العلماء بك، من حيث انعقدت أسباب عقولهم بسببك.
- سبحانك جواد أنت: جدت على كل من لم[7] يكن بالكون، وحملت خواصهم على جليل عرفانك بالعون، فأصبح بينهم وبين كل شيء بون، وتم جودك على من أوجدت، بإظهارهم[8] بالنظر إلى عجيب ما أظهرت، ثم تناهى جودك عليهم، فأطلعت بصائرهم على ما أخفيت وأسررت.

---

[1] ابتداء من هنا يوجد نقص في النسخة هـ وسنشير إلى انتهائه في محله (انظر ص١٢٢).

[2] ب: الخالق.

[3] أ: المتسنحنة، ب: المتسخنة.

[4] في أصل ق: صفتك، وفي ب: زاد فيها: "ولا ذاتا تشبه ذاتك".

[5] أصفيت: يقال أصفى للذي يحفر حتى يبلغ الصفا، وهو الحجر المانع من الحفر، وهنا بمعنى خلصت إلى صفتك.

[6] ب: تقديسا.

[7] في أصل ق: ما لم.

[8] ب: فأظهرتهم.

- سبحانك ماجد أنت: تمجدت عن مساماة العقول الهائمة إلى بلوغ معرفتك، المشتاقة إلى إدراك صفو صفتك، فعادت عنك بالشهادة المحضة لك لا عليك، وعطفت بالخضوع الدائم لك والتضرع لديك.
- سبحانك قَيُّوم أنت: أقمت الأشياء على الأشياء، وأنت القائم بالأشياء على الأشياء، العالم تحت أسرك، قائم على غير قاعدة عن أمرك، استقر بسكونه إلى تسكينك، وتمكن باتكاله على تمكينك.
- سبحانك قويّ أنت: حملت أثقال الكثيف على اللطيف وأنت الحامل لما حملت، فلا[١] يتحرك ولا يتزلزل، ولا يميل[٢] ولا يتحول، ولا يرتفع ولا يتنزل.
- سبحانك باسط أنت: يداك مبسوطتان بالعطاء، تعطى الدنيا من تشاء وتعطي الآخرة من تشاء، أشرت بذلك إلى كثرة الإنفاق، وقسمة الأرزاق من نعمك السابغة في الدارين، تعاليت أن توصف بيدين، ذواتي كفين وعضدين، علوا كبيرا.
- سبحانك قابض أنت: قبضت فما تنسب إلى التقتير، وبسطت فما تنسب إلى التبذير، قبضك بلاءٌ للصابرين، وبسطك بلاءٌ للشاكرين، وذَلِكَ عَدْلُك في العالمين، وعليه حسابك يوم الدين.
- سبحانك كبير أنت: تكبرت فما تخالطك الظنون، ولا تلاحظك العيون، فأنت اللطيف المكنون، لا تَماسُّك الذوات، ولا تماثلك الصفات، ولا تحيط بك الجهات.
- سبحانك عظيم أنت: تصاغرت لعظمتك العظماء، من أهل الأرضين والسماء، فكل عظيم تحت قهرك ضئيل، وكل عزيز تحت عزك[٣] ذليل[٤] ،قرنت البعوضة بإسرافيل، على بساط العبودية والتذليل.

---

[١] أ: فما.

[٢] ب: يتميل.

[٣] ب: عزتك.

[٤] في حاشية أ عبارة إضافية هي: "قرنت الذّرة بالفيل".

- سبحانك كريم أنت: نظرت بعين كرمك، في سلطان قدمك، إلى معدوم الصور، فبرأت لطائفها من نورك الذي زهر، وأنشأت كثائفها من الماء والمدر.

ثم رفعت من اللطائف من استحق التشريف، إلى سرادقات عرشك المنيف، وأهبطت إلى الكثائف من استحق التكليف، ونسي ميثاق عهدك الشريف.

ثم أفضت عليهم نعمك تترى، وأوزعتهم[١] حمدا وشكرا، وأنزلت عليهم كتباً تقرأ، محكمة نهياً وأمرا، فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك، فلم تقطع بكرمك عن[٢] الكافرين، ما أسبغت على الشاكرين، انتظارا لتوبتهم، وإمهالا لأوبتهم، ثم تناهى كرمك الجمُّ الغفير، وفضلك الذي لا يحيط به التقدير، أن آتيتهم الملك الكبير، على العمل التافه اليسير.

- سبحانك حليم أنت: سترت على خلقك فواضح العيوب، ولم تعاجلهم بالمعاقبة على الذنوب، وناديتهم نداء المحب للمحبوب: هل من سائل يعطى، وهل من تائب يتوب، كأنك أنت الطالب وأنت وعزتك المطلوب، حتى اغترّ بدوام حلمك منهم غلف القلوب، وجَهِله كل ذي عقل مسلوب، فأصرّوا على كل عمل فاحشٍ وحوب، فلنعم الربّ ولبئس المربوب.
- سبحانك قائم أنت: لا على ساق وقدم، تعاليت بالعزِّ وتقدّست بالكرم، بل على صفة العدل وتقديرٍ القسم، لم تَسْهُ عن تدبير خلقك لحظة ولم تنم، ما صفتك في الحدوث[٣] إلا صفتك في القدم، أنت ثَمَّ كَهُنَا، وأنت هنا كثَم.
- سبحانك دائم أنت: لا يتوقع لوجودك العدم، لّما خلقت اللوح وأجريت القلم، كتبت البقاء لنفسك والفناء للأُمم.

---

[١] أ، ب: فأوزعتهم.

[٢] ب: على.

[٣] أ: بالحدوث.

- سبحانك حيٌّ أنت: ما لحياتك سبب فتنقطع بسبب، ولا لوصفك الــذي أنت عليه منقلب.

من عين حياتك جرت ينابيع كل حي، وعن[1] بحر مشيئتك طرؤت[2] مواجيد كل شي، كالفروع المستمدة من الأصول، تُقَوِّيها مياه الأنهار والــسيول، فتبــسق[3] بدوام تلك القوة وتطول، ما لا تزال أصولها حيّة فهي لا تزول. (الطويل)

تدوم حياة الفــرع مــا دام أصــله ... على الدهر حياً يستمد مــن النــهر

فإن غيض مــاء أو أصــابته علــة ... تنكّس واستلقى الجميع على الظهــر

كذا الروح مهما قارن الجسم قــائم ... وينقــل عنــد الانتقــال إلى القــبر

إشــارة حــي نَــوَّر الحــيُّ عقلَــه ... فأصبح يــدري والمقلّــد لا يــدري

وثيقُ العرى جَــمٌّ المعــارفِ فــاتقٌ ... لما رتق المِرْدُ الموســوس في الــصدر

تناهت به ألطــافُ مــولاه فانتــهى ... إلى الفرقِ ما بين الحقــائق والــسِّحر

وبحرٌ بعيد الغــور يعــصف ريحُــه ... وأمواجُــــه بالجاهليــــة والكفــــر

توارت بــه أقــوالَ كــلَّ معطِّــل ... وأغرق أصحاب الطبــائع والــدهر

وعــاين أعيــان المواقــف كَلَّهــا ... ومسرى المعاني في العقول إذا تــسري

ومنطقها عمــا سَــرَى في عقولهــا ... من الجور والإنصاف والعُرف والنُّكر

فموقف[4] هذا دون هــذا وفــوق ذا ... لذا موقفٌ عن ذاك ألــسنهم تجــري

وما جُعَلٌ[5] مرعاه مرعــى لفــأرة[6] ... إذا ذَبحــت فاحــت بغاليــة العطــر

لذلك صاروا فــوق ســبعين فرقــة ... ومــا الحــق إلا في الحنيفيــة الــوتر

---

[1] أ، ب: ومن.

[2] طرؤت: لانت و لم تذبل.

[3] تبسق: ترتفع، وفي ب: فتتسق.

[4] أ، ب: فموقوف.

[5] الجُعَل:حيوان من الخنافس، أسود ذميم وكريه الرائحة.

[6] الفأرة: نافجة المسك أي وعاؤه: الجلدة التي يجتمع فيها المسك، وهي سرة "غزال المسك".

كمختلف الأشجار تسقى جميعها بماء وتأتي بالحلاوة والمر

- سبحانك لطيف أنت: لطفت فما تدركك الأبصار ولا تحدك[1] البصائر، وعلمت ما توسوسه الأسرار والضمائر، عن علمك تجري مختلفات الهمم والخواطر، فتنقلب بأحكامها قوالب مرادات القلوب، على حسب ما سبق لها عندك في المكتوب، حرفاً بحرف وأسلوباً بأسلوب، هذا يختار المحاسن وهذا يختار الذنوب، وهذا يصر على الذنب وهذا إليك يتوب، وعلى حسب اختياراتهم لضروب[2] الأفعال، يستحقون الفضل بالفضل والنكال بالنكال، ثم لطفت- سبحانك- بمعنى الرأفة والرحمة، من أهل سماواتك وأرضك بكل أمة، حتى اتصل لطفك بالبعوض والذر، وبالحيتان في البحر، والفراخ في البر، ثم بالنطف المنقطعة في الأرحام، عن تدبير الأبوين وسائر الأنام، فأجريت إليها[3] من لطائف الشراب والطعام، ما لا ينقص عن النفع ولا يزيد على التمام، إلى أن بلغتها إلى أشرف مقام، وأقصى كل أمل ومرام، تبارك اسمك ذو الجلال والإكرام.
- سبحانك رحمن أنت ورحيم: أزلي في أبديتك، قديم في رحمانيتك، عطف أجرَته إلاهيتك ورحيميتك، لطف أجرَته رحمانيتك، انفردت بالرحمانية الربانية، وأشركت عبادك في الرحيمية الروحانية، فبالرحمانية قوام الأرواح وتواتر أنفاسها، وبالرحيمية[4] قوام الأشباح وتراحم أجناسها.
- سبحانك إله أنت: قلت أنا الله، فلها كل عقل في بحر إلاهيتك وتاه، وقلت أنا الرحمن، فطمع كل عقل منك بالعفو والغفران، وقلت أنا الرحيم، فعاذت الأنفس برحمتك من الجحيم.

[1] أ: تحدك.

[2] أ: لصروف.

[3] في أصل ق: لها.

[4] أ، ب: وبالرحيمية الروحانية.

- سبحانك بارئ أنت: برأت البرايا على غير أمثلة ولا سوايا، وقدّرت لهم القسم والعطايا، وأجريت عليهم الأحكام والقضايا، فكلٌّ منهم يعمل على شَاكلته، ويتحرك في معلوم سابقته، ﴿وعلى الله قصد السبيل ﴾[1].
- سبحانك مصور أنت: ركبت المركب وبسّطت البسيط، ونصبت الأعيان المختلفة وأدرت المحيط، ثم نظرت إلى الماء الرجراج، بعين القدرة ومعنى الاستخراج[2] في ظلم ثلاث ضيِّقة الفجاج، فتحركت فيه قوة القبول والقبض، لما يتصل به من الأغذية التي يمجُّها النبض، فتشرع بتقديرك مقادير الطول والعرض، على التماثيل الأصلية في الجوهر المحض.

ثم تناهت فيه دقائق حكمتك، وغوامض لطيف قدرتك، أن أظهرت على ظاهره إذ تلقيه على وجه الأرض معاني التشبيه، نوعاً من والدته ونوعاً من أبيه، لا كما يزعم أهل الزندقة والتمويه، أن ذلك تدبير الكواكب السبعة وفعلها فيه، كذب -والله- أولئك الأوغاد، ببرهان يشهد[3] بصحته الأشهاد، هل تتأتى الصور العقلية عن الجماد، من غير واسطة بيِّنة الرشاد، مميزة بين الصلاح والفساد؟.. إنما هي آلة كآلة النّجار والحدّاد، متعلقة بأمر الله متحركة بما أراد.

- سبحانك سلام أنت: لأهل التسليم والسلامة والسلم[4]، أولئك الذين سلمت عليهم في غامض العلم، وفرضته كفرض حمدك على المصطفى، بكلامك المنزه عن الكدر والصفا: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[5].

---

[1] [النحل: ٩/١٦].
[2] أ: وبمعنى الاستمراج.
[3] ق: تشهد.
[4] أ: والسلام.
[5] [النمل: ٥٩/٢٧].

ثم أعدت السلام عليهم في دار النعيم، بغير واسطة بينك وبينهم في التكليم: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾[1]، فسلموا بتسليمك عليهم من العثار، واطمأنوا بقربك في دار القرار، وأمنوا بأمانك من دار البوار.

- سبحانك مؤمن أنت: لكل من آمن بك وبملائكتك ورسلك وكتبك، من دار نكالك وسخطك وغضبك، أولئك الذين بشّرتهم بكلامك يوم عليك يردون: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[2].
- سبحانك مهيمن أنت: تحفظ خواطر الأسرار، الجائلة في ميادين الأفكار، وتعلم مطارح البصائر والأبصار، مما تقتضيه الحواس، وتتصاعد به الأنفاس، وما تباشره الحركات، من المعاصي والطاعات، ثم تحفظ بمعنى الرعاية والإيناس، للأجناس المتضادة[3] من الأجناس، كالناس من الجِنَّة، والجِنَّة من الناس.
- سبحانك عزيز أنت: تعززت فما تتناولك[4] الأوهام، ولا تتأولك ثواقب الأفهام، ولا تقاومك مناصب الأقوام، ولا تعاظمك مراتب الإعظام، ولا تدركك حاسة، ولا تَمَاسُّك ماسَّة، ولا تقرك[5] قارة، ولا تمرك مارة[6] وفي ذلك أنزلت كلاماً بديعاً سميعا: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾[7].

- سبحانك جبّار أنت: جبرت العدم على الوجود فدخل في عالم الشهود، وحكمت أنه كما بدأ يعود، ثم جبرت الساكن على الدور[8] بأحكام الحور

---

[1] [يس:٣٦/٥٨].
[2] [الأنبياء: ٢١/١٠٣].
[3] أ، ب: المتضاددة.
[4] أ: تناولك.
[5] أقرَّ: ثبت وسكن.
[6] مارة: فلان يمر فلانا أي يعالجه ويلتوي عليه ليصرعه.
[7] [فاطر: ٣٥/١٠].
[8] الدور: الحركة، عود الشيء إلى ما كان عليه.

والكور[1] ،فاحترك بامتثال أمرك على الفور، من طور أوجبه قضاؤك إلى طور، ثم جبرت المتحرك على السكون، فكان كما سبق في مشيئتك أن يكون، لا تحوله الشهور المارة، ولا السنون.

ثم لما[2] أردت التناسل بين أجناس الحيوان، جبرت بالشهوة على ما يأتلف به الزوجان، فتواتر لذلك وجود الأعيان عن الأعيان، على ممر الأزمان إلى آخر الأوان.

- سبحانك متكبر أنت: تكبرت عن المناظرة فلا مناظر[3]، وعن المحاضرة فلا محاضر، وعن المجاورة فلا مجاور، وعن المؤازرة فلا مؤازر[4]، تكبرت بأحدية انفرادك مكتفياً عن كافة عبادك، واتصفت بصفة الكبرياء لعلوّك عن جميع الأشياء، فلا يعلم لك أنداد ولا أكفاء، لا من أهل الأرض ولا من أهل السماء.
- سبحانك ملك أنت: فطرت الأشياء بقدرتك، وصورتها بلطيف حكمتك، وجمعتها[5] في بسيط قبضتك، وملكتها بسلطانك وقوتك، وحجبتها جميعا عن رؤيتك.

ثم تعرفت من خواصهم إلى[6] أرباب العقول،. الفهماء لفحوى ما تقول، ولم تزل على ألسنة أنبيائك تناديهم، وتتقرب بألطافك إلى معانيهم، ولو أظهرت[7] أسرار ملكك لقاصيهم ودانيهم، وتحققوا أنك آمرهم وناهيهم، وعلموا أنك في الدنيا كافيهم، وفي الآخرة مكافيهم، لأحسوا أخذ كفك بنواصيهم، ولانتقلوا إلى طاعتهم عن معاصيهم، ولخضع لقدرتك باديهم وخافيهم.

---

[1] يقال هذا الحور بعد الكور أي النقصان بعد الزيادة.

[2] لما: سقطت من ق.

[3] أ، ب: مناظرة، وكذلك ما يليها: محاضرة، ومجاورة، ومؤازرة في أ.

[4] ب: مزاورة.

[5] في أصل ق: وبسطتها.

[6] ب: إلى خواصهم من.

[7] ب: ولو شئت أظهرت.

- سبحانك قريب أنت: قربت[١] وأنت الرفيع الأعلى، لا بقطع مسافات بين من وإلى، ولا بمطابقة من أسفل وأعلى[٢]، ولا بموافاة من قدام وورا، ولا بمعارضة من جهة يمنى ويسرى، بل بإشارة يعلمها العلماء، ويفهم معناها الفهماء، شاهدها دوام الخشية والحياء، في قلوب المتيقظين الأحياء، ذلك ما بشرنا به عن بشراك الحبيب، بكلامك الشافي لكل قلب كئيب ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾[٣].
- سبحانك مجيب أنت: تجيب دعوة الداعي إذا دعاك. بالصوت ناداك أم بالفؤاد ناجاك، مبسوطة بالعطاء للسائلين يداك، للراغبين أولاك، وللزاهدين أخراك، تدعوك النواطق بغرائب الأصوات ومختلف اللغات، وتدعوك الصوامت بالذِّلّ والإخبات وتقلُّب الحالات.

إذا أمسكت الأمطار عن الأقطار، رفعت إليك البهائم الرؤوس والأبصار، وخضع لك النبات بالذبول والاصفرار، وخشعت لك الأرض بالهمود والاغبرار، فترسل ريحاً كالجواد الكرّار، فتثير سحاباً من لجج البحار، ثم ترفعها من الأهوية إلى مقدار، ثم تحملها مثقلة الأوقار، إلى حيث تأمرها بالوقوف والاستقرار، فيلمع بارقها بسيوف من نار، ثم يرعد راعدها بخطاب قهّار، معناه:

أيتها السّحابة إن الجبّار[٤] يأمرك أن تستهلي بماء مدرار، فجَرت لذلك ينابيع الأنهار، وتضاحكت[٥] الروض بفنون الأزهار، ولَغَت[٦] بتسبيحك الطيور في الأوكار، والبهائم في المراعي[٧] والسِّباع في الفلوات والقفار.

---

[١] أ: قريب.

[٢] أ: إلى أعلى.

[٣] [البقرة: ٢/١٨٦].

[٤] ب: إن الله الجبار.

[٥] أ، ق: وتضاحك.

[٦] لغت: نغمت.

[٧] "في المراعي" في ق فقط.

- سبحانك قدير أنت: لما جال في مشيئتك مراد الأشياء، أنشأت بقـــدرتك ما تشاء من الأشياء، فانتظمت في سلك الوجود وكانت في غيب العمـــى، ثم عرضت مقدوراتك على القادرين الحكماء، من فلاســفة الأرض وملائكـــة السماء، ناطقة بلسان حال التعجيز والعياء[١]: يا أنوار[٢] مـــن في الـــصفيح[٣] الأعلى، ويا أعيان[٤] من في السطيح[٥] الأدنى:
  - هل منكم من يخلق حيوانا من ماء؟
  - هل منكم من يخرج ماء من صخرة صماء؟
  - هل منكم من ينـــزل قطرة من السماء؟
  - هل منكم من يطلع نبتة من الثرى؟
  - هل منكم من يوقف نفسه على السِّن الوسطى؟
  - هل منكم من يتمتع بالشباب عن الهرم والفنا؟
  - هل منكم من يُحَوِّل الشتاء صيفاً والصيف شتاء؟
  - هل منكم من يجعل السماء أرضاً والأرض سماء؟
  - هل منكم من يجعل الضياء ظلمة والظلمة ضياء؟

فأجابوا إشارتك بأَلْسُنِ العجز والعياء، ولَبُّوا عبارتـــك بـــإخلاص الحمـــد والثناء، وأقروا بأنك أنت القادرَ والمبرم للقضاء، وأنهم العـــاجزون عـــن المعارضـــة والضعفاء.

- سبحانك خبير أنت بسرائر الأسرار وعقود الإضمار، قبـــل جولانهـــا في ميادين الأفكار، تتوارد على القلوب بعلمك توارد الأمطار علـــى الأقطـــار،

[١] أ، ب: والإيلاء.

[٢] أ، ب: بأنوار.

[٣] الصفيح: السماء.

[٤] أ، ب: بأعيان.

[٥] السطيح: المنبسط.

فتثبت[١] بالأفعال الظاهرة عن[٢] الاختيار، مما تشهده الأبصار وتكتبه الحفظة الأبرار، هذه أفعال أهل الجنة وهذه أفعال أهل النار.

- سبحانك رقيب أنت: تراقب نوازغ الوسواس ونوازع الحواس، ومراجع الأنفاس، ومختلفات الأجناس، على تباين أجزائها المنقسمة، وأشكالها المرتسمة، وأجسامها المجسمة[٣]، وسطوحها البسيطة، وخطوطها[٤] المحيطة، وجواهرها اللطيفة، وأرواحها الخفيفة، فأنت حدٌّ لكل ذي حدٍّ محدود، وأنت بعد لكل ذي بعد مرصود.
- سبحانك حفيظ أنت لما أحصيت فلا تضل ولا تنسى، ولما علمت واستقصيت من فعل من أحسن وأساء، تحفظ لخلقك كما تحفظ عليهم، وتنظر لهم كما تنظر إليهم، تحفظهم عن[٥] كل ما أرابهم من كل شيطان ضرّار وسبع ضار، لا يحجب شهودك مشهود عن مشهود، ولا يقطع بصرك موجود عن موجود، احترقت بنار شهودك الرسوم والحدود، فأنت الشاهد الحق، وما سواك مشهود.
- سبحانك هاد أنت: هديت الأنفُس إلى مساعيها، وألهمتها الفرق بين محاسنها ومساويهًا، فأنت سائقها إلى رحمتك وداعيها، وهديت البهائم إلى مراعيها، وكنت أنت مُسَخِّرُها وراعيها، فلك الفضل على قاصيها ودانيها.
- سبحانك شاكر أنت: شكرك للطائعين أجرك وحسن ثنائك، كما أن مقتك للعاصين ذمّك ودار بلائك، تشكر قليلاً من قليل، وتهب جزيلاً من جزيل، تهب على قدرك العظيم الجليل، لا على قدر عبدك الحقير الذليل.

---

[١] ب: فتبني، وفي هامش ق: فتنشأ.

[٢] أ، ب: على.

[٣] أ: المتجسمة.

[٤] ب: وحظوظها.

[٥] أ: من.

- سبحانك وَلِيٌّ أنت: تلي الأشياء كلها ولا تليك الأشياء، ولايتـك مـن حيث قربك المتهيئ كما تشاء، المتنـزه أن[1] يعُقَل أو يُـرَى، ولايـة عامـة لأهل الأرض والسماء، عبارتها الملك والقرب والإحصاء.

ثم تلي أولياءك ألطف ولاية: عبارتها الهداية، وحقيقتها الرعاية، أولئك:

- الفاعلون لكل ما أمرت به، الطائعون.
- التاركون لكل ما نهيت عنه، القاطعون.
- الخاشعون لجلال عظمتك، الخاضعون.
- السائحون في رياض ملاطفتك، الراتعون.
- الآيبون – فيما ساء وسَرَّ ونفع وضَرَّ– إليك الراجعون.
- السامعون لكلامك الذي كلمتهم، التابعون: ﴿إنمـا ولـيكم الله ورسـولُه والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[2].

- سبحانك وهّابٌ أنت: كان[3] من أجزل مواهبك وأجل عطايـاك، مَنُّـك بالإيجاد من العدم على براياك، فأصبحتَ مليكهم الحق وأصبحوا رعايـاك، تجري عليهم أحكامك العادلة وقضاياك، ثم ألهمتهم أن لا يعبدوا إلا إيـاك، لتصل[4] إليهم نعيم آخرتك بنعيم دنياك.

ومن لطيف مواهبك التي وهبتهم، وخفيِّ رعايتك التي بهـا أكرمتـهم، أن أعَنْتهم بالآلات التي يستطيعون بها[5] فعل الخيرات[6] والطاعات على جميع الحالات:

بالعقول ليعرفوك، والنفوس ليعبدوك، والأجسام لينـزهوك ويفـردوك. والألسنة ليذكروك. والأعين ليبـصروك. والآذان ليـسمعوك. والمـشام ليرتـاحوا

---

[1] ب: عن أن.

[2] [المائدة: ٥/٥٥].

[3] ابتداء من هنا فقدت محتويات النسخة ق حتى ص(٩٠).

[4] ب: لتصلهم، ق: لتصل لهم.

[5] ب: بها على.

[6] لفظ "الخيرات" ليس موجودا في أ.

روائحك فيجدوك. والمطاعم ليذوقوا نعمك فيشكروك. والملامس ليجدوا لين ثوابك فيرجوك، وخشونة عقابك فيخافوك. والفروج لتظهر عنهم نسلاً فيسبحوك ويقدسوك. والجوارح ليطيعوك ولا يعصوك.

- سبحانك غني أنت: خلقت الخلائق لأنفسهم، لا لوحشة كانت بك إلى أنسهم، فأنت الغني عنهم وهم المحتاجون إليك، الجاثون على رُكَب الافتقار وذلة الصّغار بين يديك، المتوكلون بمعانيهم في الحقيقة عليك، الخائفون لك المتضرعون لديك، يسبحونك بألسنة كمال قدسك:

سبحانك أنت الله الغنيُّ بنفسك، عن ملائكتك وجنّك وإنسك.

سبحانك أنت الله قامت القواعد على أُسِّك[1]، وبسَقت الفروع عن مُروع[2] غرسك، ورفعت الرؤوس إلى طلوع شمسك.

سبحانك أنت الله المتكمل لأوصاف الغنى، خزائنك من الخيرات ملأى، لا تنقصها المواهب ولا يفنيها العطاء.

- سبحانك أَوَّلٌ أنت: كل ثان[3] يخبر عنك بالأحوال والأعيان، لا قبل لأوليتك إلى منقطع الأوان، بل أنت دهر الدهور وزمن الأزمان، لا تجاوزك العقول ولا تحدّك الأذهان، لا مكان لذاتك ولكل شيء مكان، أنت[4] العالم في علمك كالسر في الإعلان، وأنت المتصرف بما كان وبما يكون والآن.
- سبحانك آخرٌ أنت: لا بعد لآخريتك كما لا قبل لأوليتك، سبحانك لا تضاد صفاتك ولا تختلف حالاتك، كيف والأمر أمرك والأوقات أوقاتك، والليل والنهار، والحجج[5] والأدوار، والفلك الدّوار، والأرضون والبحار، والأهوية والأقطار، والسماوات والأنوار، والجنة والنار، علاماتك وآياتك، وأفعالك وآلاتك.

---

[1] أس الدار: بنى حدودها ورفع قواعدها.

[2] مروع: من المرعى وهي الخصيب والكريم، وفي ب: على مروع.

[3] أ: أول أنت لكل ثان، ب: أول أنت لكل أول وثان لكل ثان.

[4] لفظ "أنت" غير موجود في أ.

[5] أ، ب: والحج.

في قبضتك الجواهر الخفية، والأشكال الوصفية، والجهات الظرفية، الأمامية والخلفية، والفوقية والتحتية، والطولية والعرضية، فكل شيء منها محصور في قبضة محصور، مقدور في سعة مقدور، وإلى علمك تصير الأمور، وينقطع فهم الناظر وحَدُّ المنظور.

- سبحانك ظاهر أنت: على شواهد ما أظهرت من الأجناس، لا كظهور المحسوسات المدركة بالحواس، بل بعبارة ما أظهرت لعقول الناس، مما يقع به اليقين ويرتفع الالتباس، من كل ما لا يأتي[1] أحد من دونك بمثله، ولو اجتمعت الإنس والجن والملائكة[2] على فعله، فلذلك يصير الناظر إليه مُقِراً بتوحيدك، معترفاً بأنك أنت الظاهر بعين كرمك وجودك.
- سبحانك باطن أنت: برأت الجواهر اللطيفة، والأرواح النورانية الخفيفة، وقرنت بعضها بالأجسام الكثيفة، والآلات البدنية الضعيفة، ورفعت بعضها[3] إلى الرتب المنيفة، والأرجاء العالية الشريفة، فالظاهر رسمك المرسوم وحكمك المحكوم، والباطن سرُّك المعلوم ولطفك المفهوم، وَكُلٌّ "بإقامتك يقوم، وبإدامتك يدوم، إلى أجَل معلوم"..
- سبحانك رؤوف أنت: برأفتك ربَّيْتَ النطف في الأرحام، ووقيتها الأعراض والآلام والأسقام، إلى أن بلغتْ إلى التمام، وانتظمت في سلك ذوي العقول والأفهام.

ثم زرعتَ الرأفة في قلوب الأُمَّهات لأطفالها، فهي لاهية بأشغالهم عن أشغالها، فانية بالنظر إليهم في إدبارها وإقبالها، مقبلة عليهم بأقوالها وأفعالها، وكذلك كل حيوان من أضدادها وأشكالها.

- سبحانك خالق أنت: خلقت لا مقتدياً بإمام، بل على غير أمثلة صنعت جميع الأنام، من الملائكة الكرام، وذوي الطبائع والأجسام، من الناس

---

[1] أ، ب: من كل ما يأتي.

[2] أ، ب: والملائكة والناس. وهنا تكرار حيث قد وردت كلمة الإنس.

[3] ب: بعضها على بعض.

والأنعام والحشرات والهوام، ونوّرت لمن يعقل منهم الأفهام، وسهَّلتَ عليهم مخارج الكلام، فترجمت ألسنتهم لك بالإجلال والإعظام. فجميع الأمم أبدعتَ خلقها، وتولَّيتَ جمعها وفرقها، وقدَّرتَ آجالها ورزقها، ويسَّرتَ سبلها وطرقها، وقلت قولاً تصف فيه جلّها ودقّها: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾[1].

- سبحانك حسيب أنت: أحصيت على القلوب خواطرها، وعلى العيون مناظرها، وعلى الآذان مجالسها ومحاضرها، وعلى الألسنة مواردها ومصادرها، وعلى الجوارح مكاسبها ومآثرها، فتكافئ من تشاء على ما[2] تشاء، وتعافي من تشاء عن ما تشاء، بيدك مفاتيح[3] الجزاء، وملك الآخرة والدنيا[4].

تكفر عن أوليائك بالبلاء، ما تحجبهم به عن البلاء، لتخلص لهم دار البقاء، ومحل الكرامة والرضاء، وتسبغ على أعدائك النعماء، وتغفلهم بالثروة والغنى، وتعافيهم من كل بلاء، إلى أن يصادفهم الفناء، وهم من الغفلة في غطاء، لتوردهم دار الشقاء، ومنزل الحسرة والعناء.

- سبحانك عفو أنت: تعفو عن التائبين، وتقبل على الآيبين، وترحم المذنبين ولا[5] تردهم خائبين، وإذا عفوت عن الذنب لم تعاتب عليه، لئلا يخجل المذنب عند[6] إحسانك إليه، وتُنسي الحفظة ما كثر من سيئاته، وتذكرهم ما قَلَّ من مناقبه وحسناته، وتقلب صفتهم[7] عن مذموم صفاته، حتى ينعتوه بأشرف نعوته، ويذكروه بأحسن حالاته، ذلك بإخلاصه لك في

---

[1] [البقرة: ٢/٢٦].

[2] ب: من.

[3] إلى هنا انتهى النقص في لنسخة ق وهو الذي بدأ ص(٨٧).

[4] م: والأولى.

[5] أ، ب: فلا.

[6] أ، ب: عن.

[7] ب: وصفهم.

معاملاته، وصدقه في ضروب أفعاله وطاعاته، ولو كان ذلك منه في آخر ساعة من ساعاته.

- سبحانك غفور أنت: تغفر للمستغفرين كثيرا، وتقبل منهم عملاً يسيرا، وتُثيبهم مُلْكاً كبيرا، ولا ينقص ذلك من خزائنك نقيرا.

تَسْتَحِبّ أن يستغفرك المستغفرون فتغفر، ويتوب إليك التائبون فتقبل وتعذر، ويسألك السائلون فتدر السماء وتمطر، وتعد إلى الآخرة من تشاء وتحضر.

لا ترد سائلاً خائبا، ولا تطرد واقفاً بالباب طالبا، ولا تفضح خائناً كاذباً، لعلّه أن يصبح إليك[1] راجعاً تائبا.

- سبحانك عَليٌّ أنت: إلى سرمد علوك، ودانٍ أنت بلا كيف لدنوك، البسيط لا يسعك، والمحيط لا يجمعك، والجهاتُ لا تردعك[2]، والوجوه لا تقابلك، والأطوال لا تطاولك، والأعراض لا تعارضك، والعيون لا تلاحظك. المعرفة بك سكينة، والنظر إليك طمأنينة، والتوحيد لك إقرار، والعلم بك اضطرار، لا تدركك الأبصار وأنت تدرك الأبصار، وأنت اللطيف الخبير.
- سبحانك قديم أنت: بهر شعاع نور قدسك، بصائر العقول الباحثة عن بدو شأنك، وكيفية ضياء برهانك، فانثنى منهم بصر كل بصير، عن سماء عُلُوِّ قدرك الجليل الخطير، ﴿خاسئا وهو حسير﴾[3].

الدهر بساط بسيط بسطتك، وفسطاط بهاء عزتك، أسَحْتَ على ساحاته[4] النُّور السَّيّاح، ورفعت من ذلك النور صور الأرواح، وخاطبتهم بفصيح ألسنة العُلى: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾[5] ثم كتبت بعد ذلك عليهم الجلاء، وفصلتهم عن

---

[1] لفظ "إليك" في ق فقط.

[2] ب: لا ترجحك.

[3] [الملك: ٦٧/٤].

[4] ب: مناجاته.

[5] [الأعراف: ٧/١٧٢].

سلك نظام الملأ الأعلى، وأهبطتهم إلى دار المحنة والبلا وحبستهم في أجسام الفتنة والبلى.

- سبحانك حكيم أنت: طبعت[1] الطينة[2] الأصلية، المتناهية الكلية، على سرٍّ ما سبق به علمك، وقطع بكونه في أزلك[3] حكمك، فقبلت آثار مَشيئتك قبول المنطبع عن الطابع، وانطوت على أسرار عدل قبضتك[4] انطواء العبد[5] الطائع، فأنت المعطي بواسطتها وأنت المانع، وأنت الواصل بحركاتها وأنت القاطع، وأنت الضار بمختلف أحوالها وأنت النافع، وهي الآلة المهيأة وأنت الصانع، على حكم إرادتك غرب غاربها وطلع الطالع.

جسدانية: قربك[6] روحها، ومشكاة: نورك مصباحها، لا فعل لها مع فعلك، ولا قوّة لها مع قوّتك وحولك، اندفعت أنوارك عليها، فدفعت على أجرام الكواكب، فتشعشعت ساجدة لعظمتك بالإشراق، على سطوح الأرض وسبل الآفاق.

فحينئذ تحركت روحانيتها الملكية بخفيِّ التدبير، ودارت هياكلها الفلكية بظاهر التأثير، وجرت[7] كواكبها العلوية بقدر التقدير في بروج فلك التدوير، دالة بتنقلها على التحويل والتغيير، والإظلام والتنوير، وانفلقت بيضتها الكلية عن فراخ التصوير، وامتزجت أركانها المختلفة بالنطف الجارية بين صور التأنيث والتذكير.

---

[1] ب: صنعت.

[2] أ، ب: الطبيعة الطينية الأصلية.

[3] في أصل ق: وقطع به في أزل الآزال.

[4] ق: قضيتك، أ: أقضيتك.

[5] ب: المتعبد.

[6] م وهامش ق: قدرتك.

[7] أ: وحرّكت.

فظهرت عن كثائفها الأجسام البهيمية[1] والإنسانية، وسَرَتْ عن لطائفها الأرواح المستجنة والشيطانية، ونجمت من فضول قيضها[2] الأنواع النباتية والجواهر المعدنية الصفاتية، وجرت من غيوم برضها[3] الأنهار الفراتية[4]، وذَرَتْ عن هبوب نَفَسِها الأرياح[5] الجهاتية، على مقادير الحكمة الإلهية، والإرادات الذاتية.

فلما أثمرت شجرتها بالمطبوعات، وكمل الصنع بها للمصنوعات، تبلبلت الألسنة[6] الناطقة من خواصها بذكرك، وسجدت العوالم الكلية من أجناسها بشكرك، وخضعت الأرواح المتصلة بها من روحك لعُلُوِّ قدرك، فهي عازفة[7] عن طبائعها الحسية، عاطفة إلى أنفاسك الإلهية القدسية، مشتاقة إلى لطائفك الأنسية، كانعطاف الجنسية إلى[8] الجنسية.

إذا هَبَّ نسيم سماع ذكرك بآذانها، أزعجها عن أوطانها، وأظهر عجائب أسفها وأشجانها، تكاد تنتزع من أفئدتها وأركانها، شوقاً إليك وفَرَقاً من هجرانها، لا كالمنعكسة أرواحهم في أبدانها، المتعلقة أنفسهم بشيطانها، الهاوية باتباع أهويتها في نيرانها.

فلو علمت ماذا فاتها من رحمانها، لجرت بالدماء حدقها من أجفانها، يا طول والله حسرتها وأحزانها، ستعلم إذا قربت من أوانها، ماذا تصير إليه من كربها وهوانها[9].

---

[1] أ، ب: الأجسام الحيوانية البهيمية.

[2] القيض: قشرة البيضة.

[3] البرض: القليل من الماء، يقال العين بروض أي قليلة الماء، وفي أصل ق: مائها.

[4] الفراتية: العذبة.

[5] أ: الأرواح وكلا المعنيين جمع ريح.

[6] أ: الألسن.

[7] ب: فازعة.

[8] ب: على.

[9] أ: أهوانها.

- سبحانك حميد أنت: لا يتعلق بك الذم ولا المذموم، ولا ينسب إليك ما لا يليق بك من[1] المحكوم.

بالعدل والإحسان أمرت، وعن الفحشاء والمنكر والبغي زجرت، تعاليت أن تقطع عما أمرت به قهرا، وتقلست أن تجبر على ما[2] زجرت عنه جبرا.

إذاً كان ذلك للمسيء عذرا: لا تقيم عليه الشريعة حداً، ولا تنسب إليه الحقيقة وزرا.

- سبحانك عدل أنت: قرنت الأرواح بالأشباح، وألهمتها سبل الفساد والصلاح، وفرقت لها بين المحظور والمباح.

فمنها الراجعة إليك بوجه[3] الإقبال، المعتمدة عليك بحسن الاتكال، الباسطة لديك بالتضرع والابتهال، فهديتها إلى محاسن الأفعال، وحميتها عن مراتع الهلكة والضُّلال، وعصمتها من الزلل والأخطال، وحملت عنها ما بهزها[4] من الأثقال، حتى آلت بحسن توفيقك[5] إلى أحسن مآل، وانتظمت في سلك أهل الكرم والإفضال، تعجيلاً لثوابها، وجزاء بإقبالها ومتابها.

ومنها المعرضة عنك بوجه الإدبار، المنعكسة بطلب العزة والاستكبار، المستهترة بحب الدرهم والدينار، المستهزئة برسل الإعذار والإنذار، فوكلتها إلى أنفسها[6] الأمارة بغير ما تختار، فعميت عند ذلك عن الاستبصار، وظهرت عنها الأفعال السيئة والإصرار، فقضى عليها عدلك بدار البوار: ﴿جهنم يصلونها وبئس القرار﴾[7]، تعجيلاً لعقابها، وجزاءً بإدبارها وذهابها: ﴿كان ذلك في الكتاب

---

[1] ق: في.

[2] ب: عما.

[3] أ: بفرحة.

[4] بهزها: غلبها.

[5] أ، ب: توفيقك بتوفيقك.

[6] ب: نفسها.

[7] [إبراهيم: ١٤/٢٩].

مسطورا﴾[1] وفي غامض علمك قَدَراً مقدورا، ولم يكن المسيء بفعله مأمورا، ولا عليه مجبورا ولا مقهورا: ﴿فسوف يدعوا ثبورا. ويصلى سعيرا﴾[2].

- سبحانك متكلم أنت: تكلمت بأشرف الكلام، إذ كان من أجَلِّ صفات الحيِّ التّام، كلاماً لا يشبه كلام الأنام، يتقدس عن المخارج ا لبشرية والازدحام.
- سبحانك سميع أنت: لا كما يسمع أولو الآذان، بانتقال الصوت من مكان إلى مكان، بل تسمع وسوسة الجنان قبل تعلقها باللسان.
- سبحانك بصير أنت: لا بحدقة ولا أجفان، ولا يشغل بصرك عيان[3] عن عيان، استوت في بصرك[4] الأعيان المختلفة بالإسرار والإعلان.
- سبحانك عليم أنت: لا بخبر[5] ولا برهان، علمك بما يكون كعلمك بما قد كان، وبما هو الآن، لا ظل لمعلوم في علمك ولا عنوان.
- سبحانك كامل أنت: رسخت قواعد حلمك[6] على غير محدود، وبذخت شوامخ مجدك إلى غير مدرك ولا معمود[7]، استكملت أوصاف الكرم والجود، فلا مشكور يُعلم غيرك ولا معهود[8].
- سبحانك صمد أنت: نافيت الأشياء فلا تلائمك، وعلوت الأشياء فما تقاومك، لا ينفد فيك شيء من الأفكار، ولا تدركك الأبصار[9].

---

[1] [الإسراء: ١٧/٥٨].

[2] [الانشقاق: ٨٤/١١-١٢].

[3] أ، ب: ولا يشتغل بصرك عن عيان.

[4] ق: نظرك.

[5] أ: بغير خبر، ب: بغير عين ولا خبر، وكانت في أصل ق لا بعين ولا خبر.

[6] أ وأصل ق: حدك.

[7] معمود: قائم على أعمدة.

[8] مصححة في ق: محمود.

[9] ق: البصائر والأبصار.

لا على شيء فيرفعك، ولا في شيء فيسعك، ولا من شيء فيناسبك، ولاعن شيء فيقاربك، ولا بشيء فيقوم بك، ولا لشيء فيتصرف فيك.

الأشياء قائمة بك لا حالّة فيك، تبديها بحكمك ولا تبديك، وتخفيها في علمك ولا تخفيك.

- سبحانك مستو أنت: استويت على عرشك، استواء لا يقطعك عن فرشك.

استويت بقدرتك، على جنود فطرتك، بهبوب غيوب هيبتك، فكل ذي فوق يراك فوقه، وكل ذي تحت يراك عنده.

استويت بثبوتك فما تزول، لا بالصعود توصف ولا بالنزول، ولا بالتمكن تعرف ولا بالحلول.

اخترت أن ترفع إليك الأبصار، وتبسط إليك الأيادي[١] بالافتقار، وتقصدك إلى جهة الفوق، سكان طبقات التحت والفوق.

- سبحانك واحد أنت: في برج لألآء عظمتك، لا شبه لذاتك[٢]، ولا موصوف بصفتك[٣].

تواترت عنك ضروب[٤] الآحاد، وتكاثرت الحروف الأثرية والأعداد، وشهدت بأحديتك وبقائك الأشهاد.

وعلى ذلك أقول القول الْمُنزه عن التكذيب: لولا ثبوت أحديتك في الترتيب، لما ثبتت صورة[٥] ثانية في التركيب، كالأعداد المترتبة على الواحد، على

---

[١] أ، ب: الأيدي.

[٢] أ، ب: لا شبيه لك.

[٣] ق: يوصف بصفتك.

[٤] أ، ب: صروف.

[٥] أ، ب: صور.

كل صورة من صورها منه شاهد، وكذلك[1] على كل موجود من موجوداتك، رائحة من روائح صفاتك، صادرة عنك راجعة إليك، شاهدة لك دالة عليك: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾[2].

- سبحانك واسع أنت: وسعت كل شيء[3] كرماً وحلما، وإحاطة وعلما، ورحمة ولطفا، ورأفة وعطفا، سعة شاملة بأسرار معانيها، للعوالم المختلفة باديها وخافيها، لا كسعة الآنية لمستودع ما فيها.

منها تمدّ العلماء، وتمنح الحكماء، وتقسم الأرزاق بين أهل الآفاق، بقولك لما في الحركة والسكون: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾[4].

- سبحانك محيط[5] أنت: بما أوجدت من أجناس ما أشهدت، فلا يفوتك شيء مما دبَّ ودرج، ولا مما نزل وعرج، ولا مما ولج وخرج، ولا مما فَزَّ[6] وسكن، ولا مما ظهر وبَطَن، ولا مما قرب وشَطَن.

إحاطة لا تمازجها الذوات، ولا تخالطها الصفات، لا ساحل لبحرها، ولا فوق لغمرها، ولا تحت لقعرها، ولا غاية لقدرها.

تتخلل الأشياء بلا مماسة، وتستوعبها بلا مداسة[7].

القلوب مساطع[8] أشعتها، والعوالم داخلة في لطيف سعتها.

لا تدرك بحاسة طبعية، ولا تفهم بقوة عقلية، إحاطة ملك قادر، وحكمة حكيم قاهر.

---

[1] ب، م: كذلك.

[2] [المجادلة: ٥٨/٧].

[3] "كل شيء" سقطت من أ.

[4] [يس: ٣٦/٨٢].

[5] أ: موجود.

[6] فز: فزع واضطرب.

[7] مداسة: إخفاء.

[8] أ، ب وهامش ق: مطارح.

- سبحانك بديع أنت: ابتدعت المبتدعات ابتداعا، واخترعت المخترعات اختراعا، لا اقتداء ببديع كان قبلك ولا اتباعا، ولا قياساً قست عليه ذلك ولا سماعا.

فكل موجود ينسب[١] إلى ابتداعك، وكل مشهود يتعلق باختراعك، يسبح بحمدك ويشير إلى اصطناعك، إلا من ركب بتنكيس الجهل رأسه، وسفه كما سفه الحمار نفسه.

أليس العاجز أن يأتي بمثل ذلك العالَم، إن العالِم عاجز كذلك، يضطره العلم إذا عقد[٢] هنالك، إلى الإقرار بأن العالَم مملوك وأنت مالك[٣].

- سبحانك شهيد[٤] أنت لشواهد الموجودات، قبل حلولها في الجهات، وتعلقها بالأعراض والصفات، وتحركها بالجوارح والآلات، فكأنما هي في حكمك محكوم عليها، كما كانت في علمك منظور إليها، ما خالفت بحرف مما كتبت حرفا، ولا نافت بوصف مما علمت وصفا.

على ذلك جرى حكمك وقضاؤك، واستقرت أرضك وسماؤك، ونزل داؤك ودواؤك، وجرت ريحك وانفتق هواؤك، وأكل رزقك وشرب ماؤك، وجدنا على ذلك من كلامك دليلا: ﴿قل كُلٌ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾[٥].

- سبحانك مقيت أنت بمعنى المكافات، ومضاعفة الأجور والمجازات، لأهل الوفا والمصافات، ثم لأهل الخطل والمنافات، كُلٌّ تقيت بعمله عند الموافاة.
- سبحانك فاطر أنت: فطرت الفطر، وصورت الصور، فكل مفطور أسيرك، وكل مصور جارك وخفيرك[٦]، الأمر أمرك والتدبير تدبيرك،

---

[١] ب: ينتسب.

[٢] عقد بمعنى نضج وأحكم، وفي أ: اعتقد، وفي ب: قعد أي جهز وتهيأ.

[٣] ب: المالك.

[٤] أ: شاهد.

[٥] [الإسراء: ٨٤/١٧].

[٦] الخفير: المستجير، وفي ب: حقيرك.

والصنع صنعك والتقدير تقديرك، ملأ السماوات والأرض وما بينهما عدلك ونورك. سبحانك فات العقولَ سِرُّك، والعيون ظهورك، لا تنكشف حجبك، ولا تنجاب ستورك.

- سبحانك قاهر أنت: لما قدرت قهرت، ولما قهرت فطرت، ولما فطرت أسرت، ولما أسرت حصرت..

فكل مقدور بعزتك مقهور، وكل مقهور بحكمتك مفطور، وكل مفطور بقبضتك مأسور، وكل مأسور بإحاطتك محصور.

الفوقية قهرك لذوي التحتية، والتحتية قهرك لذوي الفوقية، فلعلم ذلك[1] خضع لك العارفون، ولفهم ما هنالك خشع لك الخاشعون[2]، ولجهل ذلك نسيَك الغافلون[3]، وعمل بمعاصيك العاملون.

- سبحانك مُحْيٍ أنت: أحييت أموات الأول[4]، بقدرتك التي لم تزل، وخلقت الإنسان من عجل، وقدرت له[5] الرزق والأجل، فأصبح بعد الممات حياً منظورا، وبعد العدم شيئاً مذكورا، وبعد الصمم سميعا، وبعد الكمه بصيرا، وبعد الخرس ناطقاً، وبعد السفه خبيرا.

ثم أحييت قلوباً بمعرفتك، كانت ميتة بالجهل بك، وملأتها من حبك وخشيتك، ونوَّرتها بملاحظتك ورؤيتك، وأقمتها في صف رفيع حضرتك.

- سبحانك مميت أنت: أَمَتَّ أحياء الأبد، إلى أن لا يبقى أحد، من أهل الرقيع[6] والجدد[7]، وبقي الواحد وسقط العدد، هنالك تقول وقد ثوى

---

[1] أ، ب: فللعلم بذلك.

[2] أ، ب: الخائفون.

[3] ب: الجاهلون.

[4] ب: الأزل، في أصل ق: موات الأول.

[5] لفظ "له" غير موجود في أ.

[6] الرقيع: السماء، وفي ب: الرفيع.

[7] الجدد: الأرض الغليظة المستوية.

القوم، يا عبادي:﴿لمن الملك اليوم﴾[١]، أين كل متكبر جبار؟ أين كل ناه أمّار؟ أين من تعاطى ما ليس له من الفخار؟ فلا يسمع مجيباً من الأقطار، كيف وقد صُمَّت الأسماع وعميت الأبصار، وبليت الأجسام وطفئت الأنوار.

فتجيب قولك بقولك، بلسان قوتك وحولك: ﴿لله الواحد القهار﴾.

ومُميت قلوب أهل الإعراض عنك، لما رضيت بالدنيا عوضاً منك، فهي مُكبَّة على الأَعراض، مُصرَّة على دوام الإعراض، معتاضة منك بَئس المعتاض.

- سبحانك مَوْلَى[٢] أنت: أوليت الآلاء، وأسبغت النعماء، وبسطت يديك بالعطاء، لأهل الأرضين[٣] والسماء، فلك على أجناس فطرتك الولاء، ومتابعة الحمد والثناء.

سبحانك مولانا بعظمتك وتعاليك، ونحن[٤] مواليك وأبناء مواليك، نلوذ بعزتك ومعاليك، ونتوب إليك من معاصيك، لتجعلنا ممن يحبك ويواليك.

- سبحانك نصير أنت: تنصر أولياءك على أعدائك، لما استحقوا من نصرك واستوجبوا من ولائك، وتنصرهم على حسن بلائك، بحسن الصبر لك والتعلق برجائك، وتنصرهم على اتباع أوامرك واجتناب نواهيك، بتواتر توفيقك وتظاهر معانيك، يستطيعون طاعتك ولا يستطيعون معاصيك.

قويت عزائمهم إذ أنت لهم ظهير، على كل أمر صغير وكبير، وفزعوا إلى الاعتصام بركنك الجليل الخطير، إذ ناديتهم إلى ذلك في كتابك المنير ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[٥].

---

[١] [غافر: ١٦/٣٠].

[٢] أ: وال.

[٣] أ، م: الأرض.

[٤] أ، م: فنحن.

[٥] [الحج: ٧٨/٢٢].

- سبحانك ودود أنت: لأهل ودادك، قبل تخيرهم[1] في عالم إشهادك، ولذلك أنعمت عليهم بنعمة إيجادك، وأدخلتهم في جمل أحرفك وأعدادك، فأصبحوا مستأنسين بقربك فرقين من بعادك، أولئك أوتاد بلادك، وأنجم عبادك. جعلت لهم في كل قلبَ وُدًّا، لا يجد الناظر إليهم منه بُدًّا، أمراء وفدك الذين تنجز لهم يوم القيامة وعدا، من قولك الصادق خبراً وعهدا: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾[2].
- سبحانك متعال أنت: لا تعاليك العلويات، ولا تدانيك الأواسط والسفليات، ولا تمازجك الحسِّيات والعقليات، ولا تدركك الجزئيات والكليات، تعاليت بالإكرام والتنزيه، والإعظام والتأليه، عن التجسيم والتشبيه، والتحريف والتمويه علواً كبيرا.
- سبحانك حق أنت: الحق ذاتك، والحق صفاتك، والحق أسماؤك وكلماتك، والحق علمك وحكمك وقضياتك[3]، وملائكتك ورسلك وآياتك، بالحق وللحق قامت أرضك وسماواتك.

والباطل عرَض زائل ومحال حائل، لا يتعلق بك ولا يرتبط بسببك، بل هو صفر في إبريز ذهبك[4]، عند صيارف أهل المعارف بأسرار علومك وكتبك، زخرفه[5] الداعي إلى دار غضبك، الهابط من معالي رُتَبك، إلى أدراك حَرِّ لَهَبك.

سبحانك الحق وجودك وَجُودك، ووعدك ووعيدك، والباطل ضدك وكفرك وجحودك، قامت على ذلك شهودك، وجاهد عليه عساكرك وجنودك.

سبحانك تسرمد جديدك[6]، وتأبَّد صمودك، وفني إماؤك وعبيدك، وكذلك تشهد أن الحق من بقي وأنت ذاك، وأن الباطل من فني وهو ما سواك.

---

[1] تخيرهم: اصطفاءهم، وفي ب وق (بعد تعديلها) تحيزهم.

[2] [مريم: ١٩/٨٥].

[3] ب، م: وقضاؤك.

[4] أي الذهب الخالص.

[5] أ، ب: زخرفة.

[6] م: تسرمدت أحديتك، وفي هامش ق: وجودك.

- **سبحانك مُبين أنت: أبنت عن ذاتك بشواهد صفاتك، وأَبَنْت عن صفاتك بمحكَم آياتك وبيِّناتك، الحياة لكل حي تنبئ عن حياتك، والإثبات لكل شيء يخبر بإثباتك.**

لَمَّا احتجبت عن خلقك بأنوار سبحاتك، دلَّت عليك عجائب أرضك وغرائب سماواتك، فبان بذلك[1] لأهل معرفتك وأرباب مصافاتك، أنك أنت الحق المستشهد بموجوداتك[2].

- **سبحانك نُورٌ أنت: من جوهريات[3] نورك نبعت الأنوار القدسية، وبزغت الأضواء البدرية والشمسية، ولمعت البروق العقلية والحسية.**

القرَآن نور هدايتك، لأرباب ولايتك، إلى دار كرامتك، والقمران[4] نور دلالتك، لمن تحت رعايتك، على طلب رزقك وإدراك عبارتك.

سبحانك لك النور المتشعشع الملاك[5]، اللطيف عن متناول الإدراك، المستغرق للطائف الأملاك، المشرق على كواكب الأفلاك.

- **سبحانك ربٌ أنت: رَبَّيْتَ الأنوار بالأنوار، والأجسام بالأغذية والأعمار، وربَّيت النبات والأشجار، بالأنهار الجارية والأمطار.**

سبحانك لما أردت أن تخلق بشراً من طين، مَزَجتَ العفر[6] الخالص بالماء المعين، حتى تدارج بالتلطيف واختلط بالتعفين.

فنظرت إليه بعين التصوير والتكوين، فتَصَوَّر على ما أردت وتسوى، وهو رطب يتحوى ويتلَوى، فجففته بنار الشمس وأنفاس الهوى، إلى أن تصلب عن الرطوبة وتقوَّى، واجتمعت فيه أسرار ما في الأسفل والأعلى، فنفختَ فيه الروح

---

[1] أ، ب، م: في ذلك.

[2] أ: لموجوداتك.

[3] أ: جوهرية.

[4] القمران: الشمس والقمر.

[5] الملاك: الاقتدار، قوامه الذي يملك به.

[6] العفر: ظاهر التراب، وعدلت في ق هامش ق إلى: العفن.

القدسية، الجامعة للجواهر العقلية والحسِّيَّة، فتصرفت في جسده تصرف الإكسير، وهو على وجه الأرض مطروح أسيرَ، بالتبييض والتسويد والتحمير والتصفير، وأحالت[1] ما فيه من الرطوبة بلغماً ودما، وما فيه من اليبوسة عصباً رابطاً وأعظما، وما فيه من الطينة الخالصة مخاً ولحماً، وعروقاً نابضة وصمّا.

فأشرف من أفلاك حواسه على ملكك العظيم، ونظر إلى عجائب منظورات جنات النعيم، وهو لا يعرف ما التعلم ولا ما التعليم، فناجته القوة العقلية بلسان التفهيم، قل سبحان ﴿رب السماوات السبع ورب العرش العظيم﴾[2].

فلما أردت تناسل الأشياء من الأشياء، وإخراج الأحياء من الأموات، والأموات من الأحياء، سلخت من ضلعه اليسرى حواء، فمن ثم تجاذب الطبعان بين الذكر والأنثى، وتوافق الجنسان بالشهوات والأهواء، فاعتنق الجسمان بطبع مقتهر، وجرى الماءان بأمر قد قدر.

فسقطت النطفة من مسقطها، جارية إلى قرار مَحَطِّها، واختلطت في محل مكثها بخلطها، وانقطعت عن تدبير أبويها ورهطها، فتوليت حكم قبضها وبسطها، ورعيتها من نقصان الأغذية وفرطها، إلى أن نظمتها كاملة في سمطها[3]، فاستوجبت بذلك شكرها وحبها، وكنت على الحقيقة ملكها وربها، فأنت الرب بمعنى التربية الأصلية، وأنت الرب بمعنى الجبروت الكلية.

- سبحانك حنَّان أنت، تحنَّنت:

- " على آدم بعد الإهباط[4]، وقد أفرط على نفسه كل الإفراط، وأقمته بعد الإسقاط، وأسميته بعد الانحطاط.
- وعلى نوح المنتصر، لَمَّا كُذِّب وكُفِر.
- صالح وهود المبعوثين إلى عاد وثمود.

---

[1] أحالت: حولت.

[2] [المؤمنون: ٢٣/٨٦].

[3] السمط: الثوب.

[4] أ، ب، م: الانهباط.

- وعلى الخليل إبراهيم، ما بين المنجنيق والجحيم.
- وعلى ولده الذبيح، وقد كان لدمه يُبيح.
- وعلى الشيخ الكبير يعقوب، برَدِّ الفقيد المحبوب.
- وعلى يوسف ذي الجمال والحَب، إذ ألقي في غيابات الجب.
- وعلى الفارغ فؤادُها من الغم، إذ ألقت ولدها الرضيع في الْيَمِّ.
- وعلى الضرير أيوب، إذ ناداك نداء المكروب.
- وعلى المساهم المسهوم، ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾[١].

وتحننت بألطافك علينا، إذ أرسلت رسلك بالبينات إلينا، ووضعت كتبك الكريمة لدينا، فأنت اللطيف الحنان، وأنت الرحيم الرحمن.

- سبحانك مَنَّان أنت: مَنَنْتَ بتكوينك على من لم يكن[٢]، بقولك له: يا أيها العدم كُنْ.

ومننت[٣] بالأرزاق، ا لواقعة لكل مرزوق بالإنفاق، وبسطت[٤] بالإنفاق، ولم تقبض خشية إملاق.

ومننت بالهداية للضالين، وبالتفقه على الجاهلين، فأصبح خواصهم بك عالمين، وبطاعتك عاملين، ومن تمام إحسانك إليهم ومِنَّتك، وعدك أن تنقلهم إلى رياض جنتك.

- سبحانك صادق أنت: الصدق كلامك الأزلي، الناطق بالبرهان الواضح الجلي، الذي ليس عليه في الإيضاح مزيد، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾[٥] ، يتوارثه الصادقون عن الصادقين، ويرويه الناطقون عن الناطقين، يتنزه عن مقالات[٦] الفاسقين، ويتقدس

---

[١] [القلم: ٦٨/٤٨].

[٢] ب، م: على من لم يكن بالكون.

[٣] أ: ومننت عليه.

[٤] أ: وبسطت يدك.

[٥] [فصلت: ٤١/٤٢].

[٦] مصححة في ق: مقالة.

عن تأويلات المارقين، بتمييز آراء الجهابذة[1] السابقين، الفاتقين بالحكمة عن الحكمة[2] والراتقين، العلماء بالرحمن وما يرد منه، والخبراء بالشيطان وما يصدر عنه.

لا تتغشى ظلم الجهل قلوبهم، ولا يلج الشيطان أوديتهم ولا شعوبهم[3]، وذلك لما اتقوا محبوبهم، جعل لهم فرقاناً عرفوا به عيوبهم، فتركوا ما يريبهم إلى ما لا يريبهم، فلا تَقبل قلوبُهم[4] إلا الصدق وإن[5] كان خفيًّا، ولا تأبى إلا الكذب وإن كان جليًّا.

- سبحانك وارث أنت: إذ أنت الملك الأول، يتحول كل مُلك وملكك لا يتحول، استخلفت عبادك على أرضك استخلافا، وجمعتهم على موائد رزقك فيها أضيافا، فكلٌ أضاف بالتملك[6] إليه، ما جعلته مستخلفاً عليه.

فلما ظهر منهم ذلك، وأساءوا تصرفهم في مالك، وجهلوا أنك أنت المالك، عزلتهم عزلاً سريعا، وأمَتَّهم موتاً ذريعا، ورددتهم إليها بعد ما كانوا عليها، أفلا يَعُون من كلامك ما يسمعون: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومَن عليها وإلينا يرجعون﴾[7].

ثم ورثت الأفعال والأقوال، أدناها وأقصاها، في واضح كتاب ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[8].

- سبحانك باعث أنت: بعثت البعثة الأولى، في المدة الأزلية الطولى.

---

[1] أ: الجهابذة المجاهدة.

[2] "عن الحكمة" لم ترد في ب، ومضافة في هامش ق.

[3] شعوب: جمع شِعب وهي الطريق بين الجبلين، وفي م: وشعوبهم.

[4] أ: نفوسهم.

[5] أ: ولو.

[6] أ، ب، م: بالتمليك.

[7] [مريم: ١٩/٤٠].

[8] [الكهف: ١٨/٤٩].

بعثت الأرواح، المنبثة في زجاجة المصباح، الفائضة على مشكاة الأشباح، ثم هديتها إلى الصلاح، وألهمتها مناهج الفلاح، إلى أجل معلوم وحَدٍّ محتوم.

ثم قرنت الأرواح الإنسانية بالأجسام الطينية، وأنـزلت عليها الكتب الشرعية والأحكام الدينية، فمنهم شقي وسعيد، أمَتَّهم على ذلك إلى يوم الوعيد.

ثم تبعث البعثة الأخرى، لمجيء الطامة الكبرى، بعثة الأشباح المتفرقة الأعضاء، المتباينة الأوصاف[1] والأجزاء، فتجمعها كما فرَّقتها، وتعيدها كما خلقتها، ومن بديع صنعك[2] وحكمك الباهر العجاب، بعثك إياها لحماً خالصاً من التراب، ومنها أكلت السباع والكلاب، وطارت به الحدأة والغراب، ثم مات أولئك، وأكلهم مثلهم من الدواب، وكل ذلك عن نظرك ما غاب، ولا توارى بحجاب.

فإذا نفخ في الصور نفخة الجمع، فكأنما ينفتق لكل صغيرة وكبيرة منها سمع، فتتجاذب الأعضاء إلى الأعضاء، وتأتلف الأجزاء بالأجزاء، من جهات شاسعة شتى، فما هو من هذا لا ينجذب إلى هذا، ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾[3]، على مثل صورهم التي ماتوا عليها يحشرون.

- سبحانك برٌّ أنت: بعبادك الضعفاء، وإن بَدَت منهم القسوة والجفاء، تطعمهم وتسقيهم، وتمهلهم وتبقيهم، وتمنحهم وتؤتيهم[4]، ويكافئونك بمعاصيهم.

فسبحانك، يغضبونك[5] وترضيهم، ويمنعونك وتعطيهم، ويقطعونك وتأتيهم، ألم يعلموا أنك باريهم، وبائعهم وشاريهم.

سبحانك معلم البر الأبرار، ألمانُّ به على المصطفين الأخيار، والضانُّ به على الظلمة والفجار والكفار، لا تخلو من لطائف برِّك، سابحة في بحرك، ولا سائحة في بَرِّك، ولا ظاهرة في جهرك، ولا باطنة في سرك.

---

[1] ب ومعدلة في ق: الأوصال.

[2] هكذا في ق بعد التعديل.

[3] [الزمر: ٣٩/٦٨].

[4] م: وتؤويهم.

[5] أ، ب، م: يعصونك.

- سبحانك فتَّاح أنت: فتحت الأبواب المغلقة، بكل خير ومرفقة، وبكل بر وشفقة، وبكل معروف وصدقة، من منافع الدنيا والدِّين، فالخلائق بأبوابك والمساكين[1]، هذا يتضرع وهذا يستكين، وهذا يسترزق وهذا يستعين.

سبحانك فتاح الأمور والقضايا، على جميع الأمم والبرايا، طوراً بالنعم وطوراً بالبلايا، ذلك قسطك وعدلك في الرعايا.

سبحانك فتاح العلوم النافعة، على القلوب الخاشعة الخاضعة، فإذا هي طائعة راجعة، لِمَا خفضتَ خافضة، ولِمَا رفعتَ رافعة.

- سبحانك مبدي أنت[2]: مبدي ومعيد، وموجد ومبيد، أنت البادئ بذاتك لذاتك، قبل ظهور أنوارك وأسمائك وصفاتك، فلمّا أردت إبداء صور العبيد، وكل مشهود من الخلائق وشهيد، تصوَّرت صاغرة كما تريد، لم تنقص عن مرادك ذرة ولا تزيد، وعلى ذلك نشهد أنك لمَا بدأت تعيد، ونستشهد[3] بكلامك المُنزه[4] المفيد: ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾[5]، يوم ينفخ في الصور: ﴿ذلك يوم الوعيد﴾[6]، تعيد الشَّقيُّ للشقاء والسعيد للمزيد، لا يشك في ذلك عاقل ولا بليد، ولا الشيطان المتجاهل المريد، بشاهد قوله الخبيث الملعون: ﴿رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾[7].

---

[1] معدلة في ق: كالمساكين.

[2] ق: مبدي أنت ومعيد وموجد أنت ومبيد.

[3] أ: وتستشهد.

[4] ق، م: المتنزه.

[5] [ق: ٥٠/١٥].

[6] [ق: ٥٠/٢٠].

[7] [الحجر: ١٥/٣٦].

فعجباً لعبادك الذين لا يعقلون، أيوقن شيطانهم بالمعاد وهم يَشُكُّون، ويُثبِتُ البعث والقيامة وهم يمترون: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾[١].

أليس من الطين اللازب سللتهم، وإلى النبات المثمر رفعتهم، وفي حبوب الأغذية أضمرتهم[٢]، وآباءهم وأمهاتهم أطعمتهم، ومن الأغذية إلى الدماء أحلتهم، وبالْمَنيِّ من الدماء استخرجتهم، ومن الذكور إلى الإناث صيَّرتهم[٣]، وفي ظُلَم الأرحام أقررتهم وجعلتهم وذلك قولك في كتابك المبين: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٤].

اقتدرت على ذلك بغير معين، فكيف يعجزك أن تعيده يوم الدين، لقد عدم التوفيق من عدم اليقين.

- سبحانك رزاق أنت: لا يقتضي عدلك وأنت الخالق، أن يكون لخلقك من غيرك رازق، كيف وكل مرزوق لا يعلم أنَّى يشرب وأنَّى يطعم، حتى خلقت له الفم، من قبل أن يرتضع ويفطم[٥].

فلما وضعته الوالدة إذا تم، وقع على الأرض صارخاً من الغم، فألهمته أن يَمُصَّ[٦] الضرع ويلزم، وأجريت له لبناً خالصاً من بين الفرث والدم، لعلمك أنه أخص بطبعه وأقوم.

حتى إذا أصبح غلاماً يعقل ويفهم، تحمل التدبير لما قسمت والهم، وركب البر طالباً لذلك[١] واليَمّ، وتكلف في ذلك لزوم ما لا يلزم، ولو لزم التوكل لأكل

---

[١] [هود: ١١/٢٢].

[٢] ب: أخمرتهم.

[٣] مصححة في ق: صببتهم.

[٤] [المؤمنون: ٢٣/١٢-١٤].

[٥] أ، ب: يرضع ويطعم.

[٦] ق: يمتص.

وأطعم، ولتنعم بما تأتيه به[2] وأنعم، والرزق مقسوم لمن تـأخر وتقـدم، ألا يـسمعون كلامك الصادق فيثقون، وإقسامك عليهم في كتابك المكنون: ﴿وفي السماء رزقكـم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون﴾[3].

- سبحانك وكِيْلٌ أنت: لا تَكلُ أحداً إلى رعاية أحد، لا ولـد إلى والـد، ولا والد إلى ولدَ، إذاً لضاع منَ اتكل إلى سواك وفسد، إلا الذي عدل عـن الطريق ومَرَد[4]، واتخذ الغيَّ سبيلاً وشرد[5]، فما صام ولا قام ولا ركـع ولا سجد، ذلك الذي خلا به اللعين[6] واتَّحد، ذلك الذي وكلتـه إلى الـنفس والجسد.

فعليك يتَّكِلُ العارفون، وبك يثق العلماء الواقفون[7].

- سبحانك كفيل أنت: تكفلت بالأرزاق، إذ أنت الملك الخـلاق، تـرزق المنقطع والمكتسب، هذا من حيث يحتسب، وهذا من حيـث لا يحتـسب، وكل تيسر له ما[8] كتب، لا بانتزاحه ينتزح ولا باقترابه يقترب.

سبحانك لو وثق بكفالتك كل من تحت رعايتك، لأكلـوا مـن موائـدك المختصة بأهل كرامتك، لكن سبق في علمك ما هم فيه يكدحون، هـؤلاء يروحـون وهؤلاء يسرحون ﴿وكُلٌ في فلك يسبحون﴾[9].

---

[1] في أصل ق: لذاتك، وعدلت إلى: لذاك.

[2] أ: يأتيه، ولفظ "به" من ق فقط.

[3] [الذاريات: ٥١/٢٢-٢٣].

[4] مرد: عتا وعصى، وفي ب، م: وشرد.

[5] ب، م: ومرد.

[6] أ: الغين.

[7] ب: الواثقون.

[8] أ وق (مصححة): ما قد.

[9] [يس: ٣٦/٤٠].

- سبحانك طاهر أنت: طهارتك تنـــزهك، وتنـــزهك تَأَلُّهُك، وتأَلُّهُـــك تَوَحُّدُك، وتَوَحُّدُك تَمَجُّدُك عن كل ما نفث به الباطل من الباطل، ووســـوس به الخاطل إلى الخاطل، وفاهَ به المعطل العاطل، من الـــشرك الـــذي يعتقـــده الجاهل، ويَدين به المتحرف[١] العادل، عن سبيل كل مهـــذب عاقـــل، عـــالم بالعلم عامل، وعن التثليث بالصاحبة والولـــد، وعـــن التـــشبيه[٢] بـــالروح والجسد، سبحانك بل أنت الفرد الأحد، المتنـــزه الصمد، الْمُتَعـــرِّف[٣] لمـــن سجد وعبد، وتفكر واجتهد، والمتنكر[٤] على من تشكَّك وقعـــد، وتقـــاعس وعَنَد، وبرق بالمنكرات ورعد، ﴿هل يستوي الأعمى والبصير﴾[٥]، ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[٦].
- سبحانك مُجيرٌ أنت: تجير على[٧] كل شيء، ولا يجير[٨] عليـــك شـــيء، لا تضر العوالم من أَردت له نفعا، ولا تخفض الخوافض من أردت له رفعـــا، ولا ترفع الروافع من أردت له وضعا، ولا تصل الوسائل من أردت لـــه قطعـــا، ولا تعطي الأكارم من أردت له منعا، شملت الهيبة[٩] قلوب إنـــسك وجنـــك، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك.
- سبحانك ديَّان أنت: وكل مخلوق مدين، دينك الراتـــب علـــيهم هـــو المعرفة والدين، فمن وفى استوفى ثوابك يوم الدين، ومن ماطل فقد أشـــفى[١٠] بما اكتسب على سِجِّين، لذلك تبعثهم داخرين، وتنشرهم مـــن الأجـــداث

---

[١] ب: المنحرف.

[٢] أ: التثنية.

[٣] المتعرف إليه: جعله يعرفه.

[٤] المتنكر: المتغير عن حاله فيصير مجهولا وغريبا، وفي أ: المتكبر.

[٥] [الأنعام: ٦/٥٠].

[٦] [الشورى: ٤٢/٧].

[٧] لفظ "على" لم يرد في أ، ب.

[٨] أ، ب، م: ولا يجار.

[٩] أ، ب: إلاهيتك.

[١٠] أشفى: أشرف.

صاغرين، وإن كان أكثرهم لمن الساخرين، فسعد الذين عملوا على التصديق واليقين، وشقي الذين غفلوا عن الشهور والسنين، حتى أتاهم اليقين.

- سبحانك حاضر أنت: حاضر البقاع والمحاضر، وخليل كل باطن وظاهر، تعد الأنفاس وتستعرض الخواطر، وترعى الأسماع وتشهد النواظر، ماذا تعود به من المناظر، إلى حواصل النفوس والضمائر، حضور جبار على ما يشاء قادر، لا تدركه الأبصار ولا تَحُدّه البصائر.

فيا أيها الممكور به اخْشَ كمون ماكر[1]، فإنه لا يأمن مكره إلا كل خاسر، فلو كشف الغطاء ورفعت السواتر، لشهدتَ بحر العلم وإذ بك فيه ماهر.

(السريع)

يا أيها الغائب عن حاضر | وأيها الآفل عن سافر
من غاب عنه الحق مكراً به | لا تَسْهُ واحذر سطوة الماكر
إنّ كمون الليث في خِيْسه[2] | مكراً يراعي غفلة العابر

- سبحانك كاف أنت: تكفي من استكفاك، وتعفو عمن[3] استعفاك، وتوفي من استوفاكً، وتصفو لمن صافاك، وتكف بكفايتك، أكف الباسطين عن أهل رعايتك، الداخلين في كهف كلايتك، وتتحمل المؤن عن أهل ولايتك، لتفرغهم لذكرك وحسن عبادتك، فيقبلون على مراضيك ولزوم طاعتك، لتوجب لهم ثوابك في دار كرامتك.
- سبحانك شاف أنت: شاف[4] بالأحكام للأجسام، من الأسقام والأعراض والآلامً.

---

[1] أ، ب، م: الماكر.

[2] الخِيس: موضع الأسد.

[3] أ، ب: وتعفي من استعفاك.

[4] لفظة "شاف" الثانية لم ترد في ق.

وشاف بالقرآن للقلوب والأذهان، من الجهــل والطغيــان، ومــن الــزور والبهتان، ومن الإثم والعدوان، التي هي سموم من الشيطان، وسمائم النيران، وطبــائع أهل الخسران، هذا هو المذكور، في كتابك المسطور، الذي هو نور النور، ﴿يــا أيهــا الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾[1].

- سبحانك سَتَّار أنت: للعيوب والقبائح، ومُغَــط للــذنوب والفــضائح، ومُظهِر للجميل والصوالح، لولا سترك لما قيل هذا فلان صالح...

لَمَّا عهد العباد حلمك ودوام سترك، ظاهروك بالمعاصــي واســتخفوا مــن غيرك، ولو شئت لأصبح على وجوههم سمة من أمرك، تخبر عن علمك بمــا قــارفوا وخُبْرك[2].

ومن تمام جودك عليهم وعموم خيرك، أنك لا تفضحهم بما ســترت يــوم حشرك، إلا من مات مُصِرًّا على مخالفتك ونبذ أمرك.

- سبحانك وافٍ أنت: بوصف الكمال، لا النقــصان يقــع عليــك ولا الزوال.

وافي الصفات المستغرقات لكل معنى..تفني لما تحوي وليس تفنى..

وفَتْ[3] على أعلى العلا وأدنى الأدنى..العرش والكرسي لها كالأبناء..

وكُلُّ شكل فيهما ومبنى..كالشمس كانت عنك وعنها كنا..

فنحن منها وهي ليست منَّا..

- سبحانك جليل أنت: جَلَّ قدرك عن الإدراك والتقــدير، وتعــالى عــن التوهم والتفكير، وتقدَّس عن التحديد والتعــبير، وتمجَّــد عــن التأويــل

---

[1] [يونس: ١٠/٥٧].

[2] أ: من خيرك.

[3] ب: وقعت.

والتفسير، وتكبَّر عن التشبيه والتصوير، وتنــزه عن التحويــل والتغــيير، وتعَرَّف بالتأثير والتدبير.

انفردتَ بوصف الجلال والجمال، واتَّحَدْتَ بنعت التمام والكمــال، فــلا يتعبر[١] وصفك بمقال، ولا يجاب بكيفية[٢] عن سؤال، وكيف وليس للعقــول في كنــه عظمتك[٣] مجال، ولا للأسرار بِعِزِّ جبروتك اتصال، فأنت الجليل الخطير، وأنت العلــيُّ الكبير المتعال.

- سبحانك عام أنت: عمَّ البرايا جودك وكرمك وفضلك، كمــا عمَّهــم علمك وحلمك وعدلك، فالعموم في عموم رعايتك داخلون، والخــصوص في خصوص عنايتك بائتون وقائلون.

كشف في عموم علمك ما هم فاعلون وقــائلون، ومبطنــون ومظهــرون، وسامعون وناظرون، وهم لا يشعرون.

- سبحانك تام[٤] أنت: من الدهر إلى الدهر، واصــلٌ بأوصــاف الطــول والقهر، تقطع الأسباب ولا تقطعك الأسباب، وتحيط بالألبــاب ولا تحــيط بك الألباب.

تم قضاؤك بعلمك المحتوم، وحق كلامك بحكمك المحكوم، فعلــى مدرجــة علمك درج المعلوم، وعلى طريقة رسمك عبر المرسوم، وعلى قاطع حكمــك تحــرك المحمود والمذموم، إلى اليوم المعلوم.

غير أن العاصي ليس بمجبور على المعصية ولا مهضوم[٥]، ولا المطيــع بملــك مقرب ولا نبي[١] معصوم.

---

[١] ق: يتغير.

[٢] أ: بكيفيته، وفي ب: عن كيفيته سؤال.

[٣] أ: في كنه ذلك، وفي ب: في كنة ذاتك، وفي أصل ق: فيك.

[٤] أ، ب: محيط.

[٥] مهضوم: مغصوب ومظلوم.

هذا يثاب غير محابى[٢]، وهذا يعاقب غير مظلوم.

سبحانك تام الذات فلا تطاولك الـــذوات، ولا تحـــصرك[٣] الجهـــات، ولا تناسبك الصفات، فات مرامك أرباب العقول واستفات، فالحيرة[٤] مقام مـــن عرفـــك إلى الممات.

صورة الدنيا وإلآخرة، في تمام صـــفتك القـــاهرة، كالخردلـــة في الفـــلاة، وكالدعموص[٥] في متلاطم الفرات.

فلما وحَّدَتْهُ العقول بهذا التوحيد، ومَجَّدته بهذا التمجيد، قَرَّبها مـــن هَوِيَّـــة ذاته، تقريب اللامات من هاء مكتوباته[٦] [الـــ لـــ هـــ][٧]:

إذ الهاء من مكتوبات اسمه، عبارة عن هويته المختصة بعلمه.
وإذ اللامات اللاصقة بها، عبارة عن مقامات العقول منه وقربها.
وإذ تشاكل أقدارها في التحديد[٨]، عبارة عن اتفاق العقول له في التوحيد.
وإذ الخط الجامع لحروفها: [لله]، عبارة عن مواصلته للعقول وتأليفها.
وإذ الألف المنفصلة عنها [الله]، عبارة عن الأنفس ومـــا يـــأتلف بـــالعقول منها، إذا صح إعراضها عن الحس والمحسوس، وحَسُن إقبالها على الملك القدوس.

فهي بحسن الاستقامة تراقب، لعل أن يمشقها بقلمه الكاتب: [الله]..

فيثبت مركز[١] قدمها على الخط الجامع، وتجوز[٢] بلطف أدبها مرتبـــة المقـــام الرابع.

---

[١] أ: بنبي.

[٢] م: محاب.

[٣] أ: تحصيك.

[٤] م: فالخيرات.

[٥] الدعموص: دودة سوداء تكون في الغدران، والعامة تسميها البلعط.

[٦] أ: مكتوبة.

[٧] ربما كان لفظ الجلالة المكتوب بين القوسين من إضافات النساخ.

[٨] أ، ب: بالتحديد.

فإن اشتد خضوعها بين يدي المليك[٣]، أدغمها بدخول لام التمليك: [لله]..

وناداها بلسان الْمنَّة لتعي: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي)[٤] إلى عنصرك اللطيف، وأعرضي عن حِسِّ شهوتك الكثيف.

فصل

عبَّرنا بالحروف المتعلقة بأسماء الله الحسنى وصفاته، عن اللطائف المتعلقة بنوره[٥] وسبحاته، الممتثلة لأوامره وطاعاته، أولئك هم السابقون، والكرام المقرَّبون، على جهة[٦] التشبيه العقلي، والتمثيل المعنوي.

وكذلك نُعبِّر بالحروف المتعلقة بالأسماء المتوسطة، عن اللطائف المتوسطة، التي لا ترتفع هممها إلى الانتظام في سلك البررة الكرام، ولا تنخفض إلى الالتئام بأهل الفسوق والآثام، أولئك أصحاب اليمين، وذوو الاقتصاد في الدين.

وكذلك نُعبِّر بالحروف المتعلقة بالأسماء الخبيثة والصفات الشيطانية، كأسماء القاذورات، والجيف والآفات، والحركات المذمومات، عن اللطائف العاصية، المنقطعة القاصية[٧]، المقبلة على الشيطان، المعرضة عن الرحمن، أولئك أصحاب الشمال، وأهل البدع والضلال.

وكذلك نقول عما[٨] تنبئ به العقول:

---

[١] أ: مركب.

[٢] ب: وتحوز.

[٣] أ: الملك.

[٤] [الفجر: ٨٩/٢٧-٢٨].

[٥] لفظ "بنوره" لم ترد في ب ومضاف في ق.

[٦] ب، م: وجه.

[٧] أ، ب: القاسية.

[٨] أ: على ما.

إنّ الحروف المتعلقة بالأسماء الحسنى، والصفات الإلهية الكبرى، موضوعات وضعها الله تعالى لها، لا تفارق أسماءه إلى غيرها، كالنون المتعلقة باسم الرحمن، ليست هي النون المتعلقة باسم الشيطان، والسين المتعلقة باسم القدوس ليست هي السين المتعلقة باسم إبليس، فافهم الإشارة، وتفكر في هذه العبارة، ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾[1]، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] [العنكبوت: ٤٣/٢٩].

الباب الثاني

رسالة في الصورتين والولادتين الروحانية والجسدانية، وذلك نتيجة فكر ألْهَم الله إليه، ودلالة عقل أطلع الله عليه:

اعلم أيها الأخ وفقك الله[1] وهداك، أن:

- الرحم[2] هو المحل القابل لنطفة الجسم.
- والجسم هو المحل القابل لنطفة العلم.
- والعلم هو الخبر المؤدي إلى المستعلم، صفة المعلوم الغائب عن إدراك البصر.

والمعلوم على ضربين:

- معلوم لا تفارق صفته[3] ذاته، وهو الحق سبحانه.
- ومعلوم تفارق صفته ذاته، وهو الخلق.

وقلنا لا تفارق صفته ذاته، لأنه لا يخلو منه مكان، وصفته في أمكنة العلم به أظهر، كما أن صفته في غير أمكنة العلم به أخفى.

وأمكنة العلم به هي العقول، وأمكنة العقول هي القلوب، والقلوب من البواطن كالأبصار من الظواهر، تارة تَرِد عليها النفوس بليل الغفلة فتنام، فتنقطع عن العقول[4]، فتتواتر[5] عليها الخواطر المَختلفة كتواتر[6] أضغاث الأحلام على النائم،

---

[1] ق: وفقك الله تعالى.

[2] في النسخة أ: الرحمن بدل الرحم في جميع الرسالة.

[3] ق: صفاته.

[4] ب: عن العقول وعن القلوب.

[5] ب: فتتوارد.

[6] ب: كتوارد.

وتارة ترَد عليها العقول بنهار اليقظة فتنتبه بها، فتتواتر[١] عليهـا الخـواطر العلميـة، والحكمية، والإلهامية[٢] والإلهية.

وسمي القلب قلباً لتقلبه بين هذين الوصفين، وتوارد هذين الوصـفين علـى القلب كتوارد[٣] الليل والنهار على البصر، يبسطه النهار بنوره فينتبه، ويقبضه الليـل بظلمته فينام.

فإذا كان ذلك كذلك، فالأمر محمول على أن الباري سبحانه وتعالى، ركّب آدم على صورتين مختلفتين: روحانية وجسدانية، وجعل لكل صورة غذاء يليـق بهـا وتتم به، ولكل غذاء نتيجة، ولكل نتيجة مقر.

فأما الجسدانية فمقر نتيجة غذائها الرحم كما ذكرنا، ليكون ذلـك سـبباً مؤدياً إلى إنشاء صورة مماثلة لها.

وأما الصورة الروحانية فمقر نتيجة غذائها النفس الزكيـة، ليكـون ذلـك سبباً مؤدياً إلى إنشاء صورة مماثلة لها.

وليس مرادنا بالروحانية روح الحياة وإنما مرادنا[٤] روح العلم، لأن قوله عـز وجل: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[٥]، يدلُّ على أنه[٦] أراد روح العلم، ولم يرد روح الحياة، لأن روح الحياة لا يختص بها آدم مـن بـين سـائر الحيوان، بل هي موجودة في سائر الحيوان عامة، وهي النفس الحسية.

---

[١] ب: فتتوارد.

[٢] لفظ "والإلهامية" في ق فقط.

[٣] أ: كتواتر.

[٤] ب: هي، أ: هو (بدلا عن مرادنا).

[٥] [الحجر: ١٥/٢٩].

[٦] ب: أنه تعالى.

ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾[1] لما ركب فيه المحل القابل للعلم وهو العقل، فهم به ما علّمه عز وجل[2]، فعلمنا أن الروح الذي وقع به الخصوص والتمييز، غير الروح التي وقع بها الحس والحركة والحياة.

فقولك[3] لمن تُعلِّمه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الله لا إله إلا هو ﴾[4] بمنزلة النطفة الموضوعة في الرحم، فإذا انقطع عن النطفة الغذاء لسبب من الأسباب ضعفت وهانت ونقصت عن التربية، وبلوغ المماثلة لصورة أبيها الواضع لها، ويوشك أن تسقط فترجع إلى تراب- جهلها.

فحاجة النطفة الروحانية إلى الغذاء الذي هو تكرار الذكر، ودوام الفكر، ومجالسة العلماء بالشرائع، والعارفين بالحقائق، والواقفين بالدقائق، ليكون[5] بذلك تمامها[6] وكمالها، وبلوغها إلى الحد المتحد بالواحد عز وجل.

والحد المتحد بالواحد هو:

فناء الوصف بوصفه، وسكون القلب بوجوده[7]، وقرار[8] العين بالنظر إلى وجهه، وإصغاء السمع لكلامه، وارتياح الروح إلى لقائه...

كحاجة النطفة الجسدانية إلى الغذاء لتكمل به، وتبلغ إلى حدِّها المحدود، وصورتها التامة.

فإذا بلغت الصورة الروحانية إلى هذا الحد الذي ذكرنا، كان المتصور بها أباً روحانياً، وعالماً ربانياً تاماً كاملاً: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من

---

[1] [البقرة: ٢/٣١].

[2] ب: الله عز وجل.

[3] أ: فقولك إذاً.

[4] [البقرة: ٢/٢٥٥].

[5] ب: فيكون.

[6] لفظ تمامها لم يرد في ق.

[7] ب: بوجوده وتوحيده، أ: لوجوده.

[8] ب: وإقرار.

عباده ﴾[1]، فتكون نطفته كاملة لكماله، وولده وسيماً لوسامته، بالغاً إلى حده كبلوغه.

فإذا نقصت عن بلوغ هذا الحد بانقطاع غذائها، كانت بمنزلة النطفة الجسدانية إذا لم تبلغ إلى الحد المماثل لصورة أبيها، التَّام قوامه، الكاملة آلَتُه[2]، البالغ أشُدّه أربعين سنة، وكان المتصور بها أباً قصيراً، وعالماً[3] ناقصاً، وكانت له نطفة ناقصة لنقصه، كنطفة القصير الفاحش القصَر، الناقص الأعضاء، الذي لا يجاوز فخذ سواه، وحَرِيٌّ بالولد أن يشبه أباه، وقد سنحت إشارة من قوله تعالى:

- ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ الجهل.
- ﴿ثم من نطفة﴾، ثم نقلكم إلى نطفة التعليم.
- ﴿ثم من علقة﴾، ثم رفعكم إلى علقة التفهيم.
- ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ بالتفكر.
- ﴿ثم لتبلغوا أشُدَّكم﴾ بالمعرفة.
- ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ بالتعريف.
- ﴿ومنكم من يُتوفَّى من قبل﴾ البلاغ.
- ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ من مقام معلوم وحظ مقسوم.
- ﴿ولعلكم تعقلون﴾[4] خطابه، وتقرؤون كتابه.

فمن شغلته تغذية جسده عن تغذية روحه، فليلتمس أجره من الدود والتراب، فإنما هو عابدهما[5] وخادمهما، يطيب أغذيته ويسمن جسده، ليشبع دوده ويدسم قبره، فنعوذ بالله من ذلك[6].

---

[1] [غافر: ٤٠/٦٧].

[2] ق: بالكاملة إليه، أ: بالكمال إليه، ب: الكاملة بكمالته.

[3] ق: أو عالما.

[4] [غافر: ٤٠/٦٧].

[5] أ: عائذ بهما.

[6] هنا انتهى النقص الأول في النسخة هـ الذي بدأ ص(٧٧) وختمتها النسخة ق بجملة "تمت الرسالة".

فصل: في السماع

السماع رياح سماوية، تَهُب بأسرار المعاني الإلهية[1]، كمغناطيس الفولاذ، إذا أطل على ما هو منه، من الآلات المتفرعة عنه، ترامت عليه ترامي الجنسية على الجنسية، وتحركت إليه حركة الأجسام الحسية إلى الحسية.

فاعتبر أيها العاقل حركة أصحاب المواجيد، عند سماع ذكر الله الغني الحميد، بحركة مسامير فولاذ الحديد، إلى هذا الحجر بالطبع الغالب الشديد، ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[2].

إنما هو نفَسٌ قدسي، يتصل بمكنون نفَسٍ إنسي، محبوس في مشكاة جسد حسّي، فيذكره بمقعده[3] الأنسي، الذي سماؤه العرشُ وهواؤه الكرسي، هل تستقر سفينته عند سماع ذلك وهل ترسي؟.

ألم تعلم أن أباك آدم استنصح الخائن فغدر، وأهبط إلى دار المحنة لأمر قد قدر، عن ﴿مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[4]، فأصبح لا يسكن ولا يستقر، شوقاً إلى مقامه الشريف وقصره المشمخر[5].

فلأجل ذلك إذا الحبيب ذُكر، تغيَّر عن أوصاف السكينة وسكر، وتحرك بحكم غرامه المقتهر، فسُلِّم له عند أهلَ المعرفة[6] وعذر.

فيا أيها المنكر لحركة هذا المشتاق المحب، عند سماعه لذكر أوصاف[1] من يحب، ألا أدلّك على شيء إذا أنت فعلته لم تخب؟، يتعين على مثلك أن يجتهد فيه ويجب[2]؟

---

[1] أ: معان إلهية.

[2] [ق: ٥٠/٣٧].

[3] أ، ب، م: مقعدة.

[4] [القمر: ٥٤/٥٥].

[5] المشمخر: العالي.

[6] أ، ب، م: أهل الحقيقة والمعرفة.

استوصف لداء قسوة قلبك واستطب، فإنه عن قبول سماع ذكـــر الله قـــد قُلب، وعن حلاوة حُبِّه والشوق إليه قد غُطِّيَ وحُجِب، وأبك على مـــا فاتـــك مـــن حُبِّ الله وانتحب.

يا أخي أين سمعك عَمَّا إلى سيّدك أُوحِي، من قوله عز وجل: ﴿فإذا ســـوَّيته ونفخت فيه من روحي﴾[٣].

اسمع وعِزَّة من نَجَّى[٤] من الغرق نوح، وبذبح عظيم فَدَى الصريع المـــذبوح، لا يتحرك عند السَماع إلى ذلك السّوح، من لم تكن[٥] فيه حصّة من ذلك الروح.

فَنُحْ –يا أخي– على نفسك إن كنت تنوح[٦]، وأحسن الظن بكل ذي قلـــب مجروح، بشكر الله يغدو وبذكره[٧] يروح، شتّان ما بين صدر ضيِّق وصدر مشروح.

يا أخي: افهم معاني هذه الإشارات العجيبة، والقياسات المحكمـــة الغريبـــة، أليس النسيم يحرك الأغصان الرطيبة، النابتة في الرياض المونقة الخـــصيبة، فـــإذا مَـــرَّ بالجذوع اليابسة لا تَناد[٨]، ولو هبّتها[٩] الريح المسخرة على عاد، ومـــا كـــان البغـــل الْحَرون[١٠] لينقاد، إنما ينقاد الفرس الجواد: إن سقته طار وإن حَرَفتـــه[١١] عـــاد. وفي ذلك نقول:

---

[١] ق،م: عند سماعه لأوصاف.

[٢] هـــ: ويحب.

[٣] [ص: ٣٨/٧٢].

[٤] ب، م: أنجى.

[٥] أ، م، هـــ: إلا من تكن.

[٦] أ، م: لا تنوح.

[٧] هـــ: أو بذكره.

[٨] ناد: تمايل وتحرك.

[٩] هـــ: أهبتها.

[١٠] الحرون: الذي يقف ولا ينقاد.

[١١] حرفه: صرفه وأماله.

(مجزوء الكامل)

نَفَسٌ جرى بنــسيمكم[1] فأطــار نــوم ســليمكم
وأفــــاده بهبوبــــه كلفــاً بــدار نعــيمكم
شرب الهوى بكؤوســكم وأدارهــــا[2] بعلــــومكم
لَمّــا مُلــئن بحــبِّكم ومزجن مــن تــسنيمكم
أضحى ســقيماً بعــدها فارثوا لِمَــا بــسقيمكم
متحركــاً لــسماعكم سكران مــن تكلــيمكم
ويلومــه مــن لم ينــل ما نال مــن تكــريمكم

غيره[3]: *(الوافر)*

وجــود لا يلــم بــه الجحــودُ ووصــلٌ لا يُكَــدِّره الــصدود
وحولٌ قد أحــال مُحــال قلــب[4] فأصــبح وهــو حمّــاد حميــد
ووصف مــدرك بــالفهم صــافٍ صــفا للــشاربين لــه الــورود[5]
تــضَمَّنه الفــؤاد فــصار قربــا عليــه لقربــه يــرد الوريــد[6]
سبيل الحــق مــن حيــث المعــاني قريــب لــيس يعرفــه[7] البعيــد
لأهــل الحــب محبــوب محــب لأهــل الــود مــودود ودود
فقــل للطــالبين لــه أنيخــوا وقــل للــسائرين[1] إليــه عــودوا

---

[1] أ: بنسيمه.

[2] هـ: فأدارها.

[3] في ق: وقال أيضاً رحمه تعالى.

[4] ب، م: قلبي.

[5] أ، ب: الوريد.

[6] الوريد: عرق الوريد، ب: الورود.

[7] م: يدركه.

ألا إن الطريق إليه فيكم … فلا تنضوا[2] الركاب ولا تزودوا
فإن لم تعرفوه بكم ضللتم … فلا باب[3] إليه ولا وجود
تعرّف للأنام بوصفِ قرب … وعاه الشيخ منهم والوليد
بعلم حال بين المرء لطفا … وبين القلب يفقهه البليد
هو الثاني لواحدِ كل نجوى … إلى ما ليس يحصره العديد
وأوّل ثم آخر كل شيء … وظاهره وباطنه الشهيد
على الأرواح والأشباح مُحْصٍ … رقيب لا يفارقها[4] عتيد
فيا أهل اليقين بذا وهذا … لقد قامت على الشك الشهود
مَعاصٍ جمّة سفك وظلم … وطغيان يشبُّ[5] لها[6] وقيد
وترك للفرائض لا لعذر … وفعل للفواحش لا يبيد
أإيمان هنالك أم نفاق … وإقرارٌ هنالك أم جحود
قفوا وتفكروا فالحق حق … وهذا الوعد صِدق والوعيد
وذا القرآن مقروء عليكم … وهذا أحمد الهادي الرشيد
أصدقتم فما أنتم عباد … أكذبتم فما أنتم يهود
فما هذا التمادي والأماني … وما هذا التزحزح والشرود
أسُكّرٌ غالبٌ من غير خمر … وموت والحراك[7] بكم شديد

---

[1] أ، ب، م: للسارين.
[2] تنضوا: تهزلوا وتتعبوا.
[3] في أصل ق: بان وهي بمعنى البعد والمسافة.
[4] أ، م: لا يفارقه.
[5] هـ: تشب، ب، م: نشب.
[6] في أصل ق: له.
[7] الحراك بمعنى الحركة وتأتي بمعنى الامتناع، وفي ق: وانحراك.

وقوم تعقلون لأي شيء … خلقتم أم ذئاب أم أسود
وأبطال ذكور أم إناث … مغازلهن مرسلة تميد
وفتيان الحقيقة أم نعاج … تخالطها الثعالب والقرود
وقوم تعرفون الله حقاً … نعم، لكنكم غَلفٌ جمود
نيام والعيون ترى وصُمٌّ … ولا صمَمٌ وأطفال جدود
ألا خوفاً[1] أراه ألا حياءً … ألا حزناً ألا عيناً تجود
ألا دين عن الفحشاء ينهى … ألا علم لذي جهل يفيد
ألا عاصٍ يتوب ألا ركوع … يَدُلّ على الخشوع ألا سجود
فما هذي القساوة ليت شعري … قلوبٌ في القوالب أم حديد
تريدون الجنان وما لديها … وها أنتم لشهوتكم عبيد
لحرثٍ أو لكسبٍ أو لنسلٍ[2] … وأمر الله منبوذ بعيد
إلى ما ترجع الأجسام منكم … وتنتقل الهرائس والثريد
أمَا الشهوات تصبح في كَنيف[3] … أما[4] الأجسام تأكلهن دود
أليس حلالَ ما فيها حساب … أليس حرامُ ما فيها وقود
لذا تسعى الأكابر والرعايا … وتُتَّخذ العساكر والجنود
عصيتم ربكم لأخَسِّ شيء … فلا حقٌ يقام ولا حدود
أرَبٌّ كالمهيمن أم كتاب … كما القرآن أم كالسيف عود
أبالفردوس هل تشرى الدنايا … أبالرحمن هل يشرى الْمَريد[1]

---

[1] "خوفا، حياءً، حزنا" في هـ: خوف، حياء، حزن.
[2] أ، ب: لنسك؛ وهو المكان المألوف.
[3] الكنيف: المرحاض، وفي ب: كثيف.
[4] أ، ب: أم.

دعـــا داعـــي الإلـــه فـــلا مجيـــب   دعا الـــشيطان فـــازدحم الوفـــود
أمـــــا هــــذا عــــدوكم المَـــدلي   لوالـــدكم أمـــا هـــذا الحـــسود
ومُهبطــــه ومُهــــبطكم جميعــــا   إلى الـــدنيا ويكـــره أن تعـــودوا
يوسوســـكم ويـــأمركم بمـــا لا   لكـــم يرضـــى الإلـــه ولا يريـــد
فـــإن كنـــتم فَحُـــولاً فاســـتقيموا   فليس يُـــصاد فحـــلٌ بـــل يـــصيد
وصـــلى ربنـــا مـــا لاح بـــرق   على المختـــار واختلـــف الجديـــد[٢]

تقديس وتسبيح

سبحان من سبّحه[٣] الخلائق باللفظ،   سبحان من سبّحه اللفظ بالمعنى
سبحان من سبّحه المعنى بالإشارة،   سبحان من سبّحته الإشارة بالإلهية
سبحان من سبّحته الإلهية بالتوحيد،   سبحان من سبّحه التوحيد بالتفريد
سبحان من سبّحه التفريد بالصمدانية،   سبحان من سبّحته الصمدانية بالصفاتية
سبحان من سبّحته الصفاتية بالذاتية،   سبحان من سبّح نفسه لما انقطع تسبيح المسبّحين، وأثنى عليه[٤] حين وقف ثناء المثنين.

سبحان من سبّح التّسبيح في بحار قدسه، وانغمس في أنهار طُهره، فلما صلح للقدسية: أوصله إليه، ولاح بالطهورية[٥]: أقدمه عليه.. فانتثرت حينئذ كواكب رحمته على رؤوس المسبِّحين، وهطلت سحائب كَرَمه على أيدي المُتضرعين، وغمرت فوائض جوده فقر المفتقرين، واتصلت روائح روحه بأرواح العارفين،

---

[١] المَريد: الشيطان.

[٢] اختلف الجديد أي تعاقب الليل والنهار.

[٣] ب، م: سبّحته.

[٤] ب، م، هـ: وعلى نفسه.

[٥] ب، م: بالظهورية.

وسترت[1] ستائر مغفرته عورات المذنبين، وغطَّت أغطية حلمه معصية العاصين، وتغمَّدت أغمدة عفوه إسراف المسرفين، وقبل بحسن تجاوزه تقصير المقصرين.

- سبحان من سبّحه القبل الذي لا قبل له.
- سبحان من سبّحه البعد الذي لا بعد له.
- سبحان من لم يزل قلمه يسرمد بحكمته، وحكمته تسرمد بقضائه، وقضاؤه يسرمد بملكه.

فالفاعل صادر عن خلقه، والأفعال صادرة عن أمره، ﴿ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين﴾[2].

تقديس وتسبيح

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أول ما نقول قبل كل مقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[3].
وأوسط ما نقول قبل كل مفعول: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[4].
وآخر ما نقول بعد كل مفعول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[5].

اقتضت حكمة كل عقل صاف من كدر الجهل، أنَّه لابدّ لربِّ الأرباب، وخالق الخلق من ظهور: مُبْهَم العبارة، معقول الإشارة، يمحو الأطوار، ويطفي الأنوار، محيط بلا جهة، بسيط بلا مساحة.

يثبت فيه أنه أولٌ لا قبل له يتعلق بأول، وآخرٌ[6] لا بعد له يتعلق بآخر.

---

[1] أ: وستر.
[2] [الأعراف: ٧/٥٤].
[3] [الفاتحة: ١/١].
[4] [الفاتحة: ١/٥].
[5] [الفاتحة: ١/٢].
[6] ق: آخر، وغير موجودة في أ وإنما: ولا بعد له..

ثابت الاسم، كامل العلم، قائم الذات:

- اسمه يتعلق به وينطوي عليه.
- وعلمه يبتدئ منه وينتهي إليه.
- ذاته هو وهو ذاته، علمه هو وهو علمه، اسمه هو وهو اسمه.

هل ترى في رتقه من فتقٍ؟ أوفي علمه من خلق؟ أو لذاته من ذات؟

يتنـــزه ذلك الظهور ويتقدّس، ويتعالى ويتمجّد، ويعــزّ ويجــلّ أن يلتــبس بالزمان والمكان، والوقت والأوان، والخبر والعيان، والانتقال والــزوال، والأشــباه والأمثال، والإدبار والإقبال، وما قيل وما يقال، إذ هو له وبه وعليه وإليه ولديه.

لا ينفصل عنه فيعرف، ولا يتصور دونه فيوصف.

مقام الكبرياء والبهاء، والسناء والغنى، والجلال والكمال، والجمال والعــز، والقهر والجبروت.

مقام الأحدية الصمدية، السرمدية الفردانية، القديمــة الكريمــة، الــشريفة العظيمة النعوت، المسبحة بأسمائها لصفاتها، والمعظِّمة بصفاتها لذاتها، بكل مــا يــصلح لمعانيها من محاسن مبانيها، المتعالية عن كل ما تتبلبل به الألــسنة وتــسعه الأمكنــة، وتُوَقِّتُه الأزمنة، وتقوم به الحركة، وتتعَنَّاه[1] النَّسَكة[2]، وتتناساه التَّرَكة[3].

تسبيح

سبحانك إله الخلق، سبحانك خــالق الخلــق، ســبحانك رازق[4] الخلــق، سبحانك محصي الخلق، سبحانك مميت الخلق، سبحانك باعث الخلق ليــوم لا ريــب فيه، سبحانك بالعبارات الحِسِّيَّة، المتصلة بالإشارات العقلية. وسبحانك بالإشــارات

---

[1] تعنّاه: تتعرض له وتظهر أمامه، وفي أ، م: تتعاناه.

[2] النّسكة: العُبَّاد.

[3] التَّركة: تاركو العبادة.

[4] أ، م: رزاق.

العقلية، المتصلة بالكنايات الاسمية. وسبحانك[1] بالكنايات الاسمية، المتصلة بالعنايات الوصفية، وسبحانك بالعنايات الوصفية، المتصلة بالنهايات الذاتية.

تسبيحاً يستغرق المعدودات عدّا[2]، والموزونات وزنا، والملفوظات نطقا، والمكتوبات حروفا[3]، والأقطار وسعا، والعرش نصبا، والفرش خفضا، والجنة عرضا، والنار عمقا، والذنوب غفرا، والعيوب سترا.

تختص خصائصه، وتتصل خوالصه[4]، بجبروت جلال كمال جمال[5] أنوار سبحات وجهك الكريم، المشرق[6] من مطالع شموس القرآن العظيم، المستور[7] بحجب الآيات والذكر الحكيم، المترجم بلسان نبيك ا لمعظم[8] بترا جم:

- **﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[9].**
- **﴿ألم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾[10].**
- **﴿المص. كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه، لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾[11].**
- **﴿الر، تلك آيات الكتاب الحكيم﴾[12].**
- **﴿الر، كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[1].**

---

[1] أ، ب، م: سبحانك.

[2] أ، هـ: عددا.

[3] ب: حرفا.

[4] ق: كانت في الأصل: حواصله.

[5] لفظ "جمال" غير موجود في هـ.

[6] ب، م: المشرقة.

[7] ب، م: المستورة.

[8] هـ: المعظم العظيم.

[9] [البقرة: ٢/ ١-٢].

[10] [آل عمران: ٣/ ١-٢].

[11] [الأعراف: ٧/ ١-٢].

[12] [يونس: ١٠/ ١].

- ﴿الر، تلك آيات الكتاب المبين﴾[٢].
- ﴿المر، تلك آيات الكتاب والذي أُنـزل إليك من ربك الحق، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾[٣].
- ﴿الر، كتاب أنـزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[٤].
- ﴿الر، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين، ربما يَوَدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[٥].
- ﴿كهيعص. ذكْرُ رحمة ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداءً خفيا ﴾[٦].
- ﴿طه. ما أنـَزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾[٧].
- ﴿طسم. تلك آيات الكتاب المبين. لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾[٨].
- ﴿طس، تلك آيات القرآن وكتاب مبين. هدى وبشرى للمؤمنين[٩]﴾.
- ﴿طسم. تلك آيات الكتاب المبين. نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾[١٠].
- ﴿ألم. أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[١١].
- ﴿ألم. غُلِبت الرومُ. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾[١].

---

[١] [هود: ١١/ ١].
[٢] [يوسف: ١٢/ ١].
[٣] [الرعد: ١٣/ ١].
[٤] [إبراهيم: ١٤/ ١].
[٥] [الحجر: ١٥/ ١-٢].
[٦] [مريم: ١٩/ ١-٣].
[٧] [طه: ٢٠/ ١-٢].
[٨] [الشعراء: ٢٦/ ١-٣].
[٩] [النمل: ٢٧/ ١-٢].
[١٠] [القصص: ٢٨/ ١-٣].
[١١] [العنكبوت: ٢٩/ ١-٢].

- ﴿ألم. تلك آيات الكتاب الحكيم. هدى ورحمة للمحسنين﴾[2].
- ﴿ألم. تنـــزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾[3].
- ﴿يس. والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين. على صراط مستقيم. تنـــــزيل العزيز الرحيم﴾[4].
- ﴿ص، والقرآن ذي الذكر. بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾[5].
- ﴿حم. تنـــزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾[6].
- ﴿حم. تنـــزيل من الرحمن الرحيم﴾[7].
- ﴿حم. عسق. كذلك يوحِي إليـــك وإلى الـــذين مـــن قبلـــك الله العزيـــز الحكيم﴾[8].
- ﴿حم. والكتاب المبين. إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾[9].
- ﴿حم. والكتاب المبين. إنا أنـــزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾[10].
- ﴿حم. تنـــزيل الكتاب من الله العزيز الحكـــيم. إنَّ في الـــسماوات والأرض لآيات للمؤمنين﴾[11].
- ﴿حم. تنـــزيل الكتاب من الله العزيز الحكـــيم. مـــا خلقنـــا الـــسماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجـــل مـــسمى والـــذين كفـــروا عمـــا أنـــذروا معرضون﴾[1].

---

[1] [الروم: ٣٠/ ١-٣].
[2] [لقمان: ٣١/ ١-٣].
[3] [السجدة: ٣٢/ ١-٢].
[4] [يس: ٣٦/ ١-٥].
[5] [ص: ٣٨/ ١-٢].
[6] [غافر: ٤٠/ ١-٢].
[7] [فصلت: ٤١/ ١-٢].
[8] [الشورى: ٤٢/ ١-٣].
[9] [الزخرف: ٤٣/ ١-٣].
[10] [الدخان: ٤٤/ ١-٣].
[11] [الجاثية: ٤٥/ ١-٣].

- ﴿ق، والقرآن المجيد﴾[2].
- ﴿ن، والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون. وإن لك لأجراً غير ممنون. وإنك لعلى خلق عظيم﴾[3].

فيا من[4] استحق على أسمائه التسبيح لصفاته.

ويا من استحق على صفاته التعظيم لذاته.

يا من أسماؤه أمطار، وصفاته أنوار، وذاته هوية هو الله الواحد القهار.

أمطر أسماءنا من سحائب أسمائك المغدقة بعيون الرحمة، ونَوِّر صفاتنا بأنوار صفاتك المشرقة بشموس الحكمة، وأجِرِ ذواتنا بكرم ذاتك المجيرة من سطوات النقمة.

نسألك اللهم[5] بمخزون مكنون ما أودعت في أوائل هذه السُّوَر المبهمة، ذوات الحروف المعربة المعجمة، من الأسرار التي لا تدرك مبانيها نوافذ الأبصار، ولا تتأول معانيها[6] ثواقب الأفكار، وبتوابعها من السُّوَر المحكمة، والآيات المعظَّمة المكرَّمة، المشرقة بالأنوار:

أن تُبَلِّغنا روح الرضا، وأن تكفينا شر القضاء، ونوازل البلاء، وجوائح الغلاء، وأن تجمع شملنا على كلمة التقوى، وصدق الدعوى، وصلاح النجوى، ومخالفة الأهواء، ومتابعة المصطفى بالصدق والوفاء، والنصح والصفاء.

---

[1] [الأحقاف: ٤٦/ ١-٣].

[2] [ق: ٥٠/ ١].

[3] [القلم: ٦٨/ ١-٤].

[4] أ، ب، م: اللهم يا من.

[5] لفظ "اللهم" في ق فقط.

[6] أ: يتولى مغانيها.

أنت حسبنا يا سيدي لا حسَبنا، وأنت نسبنا يا سيدي لا عصبنا، وأنت أملنا يا سيدي لا عملنا، وأنت معدودنا[١] يا سيدي لا موجودنا، وأنت غياثنا يا سيدي لا تراثنا.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[٢].

دعاء آخر

اللهم إني أسألك بأوّل عين أبديت، لأوّل وجه أبديت.

وأسألك بأوّل وجه أبديت، لأوّل عين أبديت، فنظرت إليها بنورك[٣] الرحيم، فتلألأت بالنظر إلى وجهك الكريم، فشهدت بتوحيدك القديم، فسجدت لما شهدت من جلالك العظيم.

فبما سطع من نور نظرها[٤] في العيون نظر الناظرون، وبما سطع من نور شهودها في العقول شهد الشاهدون، وبما سطع من نور ثنائها[٥] في السجود سجد الساجدون.

التي جعلتها فتحاً لفاتحة أمرك، في قديم دهرك، وجعلتها فتحاً لفاتحة[٦] خلقك في حديث عصرك، ومن أجلها فتقت الرتق وبسطت الأفق، ورفعت الشّداد وسطحت[٧] المهاد، ونصبت الجبال وكثبت الرمال، ومرجت[٨] البحار، وفلقت الإصباح وأذريت الرياح، وأنشأت السّحاب وأمطرت الرحاب، وأنبتَّ الأشجار

---

[١] أ، ب: معبودنا.

[٢] [البقرة: ٢/ ٢٨٦].

[٣] هـ: بنور وجهك.

[٤] أ، ب: نظرها إليك.

[٥] أ: ثيابها.

[٦] لفظ "لفاتحة" في ق فقط.

[٧] هـ: وبسطت.

[٨] ب، م، هـ: ومزجت.

وأطلعت الثمار، وقدرت الأقوات وأحييت الأموات، وبرأت النفوس وطبعت المحسوس، وأدرت الأفلاك وأسجدت الأملاك، وخلقت الإنسان وعلّمت البيان، وأنزلت القرآن وفرضت الأديان، وأزلفت الجنان وأسعرت النيران.

عين محبتك لأحبابك، وسبب[١] التعلق بأسبابك، ومفتاح مدّخر ثوابك، ومغلاق مستعر[٢] عذابك، ولسان أحرف خطابك، ولوح قلم كتابك، ولي الولاء الذي سفل وعلا، فجاوز بأسفله الثرى، وبأعلاه سدرة المنتهى، أنابيبه[٣] الأنبياء والأولياء، وعذاباته[٤] حسن المحامد والثناء، وحليته[٥] الأسماء الحسنى، وأعلاه قاب قوسين أو أدنى، وأسفله ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[٦]، المتفيء ظلاله يوم القيامة، على آدم ومن دونه من أهل الكرامة.

أنت المسؤول والمرجو[٧] والمأمول:

أن تُقَرِّبنا منك بقربه، وأن ترفعنا إليك بسببه، وأن تحسبنا عندك بحسبه، وأن تجعلنا بكرمك من أولى الناس به، ومن أشغفهم بحبه، وألحقهم بصحبه، وأخصّهم بقربه، في حضرة زلفى لديك، ومقعد صدق بين يديك.

وأن تُعَرِّفنا به معرفة تشفينا، وأن تمنحنا من صفاته صفة تصفينا، وأن تجعل لنا من شفاعته حصة تكفينا.

لا تجعلنا ممن ذكرك ونسيه، أو وجدك[٨] وغويه، أو أحبك وقلاه، أو أثبتك ومحاه، أو زعم أنه تعدّاه، أو اهتدى[٩] إلى معرفتك بغير هداه، فكذبت عندك دعواه، ودخل في صفة من اتخذ إلهه هواه.

---

[١] أ: وسبت.

[٢] هـ: مسعر.

[٣] أنابيب: مخارج، وأنابيب الرئة: مخارج النفس منها.

[٤] عذابات: العاذب هو الذي ليس بينه وبين السماء ستر ولا حاجب فتكون العذابات هي الموصلة له لذلك.

[٥] حلية: ما يرى عليه من لونه وظاهره وهيئته.

[٦] [طه: ٢٠/١-٢].

[٧] أ: والمرجّى.

[٨] أ، م: ووجدك.

[٩] هـ: واهتدى.

اللهم بوجهه الكريم إلى وجهك الكريم توَجّهنا، وبخلقه العظيم على خلقك العظيم عوّلنا: أن تثبت أقدامنا على صراطه المستقيم، وأن تجعلنا من جيرانه في دار النعيم، إنك جواد كريم.

وصل عليه وعلى آله أفضل الصلاة، وسلم عليه وعليهم أفضل التسليم.

دعاء آخر

إلهي وقف عبدك اللئيم، المتضرّع الأثيم، المفتقر العديم، بعتبة[١] بابك الكريم، يسألك من فضلك العظيم، وَجُودك العميم، ما تغفر به ذنوبه، وتستر به عيوبه، وتكشف به كروبه، وتغني به فقره، وتجبر به كسره، وتشدّ به أزره، وتحطّ به وزره، وتشرح به صدره، وتعمد به ظهره، وتصلح به أمره، وتختم به عمره، وتؤنس به قبره.

فماذا يقول قائل كرمك لقائله؟ وماذا يرد راد فضلك على[٢] سائله؟ وماذا يفعل فاعل جودك بمسائله؟

يا منتهى غاية طلب الطالبين، ويا أقصى نهاية رغب[٣] الراغبين، ويا كهف أمان رهب[٤] الراهبين:

أيظنّ من وقف بعتبة بابك، أن يرجع بائساً[٥] من تحف ثوابك، يابساً من مطر سحابك، مقطوعاً من صلة أسبابك.

كيف وبابُك أوسع من الفضاء، وأمرك أسرع من القضاء، تعقب سخطك بالرضا، وتغفر ما بقي وما مضى.

فما للمتأول[١] أن يتأوّل ذلك في مقابلة شرف جلالك، المتلألئ بمحاسن جمال جمالك، المتفيئ بأظلة سعة كمالك، المسافر عن نور سبحات وجهك الكريم، المتهلل

---

[١] أ: على بابك.

[٢] أ، ب، م: عن.

[٣] أ، ب، م: رغبة.

[٤] ب، م: رهبة.

[٥] ب، هـ: يائسا.

بما في الدنيا والآخرة من كل نعيم مقيم، وعطاء جسيم، ونوال عميم، وجزاء عظـيم، الذي إذا بسط -المحترق[2] هُممه، المستغفر لإثمه "، المتململ من ألمه- إليه أكفّ عدمه، استحيا[3] أن يردّهما صفرا[4] من فواضل[5] كرمه، وجلائل[6] قسمه، وسوابغ نعَمه، وبوالغ حِكمه.

وها أنا يا إلهي بما تكاثر عليّ، من الذنوب المنسوبة إلي، قد بسطت إلى معروفك يدي، فانظر إلهي إلى موقف ألأم لئيم، بعتبة باب أكرم كريم، وانظر إلهي إلى تعرض أعدم عديم، لنفحات رحمة أرحم رحيم، لا يشرف أبداً عليه، إلا لقاه باسطاً يديه بين يديه، ناظراً بعين الفقر والمسكنة إليه، طائفاً[7] بأسرار[8] التضرع والتقطع لديه..

أفيليق بكَرَمه وحميد شيمه، أن يخيب أمله، أو يبطل عمله، أو يقطع سبله، أو يكذب رسله.

فيا من له المثل الأعلى من كل ممثول، والعطاء الأوفى من كل مسؤول، والكرم الأقصى من كل مأمول.

يا من خزائن عطاياه الكلام[9]، ومفاتيحها من عباده الكلام[10]، تعطف علي برحموت، تغمد بها عني سيف الجبروت، وأمنن علي برهبوت تبلغ بها روحي أقصى الرغبوت.

---

[1] أ، م: المتأول.

[2] هـ: المتحرق.

[3] أ، ب، م: استحى.

[4] ب: صفرا خالية.

[5] أ، ب، م: فضل.

[6] أ، ب: جلال.

[7] هـ: طائعا.

[8] هـ: بأسباب.

[9] أ، هـ ومضافة في هامش ق: في الكلام.

[10] مضافة في هامش ق: في الكلام.

فكل معروف أنت به جدير، وكل مطلوب أنت عليه قدير، وكل عسير هو عليك يسير، وكل كبير هو لديك صغير.

فما أسمائي إذاً في مقابلة أسمائك؟
وما رجائي إذاً في مقابلة عطائك؟
وما حاجاتي إذاً في مقابلة قضائك؟
وما طاعاتي إذاً في مقابلة رضائك؟
وما ذنوبي إذاً في مقابلة سماحك؟
وما فسادي إذاً في مقابلة صلاحك؟.

تلاشت ذاتي في مقابلة ذاتك، وفنيت صفاتي في مقابلة صفاتك، وسقطت سيئاتي في مقابلة حسناتك، وغنيت مفاقري في مقابلة إفاضاتك[1].

فأنا أبداً في مقام فقير عديم، كما أنك أبداً في مقام غني كريم. وأنا أبداً في مقام مسيء أثيم، كما أنك أبداً في مقام غفور رحيم. أتشفّع إليك إلهي بعتبة بابك، وحامل كتابك، ولسان خطابك، وأحب أحبابك، وعروة التمسك بأسبابك: محمد شمسك وقمرك وشهابك، في نيل ما أطلبه في الدنيا والآخرة من عميم ثوابك، وفي دفع ما أخشاه في الدنيا والآخرة من أليم عقابك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب.

دعاء آخر

اللهم إني أسألك[2] قناعة تغنيني، وتوكلاً يكفيني، ويقيناً يشفيني، وورعاً يحجزني، وهدى يرشدني، وتوفيقاً يسعدني، وعلماً أعمل به، وعملاً أخلص فيه، وإخلاصاً أدوم عليه.

اللهم أطعمني طيباً، وارزقني حلالاً واجعلني تقياً، وأحيني مؤمناً وأمتني صالحاً، وابعثني آمناً وأدخلني الجنة سالماً، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين

[1] أ، ق: إفاضتك.

[2] يليها في هامش ق: نوراً يحييني.

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. واغفر لي ولوالدي، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلِّ على رسولك سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وارض عن الصحابة أجمعين.

دعاء آخر

إلهي لم يزل قائم[١] فقري قائماً[٢] بين يديك، مشيراً بعين الحال ولطف المآل إليك، آناء الليل والنهار بالإعلان والإسرار، يسألك ما يسألك أهل السماوات والأرض من خير الدنيا والآخرة، كل يوم في الحال والمآل، والماضي والاستقبال.

ويعوذ بك مما تعوّذ منه[٣] أهل السماوات والأرض من شر الدنيا والآخرة، كلّ يوم في الحال والمآل، والماضي والاستقبال.

وأنت إلهي بحاضر جلالك[٤]، ومحيط كمالك، سميع لما يقول إذا قال، خبير بما يكتم من سرائر الحال[٥] وغوامض السؤال، من كل ما تقتضيه حاجاته[٦] الدائمة المعروضة عليك، وفاقاته[٧] اللازمة المشيرة[٨] إليك، بناطقه وصامته، وحيِّه وميِّته، ودنياه وآخرته، في خير تُسديه، أو شر تكفيه، أو كدر تصفيه، أو شك تنفيه، أو يقينٍ تلقيه[٩]، أو قلب تحييه، أو دين تُقَوّيه، أو عمل تزكيه، أو أمل تعطيه، أو دَين

---

[١] لفظ "قائم" سقط من م.

[٢] لفظ "قائما" سقط من أ.

[٣] أ، ب: يعوذ بك، هـ: تعوذ به منه.

[٤] أ، م: بحاضر حالك.

[٥] أ: الجبال.

[٦] ب، م: حاجته.

[٧] ب، م: فاقته.

[٨] أ: الأزمة المثيرة.

[٩] أ، ب، م، هـ: تبقيه.

تقضيه، أو خصم ترضيه، أو ذنب تعفيه، أو عيب تغطيه، أو بر تهديه، أو علم تبديه، أو وعد توفيه، أو وعيد تزويه[1]، أو فقر تغنيه، أو عدوٍ ترميه، أو جبّار ترديه، أو ظالم تعميه، أو شيطان تلويه.

فلا تحرمه -إلهي- خيراً في الدنيا والآخرة، أحاط به علمك، عَلِمه أو لم يعلمه، سأله أو لم يسأله.

ولا ترهقه[2] -إلهي- شراً في الدنيا والآخرة، أحاط به علمك، علمه أو لم يعلمه، استعاذ منه[3] أو لم يستعذ منه.

فإنك إلهي بحوائجه أعلم وأخبر، وعلى قضائها أقدر وأبصر، باطنة وظاهرة، في الدنيا والآخرة.

لأنك- إلهي- لم تخلق شيئاً منه، إلا به حاجة إلى شيء منك، من شعرة أو عرق أو عظم أو لحم أو بطن أو ظهر أو نفْس أو نفَس أو عقل أو قلب أو روح أو سمع أو بصر أو شم أو ذوق أو لمس أو جارحة.

لكل منها تسبيح بحمدك فصيح، وثناء على كرمك صريح.

إن عصي أمرك منها البعض، استغفر لذلك البعض.. البعض[4].

إلهي: فهب البعض منها للبعض[5]، ولا تهلك البعض منها بالبعض، ولا تبدل نعمتك الجارية فيها، العامة لباديها وخافيها، مرضاً -في الدنيا- أليماً ولا سقماً[6] عميما، ولا مرعى -في الآخرة- من الزقوم وخيما، ولا ماء من اليحموم[7] حميما،

---

[1] تزويه: تمنعه.

[2] أ، م: يرهقه.

[3] أ، م: من استعاذ.

[4] في "ق" فقط (البعض البعض).

[5] أ، ب: البعض للبعض.

[6] أ: سقاما.

[7] هـ: الهموم.

بل[1] أعشها في الدنيا عيشاً سليماً، وامنحها في الآخرة نعيماً مقيماً، يـا ذا المعـروف الذي لا ينقطع حديثاً ولا قديما[2].

وصلِّ على رسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

(الطويل)

إلهي إليك الطرف والطـرف نـاظر ... بـه علـل مـستورة ومفـاقر[3]

عروقي وأعضائي وشعري وجلـدتي ... ومـا هـو خـاف لا أراه وظـاهر

ومجرى دمي واللحم والعظم والحشا ... كبائرهـا مـن جملـتي والـصغائر

ولمـس وذوق للمطـاعم كلـها ... وأنـف لمـشموم وسمـع ونـاظر

وكف لقـبض أو لبـسط أريـده ... وفـرج وأقـدام بهـن أسـافر

وعقل وقلـب ذو لـسان ومنطـق ... ونفـس كـثير مكرهـا وسـرائر

وكَلّ له مما ذكـرت مـن القـوى ... لسان ثنـاء حامـد لـك شـاكر

ومستغفر بعـضٌ لـبعضٍ وخـائفٌ ... يباشـره منـك العـذاب المباشـر

فهب سيدي بعضي لبعـضي فـإنني ... أسأت على جهـل وإنـك غـافر

ولا[4] تهلك الخلق الذي أنـت ربـه ... ولا تهتك الستر الذي أنـت سـاتر

دعاء آخر

يا من له الأسماء الحسنى فلا تسامى.
يا من له الصفات الكبرى فلا تجارى.
يا من له الذات العظمى فلا تساوى.
يا من استشهد بأسمائه الحسنى على صفاته الكبرى.

---

[1] أ: لا بل.

[2] ق: وقديما.

[3] أ، ق: مغافر، [المغافر: الصمغ السائل من الشجر وتكون كناية عن الدمع].

[4] أ، م: فلا.

يا من استشهد بصفاته الكبرى على ذاته العظمى.
يا من له بيد كل اسم من أسمائه الحسنى بسطة وعطاء.
يا من له بمعنى كل صفة من صفاته الكبرى رفعة وعلا.
يا من له بمقابلة كل وجه من وجوه[١] ذاته العظمى سترة وحياء.

اليوم: أنخنا بأبواب[٢] أسمائك الحسنى مطايا الآمال.
وبسطنا بأبواب صفاتك الكبرى أكُفَّ السؤال.
وعفَّرنا بأبواب ذاتك العظمى وجوه الإقبال.

- ناشرين لصحائف السيئات والأوزار، مستغفرين منها.
- طاوين لصحائف الحسنات، مفتقرين منها.
- خجلين في مقابلتك مما أخلفنا، ووجلين في مخاطبتك مما أسلفنا:

إذ طالما انتصفنا فما أنصفنا	وإذ طالما اقترفنا فما اعترفنا
وإذ طالما أذنبنا فما أنبنا	وإذ طالما اكتسبنا فما احتسبنا
وإذ طالما أسأنا فما أحسنا	وإذ طالما أُطعمنا[٣] فما أَطعمنا
وإذ طالما نعمنا فما أنعمنا	وإذ طالما أَخذنا فما أَعطينا
وإذ طالما استولينا فما أولينا	وإذ طالما سمعنا فما وعينا
وإذ طالما وعينا فما رعينا	وإذ طالما حيينا فما استحيينا[٤]

- فلما شهدنا من فزع[٥] المقابلة، يئسنا[٦] من ربح المعاملة.
- ولما أطلنا من عهد المجانبة، خجلنا من بهت المعاتبة.
- ولما أضعنا من حفظ المراقبة، وجلنا من خوف المعاقبة.

---

[١] أ: وجود.
[٢] ق: بباب، أ: بأنوار في الجمل الثلاث.
[٣] أ، ب، هـ: طعمنا.
[٤] ب: حيينا.
[٥] ب، م: جزع.
[٦] هـ: آيسنا.

- ولما تركنا من حسن المصاحبة، فرقنا من حكم المطالبة.

فلما ضاقت بنا الحيل، واستولى على وجوهنا وقلوبنا الخجل والوجل، ويئسنا من ربح العمل، لما يشوبه من الإعراض والعلل، وينوبه[1] من الفتور والكسل: رجعنا رجوع المنكسرة قلوبهم، المتكاثرة ذنوبهم، المتظاهرة عيوبهم:

بكل ما نحن من الذنوب أهله، إلى كل ما أنت من المغفرة أهله، وبكل ما نحن من العيوب أهله، إلى كل ما أنت من الستر أهله، وبكل ما نحن من الفضائح أهله، إلى كل ما أنت من التغطية أهله، وبكل ما نحن من المؤاخذة أهله، إلى كل ما أنت من العفو أهله، وبكل ما نحن من الفقر أهله، إلى كل ما أنت من الكرم أهله.

فجَلَّ جلالك، وعَظُم شأنك، وعز سلطانك، وتعالى قدرك، وتقدّست أسماؤك، وتمجّدت صفاتك، من أن تختلف شمائلك، أو تمنع وسائلك، أو تقطع واصلك، أو ترد سائلك، أو تخيب آملك، أو تشقي مقابلك، أو تطرد وافدك، أو تحرم قاصدك، أو تضل شاهدك، أو يفتقر واجدك.

كيف وأنت الغنيُّ بذاتك، العليُّ بصفاتك، المعطي بكلماتك، العطوف برحمتك، الرؤوف ببريتك، الرفيق بعبادك، وأنت على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

فمُنَّ علينا يا سيدي في كل ما نسألك من خير الدنيا والآخرة بالإسعاف، وفي كل ما نستعيذك من شر الدنيا والآخرة بالأمن مما نخاف، وعلى والدينا، والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

دعاء آخر

إلهنا ومولانا وسيدنا، خلقتنا لنحمد نعمك، ولنعي حكمك، ولنشاهد قدرك، فنشكرك بنعمك، ونتقرب إليك بحكمك، ونستدل عليك بقدرك[2].

[1] ينوبه: من المناوبة والمداولة.

[2] هـ: بقربك.

فعرضَ في الشكر عارض من الكفر، وذلك فيما نتخذه من نِعمك سببا إلى معاصيك.

وعرضَ في القرب عارض من البعد، وذلك في[1] مخالفة حكمك، واتباع مناهيك.

وعرضَ في الفكر عارض من السهو، وذلك فيما نلتفت به إلى ما يسخطك عما يرضيك.

إلهنا وسيدنا ومولانا:

فنستغفرك لما عرض في الشكر من عوارض الكفر، ونستعصمك ونتوب إليك.
ونستغفرك لما عرض في القرب من عوارض البعد، ونستعصمك ونتوب إليك.
ونستغفرك لما عرض في الفكر من عوارض السهو، ونستعصمك ونتوب إليك.
فإنه لا يغفر ويعصم، ويفضل وينعم، ويتوب ويكرم، إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام.

إلهنا ومولانا وسيدنا:
صفا كل شيء منك لنا، فلك الحمد وحسن الثناء.
وتكدّر كل شيء منا لك، فالذّمُّ لنا وسوء الثناء.
فما نحن على كل حال إلا بك، وما نحن بنا.
وما نحن على كل حال إلا لك، وما نحن لنا..

فإن كنت تعلم إنا نعتقد أنا بك لا بنا، وإنا نعتقد أنا لك لا لنا، فلا تكلنا أبداً في شيء إلى أنفسنا، ولا تحوجنا أبداً في شيء إلى أبناء جنسنا.

إلهنا ومولانا وسيدنا:
ضاقت الحيل وشمل العمى، واتضعت الأرض وارتفعت السماء:
فما من سُلَّم عليه يُرتقى، إلى جوارك في دار البقاء، إلا أن تحمل[2] بألطافك.
وما من عمل يرفع الوضيع، إلى جنابك الرفيع، إلا أن تسعد[1] بإسعافك.

---

[1] أ، ب: من.

[2] أ، ب، هـ: يحمل.

إلهنا ومولانا وسيدنا:

لا حُجّة لمن عرفك عليك، بل الحجة لك.

ولا محجة لمن عرّف نفسه إليك، بل المحجة منك.

فأقم حجة من أقام حجتك، واهد محجة من قصد محجتك، فإنه لا يقوم لديك إلا من أقمته، ولا يصل إليك إلا منَ أوصلته.

فأقمنا لك بلا حُجّة، وأوصلنا إليك بلا محجة.

يا من الكرم صفته، والجود شيمته، والجميل سجيته، وهو على كل شيء قدير. (الرجز)

هل لجميل من جميل بُدُّ ... أم لجواد من عطاء حَدُّ

يسمح مملوكك[2] وهو عبد ... ويرفد[3] الممكن وهو رفد

فكيف والكنز العتيد[4] العدّ ... إشارة تشيرها أو وعد

غيث وبرق صادق ورعد ... بَحْرٌ له بالمكرمات مد

ليس له سواحل تُحَدّ ... خلق جميع وإله فرد

له عليهم شرف ومجد ... ورتب عالية وجدّ[5]

وقدرة تخفى بهم وتبدو ... ليس لها عمّا يريد ردّ

ونِعَمٌ جزيلة وسعد ... ما إن تُحَدّ لا ولا تُعَدُّ

دعاء آخر

إلهي: أنا أمّ الذنب وأبوه، وأنا ابن الذنب وأخوه، وأنا عين الذنب وفوه.

---

[1] أ، ب: يُسعدُ، هـ: نُسعدُ.

[2] م: أيسمح المملوك.

[3] أ، ب: ويمكن.

[4] العتيد: الحاضر المهيأ.

[5] أ: ورتب عليا ثم جد.

أنا أمّ الذنب وأبوه بنفسي وهواي.
وأنا ابن الذنب وأخوه بنيّتي ومعناي[1].
وأنا عين الذنب وفوه بلَسَاني وقواي[2].

وهذه نعوتي التي تعرّفتُ بها إليك، ووجهي الذي أشرفتُ به عليك.

إلهي: وأنت وجه الكرم ويداه، وأنت عين الجود ومعناه، وأنت وليّ العفو ومولاه، وهذا وجهك الذي أشرفتَ به عليّ، ونعوتك التي تعرفتَ بها إليّ.

فيا من هو إله، هذا وجهه وهذه نعوته: ارحم عبدك الذي هذا وجهه وهذه نعوته، يصبح ساجداً[3] بذنوب الليل على بساط[4] النهار، ويمسي ساجداً بذنوب النهار على بساط الليل، راجياً أن تغرق[5] ذنوبه وتنغسل[6] عيوبه في بحار جودك، آملاً أن يذهب[7] بؤسه، وتحترق[8] نحوسه بأنوار سعودك:

فانظر إلى هذه الأثقال المحمولة، فتجاوز عنها برحمتك وخفِّفْها.
وانظر إلى هذه الأعمال المدخولة، فتقبَّلها بكرمك وشرِّفها.
وانظر إلى هذه القلوب المعلولة، فداوِها من عللها بفضلك وعرِّفها.
وانظر إلى هذه العقول المخبولة، فنَوِّرَ بصائرها بهدايتك وثقِّفْها.
وإلى هذه الذنوب العظيمة فاغفرها..
وإلى هذه العيوب العميمة[9] فاسترها..

---

[1] أ، ب: ومعناه.
[2] ب، هـ: وقوتي، م: وأقوالي.
[3] أ، ب: ساجدا أبدا.
[4] أ: بسط.
[5] م: تغفر.
[6] م: تغسل.
[7] أ، هـ: تذهب.
[8] أ: وتحرق.
[9] ب، م: الكثيرة العميمة.

يا من لم يزل لذنوب المستغفرين غافراً، ولعيوب المعترفين ساتراً، منه ومن أهله، وولده وإخوانه، والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

دعاء آخر

إلهي: افتح لي باب الإقبال[1] عليك، حتى لا أميلَ إلى سواك.
واسقني من شراب المحبة لك، حتى لا أشتغل بغير هواك.
وألبسني نور المعرفة بك، حتى لا أغفل عن التعلق بمعناك.
ونوِّر عين بصيرة[2] قلبي، ليوقن[3] بقربك ويراك.
وانظمني بجودك وكرمك، في سلك من أحبَّك ووالاك.
وآوني[4] بفضلك ورحمتك، إلى كهفك الداخل في حماك.
وألهمني في السفر إليك، سبيل المهتدين بهداك.
واضرب ﴿بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[5]، بيني وبين من لا يخشاك.
وارض عني، وإن لم أعمل بعمل من أرضاك.
واجعل خير أيامي وأحبّها إليّ وأسعدها عليّ، يوم ألقاك[6].

فبي فَرَقٌ منك مع شوق إليك، وبي وجَلٌ منك مع أسفٍ عليك، وبي هَرَبٌ منك مع أَسرٍ بين يديك، وبي بُعدٌ منك مع تضرعٍ لديك[7].

---

[1] أ: إقبال.
[2] أ، ب: بصر.
[3] أ: لتوقن بقربك وتراك.
[4] ب، م: وأدخلني.
[5] [الحديد: ٥٧/١٣].
[6] ب، م: لقاك.
[7] أ: بين يديك.

فلا فرقي أمن، ولا مشتاقي رحم، ولا وجلي سكن، ولا أسفي عــصم، ولا هاربي[١] نجا، ولا أسيري افتدى، ولا بعيدي دنا، ولا متضرعي اقتضى.

فالطرف باك، والقلب شاك، والفؤاد شاخص، والعمل نــاقص، والرجــاء عظيم، والنعت لئيم، والوصف ذميمٌ، وأنت إلهي أعلم عليم، وأحلم حليم، وأكــرم كريم، وأرحم رحيم.

أنختُ بسوحك الخصيب مطايا اللجا، وحططتُ بفنائــك الرحيــب رحــال الأمل والرجاء.

فاجعل لي من ركوب الذنوب فرجا، ومن مضيق الطريق مخرجــا، وانظمــني في سلك من فاز[٢] ونجا، فما لي في الدنيا والآخرة سواك مرتجى، ولا إلى غــيرك مفــر ولا ملتجأ.

فتحمَّل عني بكرمك[٣] أثقال التبعات، وأجرني برحمتك من أهوال الــسيئات، وتكفّلني بحسن رعايتك في البكور والبيات، وعافني من عذابك في الحيــاة والممــات، إنك جواد كريم آمين.

دعاء آخر

إلهنا وسيدنا ومولانا: خلقتنا فسوَّيت خَلْقَنا[٤]، وصوّرتنا فأحسنت صُــورنا، وربّيتنا بأرزاق قدّرتها ونعَم أسبغتها، وحرَّكتنا بجوارح ســخّرتها، وأكرمتنــا بحــواسٍ فتقتها، وشرّفتنا بعقول أفهمتها، وهديتنا إلى حسنات أحببتها، ونهيتنا عــن ســيئاتٍ كرهتها...

---

[١] أ، ب، م: هربي.

[٢] أ: هان ونجا.

[٣] هـــ: بكرمك عني.

[٤] لفظتا "فسويت خلقنا" سقطتا من أ.

فأطعناك بهداية لا بدراية، وعصيناك بتمكين[1] لا بغلبة، فلعلمنا[2] بذلك أصبحنا معترفين، بما أمسينا له من الذنوب مقترفين، ومُقرِّين بما كنا عليه من المعصية مُصرِّين، كما اعترف بما اقترف وأقَرَّ بما أصَرَّ أبونا آدم وَأبو المرسلين، صلى الله عليه وعلَيهم أجمعين، بقوله حين أصبح من النادمين: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[3].

فنسألك إلهنا ومولانا وسيدنا أن تجعل رأينا في كل مشكلة رأيك، وحبّنا في كل حركة حبّك، وإرادتنا في كل مقصود إرادتك، ولا تفتنَّا فتنة الجاهلين بمعرفتك، فنجعل كراهيتنا[4] في إرادتك، وإرادتنا في كراهيتك[5]، ومحابّنا في مساخطك، ومساخطنا في محابك.

ونحن نزعم أن ذلك منك لا منّا، ونعتقد أن ذلك عنك لا عنّا، فنحمل عليك ما تحمل علينا، ونضيف إليك ما تضيف إلينا، فلا نثبت عدلك في العقوبة، كما نثبت فضلك في المثوبة، ولا نرى غضبك في المعصية، كما نرى رضاك في الطاعة، فنلجي إليك في العصيان، ونعذر[6] النفس والشيطان.

نعوذ بك من مقام يخرس فيه الملجي[7]، ويخسر فيه الْمُرجي[8]، وتقوم فيه الحُجَّة، وتتضح به المحجة، يوم لا تقبل فيه المعاذير، ولا الإحالة على المقادير، ويشهد بما بشّر وأنذر البشير النذير، فيعترف بذنوبه الملجي، فلا ينجو يومئذ بالاعتراف، ويعض على يديه المُسَوِّف المُرجي، فلا يخلص يومئذ من الانتصاف.

---

[1] أ، هـ: بتمكن.

[2] أ، ب: فعلمنا بذلك.

[3] [الأعراف: ٧/ ٢٣].

[4] أ: كراهتنا.

[5] أ: كراهتك.

[6] أ: وتصور.

[7] الملجي: المدعي.

[8] المرجي: المؤخر.

إلهنا وسيدنا ومولانا: ها هنا اعترفنا بما اقترفنا، وأقررنا بما أصررنا، واحتسبنا بما اكتسبنا، والتزمنا بما أجرمنا، فلا عذر لنا في مقابلة عدلك، ولا حجة لنا بعد كتبك ورسلك.

فنستغفرك بإقامة حجتك، ونتوب إليك بسلوك محجتك، هاربين إلى رحمتك من نقمتك، مفتقرين إلى عصمتك من فتنتك.

فاهدنا سبلنا، وأتبعنا رسلنا، واغفر بكرمك زللنا وخطأنا، وأصلح لمقابلتك[1] قولنا وعملنا، وبلغنا من مراحمك[2] رجانا وأملنا، خاصة وعامة، إنك رؤوف رحيم.

دعاء آخر في الصباح والمساء

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم خالق هذا اليوم ومالكه، وحاكمه، ومدبره، ومقدِّره ومجري ما فيه من الخير والشر، والنفع والضر، أفتتح هذا اليوم، وأسألك من نفعه وخيره ظاهراً وباطناً، ديناً ودنيا.

وأعوذ بك من شرِّه وضيره، ظاهراً وباطناً، ديناً ودنيا.

اللهم أدخلني في هذا اليوم غانماً معصوماً ملطوفاً[3] بي، وأخرجني منه سالماً مرحوماً مغفوراً لي.

(وإذا كان الليل قلت: اللهم خالق هذا الليل... الخ... الدعاء).

دعاء آخر

اللهم يا عِزِّي من الذل، ويا كنزي من القل، ويا حرزي من الكل، ويا فكي من الغل:

---

[1] أ: بمقابلتك.

[2] أ: بمراحمك.

[3] أ: ملاطفا.

– يا عزي[1] من الذل: أعزني بطاعتك، وزحزحني عن إهانتك، وأكرمني بكرامتك، وشرِّفني بولايتك.

– يا كنزي من القل: ارزقني من حلال رزقك، وأغنني عن جميع خلقك، ورافقني[2] بدوام رفقك، وهب لي ما أضعت من حقك.

– يا حرزي من الكل: اكفني في الدنيا شر الأشرار وحمل الأوزار، واكفني في الآخرة عذاب القبر وعذاب النار.

– يا فكّي من الغل: اعتق رقبتي من رق شهوتي، وأيقظ همتي من نوم غفلتي، وأطلق مهجتي من أسر علّتي، وسكن روعتي بحسن ثقتي، إنك جواد كريم.

دعاء آخر

اللهم اجعل نفسي معقودة بنفسي، واجعل نفسي معقوداً بوقتي، واجعل وقتي معقوداً بتوكلي، واجعل توكلي معقوداً بحسن تدبيرك، ولطف تقديرك[3] في الخلق والأمر، والغنى والفقر، والدنيا والآخرة، إنك بنا حسن التدبير، لطيف التقدير، على ما تشاء قدير.

دعاء آخر

اللهم إنا[4] في حوائجنا إليك، وتعويلنا في أمر دنيانا وآخرتنا عليك، كذوي الفقر والفاقة[5] والمسكنة من خلقك، لدن أغنيائهم من كرمائهم ورحمائهم في حوائجهم إليهم، وتعويلهم في أمر دنياهم عليهم، لا يدلون[6] بنسب يستحقون به عليهم ما يطلبون، ولا يتعلقون بسبب يستوجبون به لديهم ما يسألون، سوى ما

[1] م: فيا عزي.

[2] أ، ب: وارفعني.

[3] أ، ب: والطف بقدرتك.

[4] أ، ب: نعتمد في.

[5] ب: الإفاقة.

[6] ب: لا يدنون.

فيهم من كرم الطباع، ووجود[1] المتاع، فتكرمهم[2] الكرماء، وترحمهم[3] الرحماء، فينقلبون عنهم بغنى من فقر، وشبع من جوع، وريّ من ظمأ، ولباس من عري، وأمان من خوف.

ونحن كذلك بين يديك في حوائجنا إليك، لا ندلي بنسب نستحق به عليك ما نطلب، ولا نتعلق بسبب نستوجب به لديك ما نسأل، سوى ما أنت أهله من الفضل العظيم، والوصف الرحيم، والنعت الكريم، والجود العميم، ولك المثل الأعلى في السماوات والأرض، وأنت العزيز الحكيم.

فيا أغنى الأغنياء، ويا أكرم الكرماء، ويا أرحم الرحماء، ويا أحكم الحكماء، ويا ألطف اللطفاء، آتنا حسنة[4]، وقنا سيئة، وأغننا من فقر، وأطعمنا من جوع، واسقنا من ظمأ[5]، واكسنا من عري، وآمنا من خوف، وعلمنا من جهل، واعصمنا من خطل، وثبتنا من زلل، واشفنا من علل، ونشطنا من ملل، وأصلحنا من خلل.

فلقد نقبل عليك[6] آملين، وننقلب عنك آمنين، ولمن تشفع بنا ضامنين، بحسن الظن واليقين، أنك لا تردنا خائبين، وكيف ننقلب في ردك، وقد أصبحنا[7] من وفدك، وأنخنا بسرادق[8] مجدك، واثقين بصادق وعدك، راجين لجزيل رفدك.

---

[1] هـ: جود.

[2] أ، ب: فيكرمهم.

[3] أ، ب: فيرحم.

[4] ق: آتنا في الدنيا حسنة.

[5] في متن ق: عطش.

[6] ب، هـ: إليك.

[7] أ، ب: أيقنا وأصبحنا.

[8] ق، م: بسرادقات.

سبحانك سيدي سبحانك وبحمدك، أنّى[1] يكون ذلك منك وأنت الرب العظيم، والغني الكريم، تأخذ ما لا يزيدك، وتعطي ما لا ينقصك، وتغفر ما لا يسوءك، وتسمح ما لا يرزؤك.

سبحانك سيدي سبحانك وبحمدك، ما أفقرنا إلى عفوك، بعدد أنفاسنا وأنفاس المتنفسين، وما أغناك عن عذابنا، بعدد ذنوبنا وذنوب المذنبين، فجد علينا بما نحن إليه أفقر الفقراء من العفو، وهب لنا ما أنت عنه أغنى الأغنياء من المؤاخذة، إنك جواد كريم غفور رحيم.

دعاء آخر

اللهم اجعل[2] حياتي بك في الدنيا متصلة بحياتي بك في الآخرة، ونعمتك[3] عليّ في الدنيا متصلة بنعمتك عليّ في الآخرة، ومعرفتي بك[4] في الدنيا متصلة برؤيتي لك في الآخرة.

أعوذ بك من موت بين الحياتين، ومن بلاء بين النعمتين، ومن حجاب بين الرؤيتين.

وأعوذ بك من فتن الدارين، وشؤم الجارين، وسخف[5] العارين، وورود[6] النارين، وذُلِّ الفقرين، وأشقى الأمرين، ونزول القبرين، وسؤال الملكين، وشرّ[7] الكتابين[8]، وكشف الحسابين[9]، ووزن العملين، وذمّ الحافظين، وعمى العينين، وصمم

[1] ق: أني يجمل أن.

[2] "اجعل" سقطت من أ، ومضافة في ق.

[3] ب: ونعمتك.

[4] ب: لك.

[5] ب: وسحق.

[6] أ: ورود.

[7] ب: ونشر.

[8] أ: الكاتبين.

[9] أ، ب: وكشف الحاسبين.

الأذنين، وشهادة اللسان[1] والشفتين، واللمس واليدين، والجلد[2] والقـدمين، وضـيق الصراطين، وطول البين، وفقد الحبيبين.

وأسألك اللهم سلامة الدارين، وأسعد الأمرين، وأهدى الطـريقين، وخـير الفريقين، وصحبة الحسنين، وجوار الأبوين، وطيّ البين، ونظر الحبيبين[3].

وأسألك إلهي[4] من كل خير يوجب لي ما سألتك، وأرغب إليك فيه.

وأعوذ بك إلهي من كل شر يوجب علي ما استعذتك واستغفرك[5] منه.

يا من أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة[6]، وأمر بالاسـتغفار ووعـد بـالمغفرة، دعوتك سيدي كما أمرت، فاستجب لي كما وعدت، واستغفرتك[7] سـيدي كمـا أمرت، فاغفر لي كما وعدت، إنك لا تخلف الميعاد.

دعاء آخر

إلهي سَكَن ساكني بالتفويض إليك، وتَحَرك متحركـي بالاعتمـاد عليـك، وطاف طائفي بالتضرّع لَديك، وعَكَف عاكفي بالافتقار بين يديك، وقام قائمي تحـت ظل لوائك، وقَنَت قانتي لمقابلتك والتعلق برجائك، ورَكع راكعي لهيبتك وكبريائـك، وسَجد ساجدي لجلال عظمتك وبهائك.

فأنا[8] العائذ بك في الحركة[9] والسكون، من شر ما يكون، وأنا اللائذ بـك في الطواف والعكوف، من هول كل مخوف، وأنا المستجير بك في القيام والقنوت، مـن

---

[1] أ: اللسانين.

[2] أ، ب: والجلدة.

[3] ق، ب: الجنتين.

[4] أ، ب: اللهم إلهي.

[5] ب: واستغفرتك.

[6] أ: بالاستجابة.

[7] ق: واستغفرك.

[8] أ: وأنا.

[9] ب: الحركات.

حَزمٍ[1] لا يفوت، وأنا المستغيث بك في الركوع والسجود، من ظُلَم اللّحود، ومن فزعٍ اليوم الموعود.

فأجرني من قوادح[2] ذنوبي، واسترني من فواضح عيوبي، وأغثني من فوادح[3] كروبي، وبَلِّغني من مواهبك إلى مطلوبي، وارفعني من مراتبك[4] إلى محبوبي، ونجني بمراحمك[5] من مرهوبي.

إنك أنت الواسع لكل مطلوب، الجامع لكل محبوب، الدافع لكل مرهوب[6].

دعاء آخر

إلهي: الليل خصمي في طول المنام، والفتور عن التهجد والقيام إلى انصرام الظلام.

والنهار خصمي في اكتساب الآثام، بالقول[7] والعمل والمرام، والتغافل عن نوافل الصلاة والصيام، وهما يوم القيامة من ألدّ الخصام.

فيا أكرم الأكرمين: أقم لي[8] بمكارمك، ما أسقطت فيهما من لوازمك..

ويا أرحم الراحمين: تجاوز عني بمراحمك، ما انتهكت فيهما من محارمك..

يا من إذا نظر السّيئات بعين الكرم والمسامحات، تبدلت بحسن نظره حسنات...

---

[1] (الحزم: الغصص في الصدر)، ب، م: جرم.

[2] م: فوادح.

[3] هـ: قوادح.

[4] أ: راتبك والراتب بمعنى الديمومة، الثبات أو المكافأة.

[5] أ: برحمتك.

[6] أ: موهوب وهي بمعنى الهبة والعطية بغير عوض.

[7] ب، م: في القول.

[8] "لي" سقطت من ب، م.

ويا من إذا نظر إلى الحسنات بعين المنح والمكاثرات، تضاعفت بالمزيد والبركات، فتغرسها في رياض[1] الجنات، وتسقيها بمائك المحيي للنبات، فتثمر بما تودع فيها من كل الثمرات، أكلها دائم، وظلّها للمؤمنين والمؤمنات. ذلك أملي فيك يا غاية أمل الآملين، في إصلاح عملي لك يا مصلح عمل العاملين.

دعاء آخر

اللهم اجعل حبك داخلتي[2]، وطاعتك خارجتي[3]، لآمن بسلطان داخلتك من الدواخل المنسية، ولآمن بسلطان خارجتك من الخوارج المؤذية[4]، إنك على كل شيء قدير.

دعاء آخر

إلهي أنت المحسن لم تزل، وحسناتي من هدايتك، وهدايتك من عنايتك، وعنايتك[5] من رحمتك، ورحمتك من حنانك.

فاجعلني محسناً بهدايتك، مهدياً بعنايتك[6]، معنياً[7] برحمتك، مرحوماً بحنانك.

إلهي وأنا[8] المسيء لم أزل، وسيئاتي من شهواتي، وشهواتي من طبائعي، وطبائعي من خلقك، وخلقك من بلائك.

فأعوذ بمحاسنك من سيئاتي، وأعوذ بعصمتك من شهواتي، وأعوذ برعايتك من طبائعي، وأعوذ بكفايتك من خلقك، وأعوذ بمعافاتك من بلائك.

---

[1] أ، ب، هـ: روضات.

[2] أ: داخلي.

[3] أ: خارجي.

[4] بهامش ق: المردية.

[5] أ: غنائك وغنائك.

[6] أ: بحنانك، ب: بجنانك.

[7] أ، ب، م: مغنيا.

[8] أ: فأنا.

فاستجب لي سيدي فيما سألتك فأنت بالإجابة جدير، وأعذني سيدي مما استعذتك فأنت على الإعاذة قدير.

دعاء آخر

اللهم: إني أتقرب [إليك، باسمك المقدس الأعلى (هو) المضيء المشرق المتلألئ بأنوارك من باب: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾[1] وأتقرب][2] إلى اسمك المقدس الأعلى الذي هو[3] (هو)، بأسمائك الحسنى المتلألئة المضيئة المشرقة بنور[4] (هو) العظيم من باب: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[5].

وأتقرب إلى أسمائك الحسنى التي هي (هي)، وتبلغ[6] كل منتهى، باسمك الحميد المتلألئ المضيء المشرق بأنوارها، من باب محمد صلى الله عليه وسلم.

وأتقرب إلى اسمك الحميد، باسم محمد المتلألئ المضيء المشرق بأنواره، من باب أحمد(ص).

وأتقرب إلى اسم محمد، باسم أحمد المتلألئ المضيء المشرق بأنواره، من باب أبي القاسم.

وأتقرب إلى اسم أحمد، باسم أبي القاسم المتلألئ المضيء المشرق بأنواره، من بابه.

وأتقرب إلى اسم أبي القاسم، بما تلألأ وأضاء وأشرق على بابه، من نوره القائم به المقيم، الهادي إلى الصراط المستقيم، صراط اسمك المقدس الكريم[7]، المتلألئ

---

[1] [الحشر: ٥٩/ ٢٢].

[2] ما بين القوسين [ ] هو ما انفردت به النسخة "ح" وأشرنا إليه في (منهج التحقيق) ص(٦٠) ومعظم ما ورد فيه قد أدرجته بقية النسخ ضمن الفقرة التالية كما سيأتي.

[3] من هنا أضافت بقية النسخ: "المضيء المشرق المتلألئ بأنوار هو من باب هو الله الذي لا إله إلا هو" وقد رجحنا هذا الفهم منعاً للازدواج والارتباك في العبارة ولاستقامة العبارة المثبتة الآن... والله أعلم.

[4] ق: بنورك، ولم يرد لفظ (هو) التالي.

[5] [الفاتحة: ١/ ١].

[6] في هامش ق: وإليها يبلغ كل منتهي...

[7] ب: القديم.

المضيء المشرق بأنوار سبحات وجهك الكريم، الفاتح لفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم بمفتاح[1]:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. ملك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين﴾[2].

قَرِّب اسمي من اسمه كتقربه[3] من اسمك، وقرِّب وصفي من وصفه كتقربه من وصفك، وقرِّب ذاتي من ذاته كتقربه من ذاتك.

فيكون اسمي من اسمه كاسمه من اسمك.
ويكون وصفي من وصفه كوصفه من وصفك.
وتكون ذاتي من ذاته كذاته من ذاتك.

مثل لمثول[4]، ما عبرت عنه حيث تقول:

- **﴿ثم دنا﴾[5]: باسم من اسم.**
- **﴿فتدلى﴾[6]: بوصف من وصف.**
- **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[7]: بذات من ذات.**
- **﴿فأوحى إلى عبده﴾[8]: بالذات إلى الذات.**
- **﴿ما أوحى﴾[9]: من روح الحياة المحي للذوات[10]، المصفي للصفات.**

---

[1] هـ: بمفاتح.
[2] [الفاتحة: ١/ ١-٧].
[3] أ: كتقريب اسمه.
[4] أ، ب، م: الممثول.
[5] [النجم: ٥٣/ ٨-١٠].
[6] [النجم: ٥٣/ ٨-١٠].
[7] [النجم: ٥٣/ ٨-١٠].
[8] [النجم: ٥٣/ ٨-١٠].
[9] [النجم: ٥٣/ ٨-١٠].
[10] أ، ب، م: للذات.

إنك أنت القريب المقرب[١]، والحبيب المحب[٢]، والرب الرحيم، والجواد الكريم، والملك العظيم.

وصلِّ عليه وعلى آله أفضل الصلاة، وسَلِّم عليه وعليهم أفضل التسليم.

واغفر اللهم ببركة هذه[٣] الأسماء الحسنى والصفات الكبرى، وبهائها وكبريائها، وجلالها وجمالها وكمالها، وعظمتها وسلطانها، وشرفها وبرهانها، لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

دعاء آخر

اللهم إني أنتقب وأحتجب، وأستتر وأمتنع، وأحتمي وأكتفف[٤]، وألتهف[٥] وألتحف[٦]:

- **باسمك العليم[٧] الذي لا ينفصل عن اسمك العظيم[٨].**
- **وباسمك العظيم[٩] الذي لا ينفصل عن اسمك المحيط.**
- **وباسمك المحيط الذي لا ينفصل عن اسمك القدير.**
- **وباسمك القدير الذي لا ينفصل عن اسمك القاهر.**
- **وباسمك القاهر الذي لا ينفصل عن اسمك الأول.**
- **وباسمك الأول الذي لا ينفصل عن اسمك الآخر.**
- **وباسمك الآخر الذي لا ينفصل عن اسمك الظاهر.**

---

[١] أ: القدير المقتدر.

[٢] أ: المحب.

[٣] كلمة (هذه) سقطت من هـ، ق.

[٤] لفظ "واكتفف" غير موجود في أ، ب، وفي م: وأكتنف.

[٥] أ، ب، هـ: وأكتهف.

[٦] ب، م: وأتحف.

[٧] أ، ب، هـ: العظيم.

[٨] أ، ب، هـ: العليم.

[٩] أ، ب، هـ: العليم.

– وباسمك الظاهر الذي لا ينفصل عن اسمك الباطن.

من كل شيطان يغربني[1]، ونفس تأمرني[2]، وذنب يغـرقني، وبـلاء يطـرقني، وشهوة تغلبني، وهوى يجذبني، وشك يحجبني، وشرك يفصلني، وقرين يصدّني، وعـدو يرصدني، وفتن تضلّني، ومحن تملني، ومرض يكلني، وعرض يخلني، وسقم يعلني، وغـم يثقلني، وشر يبدهني[3]، وضر يولهني[4].

أنت حسبي يا سيدي فيما أعلم وأجهل، ظاهراً وباطناً مـن خـير الـدنيا والآخرة تقريبا...

وأنت حسبي يا سيدي فيما أعلم وأجهل، ظاهراً وباطناً مـن شـر الـدنيا والآخرة تجنيبا...

ولا حول ولا قوة إلا بك، عليك توكلت وإليك أنيب.

دعاء آخر

اللهم يا من أينما تولينا فثم وجهه[5] المصون.
اللهم يا من إلى كرم وجهه[6] تشخص العيون.
اللهم يا من بعظيم رجائه[7] تتعلق الظنون.
اللهم يا من رحمته لأهل الدارين خير مما يجمعون.
اللهم يا من إذا أراد شيئاً قال[8] له كن فيكون.

---

[1] أ ب: يعتريني.
[2] في أصل ق: تمريني.
[3] م: يدهيني.
[4] أ: وصريف يلهني.
[5] هـ: وجهك.
[6] هـ: وجهك.
[7] هـ: رجائك.
[8] ب: أن يقول.

﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾[1]، وألبسنا ثوب العافية إنا موقنون، واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا إنا تائبون، واعصمنا فيما بقي من أعمارنا إنا آيبون.

دعاء آخر

اللهم[2] يا من أوجل قلوب العارفين بوقع لمع بروق المكاشفة، وموّه[3] أفئدهم بوهج أنوار المقابلة، إذ أطلعتهم منهم على عورات لا تسترها منهم[4] سواتر الأبدان، ولا تخفيها[5] سرائر الكتمان، فخروا حينئذ للأذقان[6] ساجدين على بساط الإذعان، بوجوه باكية الأجفان، وأركان خاشعة الأبدان، ملظين[7] بيا حنان يا منان، يا رحيم يا رحمن يا عظيم الشأن، يا قوي السلطان، يا قديم الإحسان:

نسألك العفو والغفران، لما[8] لا تستره عن نظرك سواتر الأبدان، ولا تخفيه عن علمك سرائر[9] الكتمان، من خطرات السِّر وحركات الإعلان، بضروب الذنوب وفنون العصيان.

يا من أظهر الجميل وليس في[10] الحقيقة بجميل، وستر القبيح وليس في[11] الحقيقة بقليل[12].

---

[1] [الدخان: ٤٤/ ١٢].

[2] لفظ: "اللهم" لم يرد في ق.

[3] أ: وموت.

[4] أ: منا، ب: عن.

[5] ب: ولا تخفيها عن علمك.

[6] لفظ للأذقان لم يرد في ق.

[7] ألظ: ألح وهي من ق وفي بقية النسخ معلنين.

[8] ب، م: بما.

[9] هـ: سائر.

[10] هـ: على.

[11] هـ: على.

[12] هـ: بالفعل الجميل بدلا عن بقليل.

يا من لا يؤاخذ بالجريرة، من تاب إليه وأصلح السريرة، ولا يهتك الستر، عن مفتضح بالعلانية والسر.

يا عظيم العفو عن كل[1] من أمله ورجاه، يا حسن التجاوز عن كل من جاءه من العمل ببضاعة مزجاة.

يا واسع المغفرة لكل مُقر بالذنوب معترف بالمقدرة.

يا باسط اليدين بالرحمة لكل وجلٍ من خوف النقمة.

يا صاحب كل نجوى فلا تفوته بادية، ولا تخفى عليه خافية.

يا منتهى كل شكوى: ترزق المحروم[2]، وتنصف المظلوم، وتكشف غم المغموم.

يا كريم الصفح فلا يفضح بما قد ستر، ولا يعاتب[3] على ما قد غفر.

يا عظيم المن على أهل السماء بالعصمة، وعلى أهل الأرض بالرحمة، وعلى أهل الجنة بدوام النعمة.

يا مبتدئاً[4] بالنعم قبل استحقاقها، تعطي قبل أن تسأل، وتستقبل قبل أن تستقبل.

يا الله يا من لا إله لنا سواه.

يا ربّاه يا من لا نعبد إلا إيّاه.

يا سيِّداه يا من ساد كل سيِّد وعلاه.

يا مولاه يا من لا يذل من تعزز به ووالاه.

يا غاية رغبتاه، نسألك ما نحبه من فضلك ونهواه[5].

يا منتهى أملاه، نعوذ بك مما نخافه من عذابك ونخشاه.

---

[1] لفظ كل ليس في أ.

[2] أ: المرحوم.

[3] ب، م: يعاقب.

[4] ب، م: يا مبتدئ.

[5] م: تحبه... وتهواه.

لا تشوه خلقنا بمسخ الغضب عند المنقلب، ولا بالبسور[1] يوم البعث والنشور، ولا بالنار مع الفسقة والفجار، ولا خلق والدينا وأولادنا، وإخواننا وأخواتنا وقراباتنا، ولا خلق المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلِّ يا رب على رسولك سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأرض يا رب عن الصحابة أجمعين.

دعاء آخر

اللهم[2]: يا من نزل[3] أحسن الحديث، وجعل أفواهنا له مطالع.

وأرسل نجوم الحكم، وجعل قلوبنا لها مواقع.

وفرض أزكى الأعمال، وجعل جوارحنا لها مواضع.

وخلق[4] صنوف النعم، وجعل حواسنا لها جوامع.

ثم جعلت- تعاليت- أحسن الحديث ألفاظ أسمائك الحسنى، ونجوم الحكم معاني صفاتك الكبرى، وأزكى الأعمال تكرار ذكرك الأشهى[5]، وأشرف صنوف النعم دوام شكرك الأصفى:

فعذب لنا تقبيل أسمائك الحسنى بأفواهنا.

ولَذَّ لنا عناق صفاتك الكبرى بقلوبنا.

وطاب لنا لزوم طاعتك الحسنى بجوارحنا.

وحلاَ لَنا دوام شكرك الأصفى بحواسنا.

فنسألك:

---

[1] البسور: كلاحة الوجه وتغيره، وفي ب: الثبور.

[2] لفظ "اللهم" لم يرد في ق.

[3] ب: أنـزل.

[4] ق، هـ: وجعل.

[5] أ، م: الأشفى.

- أن تجعل ما عذب لنا من تقبيل أسمائك الحسنى بأفواهنا، لها من الزور حاميا.
- وأن تجعل ما لذّ لنا من عناق صفاتك الكبرى بقلوبنا، لها من الران جاليا.
- وأن تجعل ما طاب لنا من لزوم طاعتك الحسنى بجوارحنا، لها من الذنوب واقيا.
- وأن تجعل ما حلا لنا من دوام شكرك الأصفى بحواسنا، لها إلى المزيد داعيا.

يا من ذات العظمة ذاته، ويا من صفات[1] الكرم صفاته.
ويا من آيات الحكم آياته، ويا من علامات القدرة علاماته.

يا من ليس كمثله شيء بالذات، يا من ليس كنعته نعت بالصفات.
يا من ليس كفضله فضل بالآيات، يا من ليس كفعله فعل بالعلامات.

يا من خلق تلك العلامات من أجل هذه العلامات.
ويا من أنــزل تلك الآيات من أجل هذه الآيات.
ويا من اتصف بتلك الصفات من أجل هذه الصفات.
ويا من توحّد بتلك الذات من أجل هذه الذات[2].
يا من بعلامات القدرة دعانا، ويا من بآيات الحكم هدانا.
ويا من بصفات الكرم أغنانا، ويا من بذات العظمة ولّه قلوبنا وأفنانا[3].

أتشقى سيدي ومولاي هذه العلامات الملبية لك بتلك العلامات؟
أم تشقى هذه الآيات المهتدية إليك بتلك الآيات؟
أم تشقى سيدي ومولاي هذه الصفات المستغنية بتلك الصفات؟
أم تشقى سيدي ومولاي هذه الذات الفانية بتلك الذات؟

---

[1] أ، ب: صفة.

[2] هـ: الذوات.

[3] أ: سقطت كلمة (وأفنانا).

أنَّى تشقى سيدي[1]؟ وكيف تشقى؟!

وقد توجهت لمقابلاتك[2] من[3] جميع طرقاتك، وأصغت إلى مخاطباتك بألسنة علاماتك، وانقادت إلى طاعاتك[4] بأزمة آياتك، واستغنت بصفاتك عن جميع برياتك، وولهت بذاتك من جميع جهاتك.

فبأي طريق سيدي ومولاي من هذه الطرق تشقى، ولأي بلاء في السفر[5] إلى مقابلاتك تلقى، وأي ذنوب من الكبائر والصغائر عليها تبقى، بعد إذ ألقت نفسها على هذه الأبواب الكريمة فيمن ألقى[6].

- **إن لم تغرق ذنوبها سيدي ومولاي في بحار علم علاماتك، فجدير بأن تغرق في بحار حكم آياتك.**
- **وإن لم تغرق في بحار حكم آياتك، فجدير بأن تغرق في بحار كرم صفاتك.**
- **وإن لم تغرق في بحار كرم صفاتك، فجدير بأن تغرق في بحار عظمة ذاتك...**

وهنالك تغرق ذنوب الأمم المنيبة إلى أبواب الكرم، من الكبائر واللمم، وإن كانت بعدد حروف القلم، الجاري في لوح القدم، من كل ما مشى به القدم، وبطش البنان وظلم، ونثر اللسان ونظم[7]، وزاغ البصر وكلم[8]، ووعى السمع وكتم، ونوى[9] الباطل وجثم[10]، ونكح الفرج وهمم، ولمس البدن وألم، وذاق الحنك وطعم، وارتاح الأنف وشمّ.

---

[1] هـ: أم تشقى سيدي ومولاي. وفي ب، م: أنى تشقى هذه سيدي ومولاي.

[2] م: لمقابلتك.

[3] م: في.

[4] ب، م، ق: طاعاتك.

[5] أ: الفسر وهي بمعنى النظر والاستيضاح.

[6] م: من إلقى.

[7] أ: ونهم.

[8] أ، م: وعلم.

[9] هـ، ق: وثوى فيه من الباطل.

[10] أ، ب: وحتم، ق: وختم.

ذلك من عبادك ﴿الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[1].

اللهم فإنا فعلنا من الفواحش ما فعلوا، وظلمنا أنفسنا كما ظلموا، وذكرنا جودك وكرمك[2] كما ذكروا، واستغفرنا لذنوبنا كما استغفروا، فأدخلنا من المغفرة والجنة فيما دخلوا، وأوصلنا من النعيم المقيم إلى ما وصلوا، إنك جواد كريم.

دعاء وثناء وتسبيح

اللهم بدوام ضياء صباح[3] سناء سماء أنوار حجب ذاتك، ولألآء بهاء سبحات جمال وجه عوارف لطائف جود كرم صفاتك، وجلال كمال[4] جبروت شرف سلطانك، وشروق شموس سواطع غرر برهانك، من أفق سواد فؤاد فلك إنسانك، وقريب عجيب غريب خفي سر شأنك، المحيط بملكوت عوالم دهرك وزمانك.

تسبيح وتقديس، وتوحيد وتمجيد، وتكريم وتعظيم، وتنزيه وتأليه، بجميع تسبيح المسبحين، وتقديس المقدسين، وتوحيد الموحدين، وتمجيد الممجدين، وتكريم المكرمين، وتعظيم المعظمين، وتنزيه المنزهين، وتأليه المؤلهين، على اختلاف لغات الناطقين، وتغاير صفات المخلوقين، من العالين والدانين، والأولين والآخرين، أبد الآبدين، ودهر ا لداهرين.

---

[1] [آل عمران: ٣/ ١٣٥-١٣٦].

[2] أ، ب: سقطت منها كلمة (وكرمك).

[3] أ: اللهم بأضواء صباح.

[4] أ، هـ: وجلال كمال جمال.

يطول بطولك، ويتعلق بقوتك وحولك، ويتأبد بأبديتك[١]، ويتسرمد بسرمديتك[٢]، ويدوم بديموميتك[٣]، ويقوم بقيوميتك[٤]، ويبقى ببقائك[٥] ويلتوي بلوائك، ويستقر على هوائك[٦]، ويغرق في بهائك.

ينتشر ولا ينطوي، ويستقيم ولا يلتوي، ويتواتر ولا ينقضي، ويشرق في الملكوت ويضيء.

يقبل بوجهه الشافعة عليك، وينظر بأبصاره الشاخصة إليك، ويتضرع بأكفه الواسعة لديك، ويسجد بآلاته[٧] الخاضعة بين يديك.

فتنظر إليه فيهب سعودا، وتقبل عليه فينعم[٨] وجودا، وتتجلى له فيبرق[٩] شهودا، وتكلمه فيرعد بشائر ووعودا[١٠]، وتبارك فيه فيمطر نعماً وجودا.

فتتعافى[١١] به الأجسام الوصيبة[١٢]، وتخصب به النفوس[١٣] الجديبة، وتستبشر به القلوب الكئيبة، وتهتدي[١٤] به العقول القريبة[١٥]، وتأنس به الأرواح الغريبة.

---

[١] أ: بتأبد أبديتك.

[٢] أ: وبتسرمد سرمديتك.

[٣] أ: وبدوام ديموميتك.

[٤] أ: وبقوام قيوميتك، قيموميتك موجودة في جميع النسخ.

[٥] أ: وببقآء بقائك.

[٦] أ: وباستقرار على هوائك.

[٧] أ، هـ: بالإنابة، م: بالأعضاء.

[٨] أ: فيغنم.

[٩] أ، ب: وتتجلى فيبرق.

[١٠] هـ: ورعودا.

[١١] هـ: فتعافى.

[١٢] الوصيبة بمعنى السقيمة.

[١٣] أ، ب: الأنفس.

[١٤] أ: وتهدي.

[١٥] أ: الرغيبة.

فتتحرك تلك الأجسام بطاعتك، وتسكن عن معصيتك[1].
وتتحرك تلك النفوس بمراقبتك، وتسكن عن مجانبتك.
وتتحرك تلك القلوب بمواصلتك، وتسكن عن مصارمتك[2].
وتتحرك تلك العقول بموافقتك، وتسكن عن مخالفتك.
وتتحرك تلك الأرواح بمقابلتك، وتسكن عن مدابرتك.
فاجعل اللهم: من أخص تلك الأجسام بطاعتك أجسامنا.
ومن أخص تلك النفوس بمراقبتك نفوسنا.
ومن أخص تلك القلوب بمواصلتك قلوبنا.
ومن أخص تلك العقول بموافقتك عقولنا.
ومن أخص تلك الأرواح بمقابلتك أرواحنا.

﴿واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾[3].

واجعل حظنا[4] من لطائفك جماً غفيرا، ﴿كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا﴾[5].

وصلّ يا رب على رسولك سيدنا محمد المبعوث بشيراً ونذيرا، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

واغفر اللهم ببركة هذا التسبيح وشرفه، وقدسه وعظمته، لنا ولوالدينا ولأولادنا، وإخواننا وأخواتنا، وأعمامنا وعماتنا، وأخوالنا وخالاتنا، وأجدادنا وجداتنا، وأزواجنا وقراباتنا، وجيراننا وأصحابنا، والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

[1] أ: معاصيك.
[2] أ، ب، م: مصارعتك، مقاطعتك.
[3] [النساء: ٤/ ٧٥].
[4] أ، م: واجعل لنا خطاً.
[5] [طه: ٢٠/ ٣٣-٣٥].

دعاء آخر

اللهم رب الأرواح وما شهدت، والعقول وما علمت، والقلوب وما وجدت، والنفوس وما هويت، والحواس وما أدركت، والجوارح وما كسبت[١]:

أسألك أن تجعل أرواحنا لجلالك شاهدة، وعقولنا لعظمتك ساجدة، وقلوبنا لمحبتك واجدة، ونفوسنا لنعمك[٢] حامدة، وحواسنا لحكمك[٣] قائدة، وجوارحنا في سبيلك مجاهدة.

إنك كريم[٤] البادية، رحيم العادية:

- بَلِّغنا بكرمك سيدي إلى رحمتك.
- وبَلِّغنا برحمتك سيدي إلى جنتك.
- وبَلِّغنا بجنتك سيدي إلى رؤيتك.

إنك على كل شيء قدير.

دعاء آخر

اللهم يا من أنشأ الخلق بقدرته، وصوَّرهم بحكمته، وربَّاهم بنعمته، وصرفهم بمشيئته:

أسألك مشيئة رحمانية تصرف بها عني كل مشيئة شيطانية[٥].

وأسألك إرادة ربانية تصرف بها عني كل إرادة نفسانية[٦].

إني لا أشاء خيراً إلا أن تشاء، ولا أريد صلاحاً إلا أن تريد.

فاهدني إلى الطيب من القول، واهدني إلى صراط الحميد[٧]، إنك حميد مجيد.

---

[١] م: اكتسبت.

[٢] أ، ب، هـ: لنعمتك.

[٣] أ،ب: لحكمتك.

[٤] ب: بلغنا بكرمك سيدي إلى نعمتك، بلغنا بنعمتك سيدي إلى رحمتك...الخ.

[٥] أ: نفسانية شيطانية.

[٦] أ، ب: شيطانية نفسانية.

[٧] م: الصراط الحميد.

دعاء آخر

اللهم اجعلني لك جليساً، وبك أنيساً، ولديك نفيساً، وفي برج[١] مشاهدتك حبيساً، وفي سطر جلالة اسمك حرفاً طميسا، ولا[٢] تجعلني من رحمتك قنوطاً، ولا من كرمك يؤوسا.

اللهم: اجعل فرحي في الدارين بك، ومحبتي في الدارين لك، وحاجتي في الدارين إليك، واعتمادي في الدارين عليك، ووقوفي في الدارين بين يديك.

لا تصرفني بتصاريف الأحوال، ولا تعرضني لمعاريض الأهوال، ولا تحيرني بين مختلفات الأقوال، ولا تفتنِّي بمحبة المال، واهدني إلى الرشد وزحزحني[٣] عن الضلال، واعصمني من التردد بين الإدبار والإقبال.

اللهم: ألزم نفسي بمعرفتك تقواها.
وأصلح بدوام مراقبتك سرها ونجواها.
وأكرم بطاعتك في الدنيا مثواها.
وأبل في خدمتك ودوام شكر نعمك[٤] قواها.
وأخرجها بنور اليقين من ظُلَم شكِّها وغواها.
وصوِّرها بقدرتك صورة ترضاها.
وزيِّنها من مواهبك بزينة تهواها.
واصرف بالاشتياق إلى مشاهدتك هواها.
واجعل الجنة عند المنقلب مأواها.
إنك أنت[٥] وليها ومولاها.

---

[١] أ، ب: برزخ، م: بروج.

[٢] ق: لا.

[٣] أ، ب: وازجرني.

[٤] ب، م: نعمتك.

[٥] أ، ب، هـ: أنت الله.

دعاء آخر وتسبيح

سبحانك حامل الأسماء ببركة اسمك، مجير[١] الصفات بكرم وصفك، ساتر الذوات بلطف ذاتك.

احمل اسمي ببركة اسمك من وضائع الذم.
أجر وصفي بكرم وصفك من وقائع الإثم.
استر ذاتي بلطف[٢] ذاتك من مسخ الغضب وسوء المنقلب.

سبحانك مُحَسِّن الأسماء بمحاسن اسمك، مُكَمِّل الصفات بكمال وصفك، مُجَمِّل الذوات بجمال ذاتك..

حَسِّن اسمي لدعائك..
كَمِّل وصفي لحسن[٣] ثنائك..
جَمِّل ذاتي لنظرك[٤] ونظر أوليائك.

سبحانك محيي الأسماء بحياة اسمك، مُطَهِّر الصفات بطهارة وصفك، مُشَرِّف الذوات بشرف ذاتك:

أحي اسمي الميت بأمراض[٥] الذنوب، كما أحييت اسم كل محبوب..
طَهِّر وصفي المذموم باكتساب[٦] كل مأثوم، كما طَهَّرت وصف كل مرحوم..
شَرِّف ذاتي اللئيمة من الآراء السقيمة[٧]، كما شرفت الذوات المستقيمة..
إنك جواد كريم غفور رحيم.

---

[١] أ: مجيب.
[٢] هـ: بلطيف.
[٣] م وأصل ق: بحسن.
[٤] م: بنظرك.
[٥] م: من أمراض.
[٦] م: من اكتساب.
[٧] ق: بالآراء المستقيمة.

دعاء آخر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾[1].

يا أول: يا من أوّليته قبل كل أول: أجرني من كل فتّان أول، وبلاء أوّل، وحساب أوّل، وعذاب أوّل على كل ذنب أوّل، في الدنيا والآخرة، واعصمني منه، واغفر لي يا خير الغافرين.

يا آخر: يا من آخريّته بعد كل آخر: أجرني من كل فتان آخر، وبلاء آخر، وحساب آخر، وعذاب آخر على كل ذنب آخر، في الدنيا والآخرة، واعصمني منه، واغفر لي يا خير الغافرين.

يا ظاهر: يا من ظاهريته فوق كل ظاهر: أجرني من كل فتان ظاهر، وبلاء ظاهر، وحساب ظاهر، وعذاب ظاهر على كل ذنب ظاهر، في الدنيا والآخرة، واعصمني منه، واغفر لي يا خير الغافرين.

يا باطن: يا من باطنيته دون كل باطن: أجرني من كل فتان باطن، وبلاء باطن، وحساب باطن، وعذاب باطن على كل ذنب باطن، في الدنيا والآخرة، واعصمني منه، واغفر لي يا خير الغافرين.

برحمتك يا أرحم الراحمين.

دعاء آخر

يا قريب الجناب من الأحباب، يا فاتح الأبواب على قلوب ذوي الألباب:

اكشف لي عن معرفة جناب قربك، وافتح على قلبي أبواب مودتك وحبك.

[1] [الحديد: ٥٧/ ١-٣].

لا[1] تعكس من صفتي ما استقام إليك، ولا تصرفني عن طول المقـام[2] بـين يديك، ولا تحرمني طول التضرع لديك، ولا تحجبني عن معرفة الاطلاع عليك.

ارحم[3] برأفة حنّان[4] لطف رحمتك، وجوه صفاتي المقابلة لوجوه صفتك، يـا أشرف مقابل لمقابل، ويا أكرم من وقف بين يديه سائل بمسائل:

أسبل عليَّ ستور النجوى، وانـزع عن رأسـي قلنـسوة الـدعوى، ولا تصرف هواي إلى غير ما قموى، واستعملني بأعمال البر والتقوى، ولا تُبَـدِّل حُرَقـي في محبتك بالسّلوى.

وشَرِّفني بشرف المتابعة لأشرف خلقك، واجعلني من أرِقَّائـك المـستعيذين بك من عتقك، وانقلني من منازل غربك إلى مطـالع شـرقك، وسَـيِّرني في فلـك كواكب أُفُقك، الدائر على العالم بعلوم حقِّك[5]، وارفعني إلى حضرتك علـى جنـاح رفقك، وأوقفني مواقف الشهداء لوميض برقـك، القتلـى[6] بـسيوف ملاحظتـك وعشقك، المقبورين بين كنفي جمعك وفرقك، الـذين شـهدوك كمـا لا يـصفك واصف، وعرفوك بما لا يعرفك عارف، فطاشت عقولهم لهيبتك طـيش العواصـف، واختطفت أرواحهم وقلوبهم منك الخواطف.

فلمّا وجدوا من صفاتك ما فقدوا، وفقدوا[7] من صفاتهم ما وجدوا، خـروا على بساط عظمتك فسجدوا، وقاموا في صفوف الملائكة[8] فـشهدوا بمـا شـهدوا،

---

[1] أ، ب: ولا.

[2] هـ: القيام.

[3] أ، ب: وارحم.

[4] أ، ب: جناب.

[5] أ، ب، ق: حبك.

[6] هـ: القتالى.

[7] ب: وأفقدوا.

[8] م: وشهدوا الله أنه.

أولئك أولوا العلم به قاموا وقعدوا، ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[١].

أَمتْني تحت حكم التفويض إليك في حياتي، واقبض بيدك الرحيمة روح صفاتي، قبضاً أستريح إليه عند وفاتي، قبل مفارقة ذاتي بأيدي الملائكة لذاتي..

أبرزني لبروزك في سلطان رأفتك ورحمتك[٢]، قبل إبرازي لبروزك في سلطان سطوتك ونقمتك.

اقبرني[٣] في أرض رياض[٤] سوح جنتك، إلى جنب ضريح روح سر نفختك[٥]، مغسولاً بماء صفو الغفران، مكفوناً بحرير نسج الرضوان، محنوطاً بحنوط طيب الإحسان، منعوشاً على قضب الروح والريحان، محمولاً على أكف رضوان.

ابعثني من مراقد جهلي بك، إلى ساهرة[٦] سهر حبك، في مشهد[٧] قربك، قبل بعثي من مراقد الأجسام، المتلاشية الأوصال والعظام، والقيام[٨] على الأقدام، بقدرتك يا ذا الجلال والإكرام.

احشرني في زمرة[٩] أحياء الأموات أموات القلوب والصفات، إلى أشرف المقامات وأجَلِّ الكرامات، قبل حشري في زمرة أحياء الرفات، وأموات الذوات، من أقطار الجهات، وأرجاء الفلوات ليوم الميقات.

---

[١] [آل عمران: ٣/ ١٨].

[٢] أ: وارحمني قبل.

[٣] أ، ب، م، هـ: أقبضني من.

[٤] أ: رياح.

[٥] أ، ب: نفحتك.

[٦] ق: (ساهرة) سقطت منها.

[٧] م: من مشهد.

[٨] ب، م: القائمة.

[٩] أ، هـ: زمر.

نَبِّهني على[1] محاسبة نفسي، وأطلعني على ديوان طرسي[2]، وقراءة ما فيه من شواهد نحسي، وذنوب يومي وأمسي، من مكتسب جوارحي وحسِّي، لأستغفرك قبل أن لا غفران[3]، ولأسترضيك قبل أن لا رضوان[4]، ولأتضرع إليك قبل أن تخرس اللسان، وتشهد الجوارح والأركان، بما اجترح الإنسان، قبل أن تنبهني[5] للنبأ العظيم، والخطب الجسيم، والحساب على قنطرة الجحيم، والكتاب المحصي لكل حديث وقديم.

أقمني في كَفَّة ميزان الرضا، واعصمني فيما بقي، واغفر لي ما مضى، قبل إقامتي في كَفَّة ميزان العدل والقضاء، ميزان ترعد له الفرائص وتضطرب الأعضاء.

ثَبِّتْ قدمي على صراط الاقتداء بنبيك، إلى أن ألقاك منعوتاً بنعت وليك، منسوباً إلى حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم وصفيِّك، قبل زلل الأقدام، على صراط الخطر والانتقام، ومعاينة الأهوال العظام، والنار تزفر من خلف وأمام[6]، وتختطف الفجرة من الأنام، آخذاً[7] بحجزة الإمام، إمام البررة الكرام، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، إلى دار السلام، إنك أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعود السلام، ودارك دار السلام، تبارك اسمك، وتعالى جدك، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

---

[1] أ، م: عن.

[2] طرسي بمعنى صحيفتي وكتابي.

[3] أ: قبل لا غفران.

[4] أ: قبل لا رضوان.

[5] أ، ب، م: ينتهي.

[6] م: وقدام.

[7] م: حتى آخر.

دعاء آخر

مولاي[1]: إن أعطيت بلا سبب فليس ببديع من فضلك، وإن أعطيت بسبب فليس ببديع من عدلك.

مولاي: أعمالي أقصر وإن طالت من أن تبلغني إليك، ومعارفي أنقص وإن كملت من أن تطلعني عليك..

. فأنا الجاثي على بساط الافتقار بذل الانكسار بين يديك، وأنا الطائف بحسن الظنون، المتشفع بشرف[2]: ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾[3] المتضرع لديك.

مولاي: الأعمال براهينك، والأقوال بساتينك، والأحوال سلاطينك، فلا تثمر بساتينك حتى تصدق براهينك، ولا تصدق براهينك حتى تعدل سلاطينك، ولا تعدل سلاطينك حتى تنزل معاوينك.

مولاي: فأسألك أن تجعل من بساتينك المثمرة أقوالي..
ومن براهينك الصادقة أعمالي..
ومن سلاطينك العادلة أحوالي.
مولاي: قابلت بين أعمالي وأعمال الصديقين فقَلَّت.
وبين أقوالي وأقوالهم فخرست وكَلَّت.
وبين أحوالي وأحوالهم فعجزت واعتَلَّت.

فَعُذْتُ بوجه[4] المفتقر اللئيم، وأعمال المقصر الذميم، وأقوال الأخرس البكيم، وأحوال المنقطع العديم، إلى مقابلة وجهك الكريم، راجياً لفضلك العظيم، متعلقاً بحبل طولك الجسيم، مستمسكاً بعروة نبيك الرحيم..

إذ لم أر مثلي لئيماً ولا مثلك كريما..

---

[1] أ، ب، م، هـ: اللهم سيدي ومولاي.

[2] ب: بسرق، ن...

[3] [القلم: ٦٨/ ١].

[4] أ: بعدم توجه.

وإذ لم أر مثلي ذميماً ولا مثلك حميما[1]..
وإذ لم أر مثلي ضعيفاً ولا مثلك رحيما[2]..
وإذ لم أر مثلي حقيراً ولا مثلك عظيما..

مولاي، فأسألك:

بالأوصاف الغريبة	والألطاف القريبة
والإشارات العجيبة	والأرواح النجيبة
والأفئدة الكئيبة	والأسرار المنيبة
والعيون الباكية	والقلوب الشاكية
والنفوس الزاكية	والأمثال الحاكية

أن تسقي أرض أوصافي الجديبة، بغيث سماء أوصافك الخصيبة.

وأن تبوئني مُبَوَّأ صدق	وأن ترزقني من أطيب رزق
وأن تلحقني بأكرم عرق	وأن تصحبني بأرفق رفق
وأن تملكني من كل رق	وأن تؤمني من كل عتق

وأن تبلغني ما بلغت إليه الأحباب، الذين اصطفيتهم لنفسك من أولي الألباب، وأن تفتح لي بكرمك ما فتحت لهم من الأبواب، فإن أعمالي قصرت عن اللحاق بهم وانقطعت بي الأسباب، إنك أنت الكريم الوهاب.

وصلِّ اللهم على نور الحجاب، وإمام المحراب، ورحيق الشراب، ولسان الخطاب، وبدر الكهول والشباب، وترجمان السنة والكتاب، المنتخب رسولاً إلى الأعجمين والأعراب، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أفضل آل وأصحاب.

---

[1] ب، م: حليماً.

[2] أ، ب، م: قوياً رحيماً.

اجمع اللهم بالرحمة الفاضلة والرأفة الكاملة والمغفرة الشاملة شملنـا، رحمـة ورأفة ومغفرة تعم بها المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، ممن بعـدنا وقبلنـا، وتخص بخصائصها ونفائسها ولطائفها والدينا وإخواننا وأهلنا، وكن في جميع الأحـوال والأقوال والأعمال عاصماً ومثبتاً لنا، برحمتك يا أرحم ا لراحمين.

دعاء آخر

اللهم إني أسألك عصمةً في النهار لموالاتك، وصفاءً في الليـل[1] لمناجاتـك، فارزقني ذلك وذلك في ذلك وذلك، إنك جواد كريم.

وأعوذ بك من نكد[2] عيش النهار بمنافاتـك، ومـن نكـد عـيش الليـل بمجافاتك، فأعذني من ذلك وذلك في ذلك وذلك، وأعذني من الشيطان الرجيم.

(فإذا أصبحت قدّمت دعاء النهار وأخّرت دعاء الليل، وإذا أمسيت قدّمت دعاء الليل وأخّرت دعاء النهار).

دعاء آخر

اللهم إني أسألك التوفيق لكل عمل في الدنيا، يلحقني على تركـه نـدم في الآخرة، آناء الليل وآناء النهار، صغيراً أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً، ظاهراً أو باطناً[3].

وأسألك العصمة من كل عمل في الدنيا، يلحقني على فعله ندم في الآخـرة آناء الليل وآناء النهار صغيراً أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً، ظاهراً أو باطناً، برحمتـك يـا أرحم الراحمين.

دعاء آخر

– اللهم أصحبني نورك في قلبي، وأصحبني نورك في عقلي، وأصحبني نورك في نفسي.

---

[1] هـ: بالليل.

[2] أ: رغد.

[3] هـ: ظاهرا وباطنا.

- وأصحبني نورك في سمعي، وأصحبني نورك في بصري، وأصحبني نورك في شمسي.
- وأصحبني نورك في ذوقي، وأصحبني نورك في لمسي، وأصحبني نورك في نطقي.
- وأصحبني نورك في بطشي، وأصحبني نورك في سعيي.
- وأصحبني نورك في سكوني، وأصحبني نورك في حركتي.
- وأصحبني نورك في نومي، وأصحبني نورك في يقظتي.
- وأصحبني نورك في حضري، وأصحبني نورك في سفري.
- وأصحبني نورك في ليلي، وأصحبني نورك في نهاري.
- وأصحبني نورك في حياتي، وأصحبني نورك في مماتي.

لأجدك بذلك في جميع ما هنالك، فأثبت[1] بتثبيتك لك، وأهتدي بهداك إليك، إنك على كل شيء قدير.

دعاء آخر

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي الطهر[2] الطاهر الطيب المبارك، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، بعدد كل حرف جرى به القلم، وسلم تسليما:

واجعل قلبي في جوار قلبه	وعقلي في جوار عقله	ونفسي في جوار نفسه
وسمعي في جوار سمعه	وبصري في جوار بصره	
وشَمِّي في جوار شَمِّه	وذوقي في جوار ذوقه	
ولمسي في جوار لمسه	ولساني في جوار لسانه	
ويدي في جوار يده	وقدمي في جوار قدمه	

[1] ب: فأتثبت.

[2] م: المطهر.

وظاهري في جوار ظاهره   وباطني في جوار باطنه

من فضوح الدنيا والآخرة، وبلايا[1] الدنيا والآخرة، ومحن الدنيا والآخرة، وفتن الدنيا والآخرة، وعذاب الدنيا والآخرة، برحمتك يا أرحم ا لراحمين.

دعاء آخر

اللهم خالق النهار، ومالك النهار، وحاكم النهار، وما سكن فيه وتحرك، ودب فيه ودرج، ونزل فيه وعرج، وولج فيه وخرج:

أسألك لي ولآل[2] بيتي ولإخواني ولجيراني ولأصحابي، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، خير هذا النهار، وما سكن فيه وتحرك ودب فيه ودرج، ونزل فيه وعرج، وولج فيه وخرج.

وأعوذ بك وأعيذهم، من شر هذا النهار، وما سكن فيه وتحرك، ودب فيه ودرج، ونزل فيه وعرج، وولج فيه وخرج.

ولا حول ولا قوة إلا بك، عليك توكلت وإليك أنيب.

(وكذلك يقول في الليل: اللهم خالق هذا الليل إلى آخر الدعاء).

تهليل عظيم ودعاء

لا إله إلا الله وحده[3]، لا إله إلا الله رب العالمين،
لا إله إلا الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله مالك يوم الدين،
لا إله إلا الله إياه نعبد، لا إله إلا الله وإياه نستعين،
لا إله إلا الله محمد رسول الله، سيد المرسلين،
لا إله إلا الله محمد نبي الله، خاتم النبيين،
لا إله إلا الله محمد أمين الله، ولي المؤمنين،

---

[1] م، هـ: وبلاء.

[2] أ، ب: ولأهل.

[3] م: وحده لا شريك له.

لا إله إلا الله محمد حبيب الله، إمام العارفين.

صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

اللهم إنا نسألك بما[1] تشتمل هذه الأسماء الشريفة عليه، وتشير هذه الأوصاف المنيفة إليه، من أسرار توحيدك، وأنوار تقديسك وتمجيدك[2]، المختصة بك وبأشرف عبيدك:

أن تهدينا صراطك المستقيم: صراط الذين أنعمت عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، السابقين المقربين في جنات النعيم.

وأن تنقلنا إذا أتانا اليقين، إلى مجاورتهم في جوارك الأمين، بجودك وكرمك إنك جواد كريم.

وأن تغفر لنا ولوالدينا، وإخواننا وأخواتنا، وأعمامنا وعماتنا، وأخوالنا وخالاتنا، وأجدادنا وجداتنا، وأزواجنا وقراباتنا، وجيراننا وأصحابنا، وجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

دعاء آخر

اللهم اجعلنا ممن دخلت هدايته في مشيئتك[3]، وسبقت له الحسنى في غامض علمك، فوفّقْته في هذه الحياة لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإصلاح النسب، وتفكر العقل، وتهذيب القلب، وخضوع النفس، وخشوع الجوارح، واتباع السنة، واجتناب البدعة.

فسعى بتوفيقك إليك، سعي المتوكلين عليك، حتى وقف بين يديك، وطاف طواف التضرع لديك.

---

[1] م: مما.

[2] م: وتحميدك.

[3] أ: مشيئاتك.

فلحظته بعين عصمتك[1] فأمن، وآويته إلى شديد ركنك فاطمأن وركن، فعاش صاحباً مصحوباً، ومات محباً محبوبا، فأدخلته بسلام إلى دار السلام، بجودك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام.

دعاء آخر

اللهم يا من جرت سعادة السعداء في الدنيا والآخرة من خزائن فضله، وجرت شقاوة الأشقياء في الدنيا والآخرة من خزائن عدله.

أسألك أن تجعلنا ممن أجريت له السعادة في الدارين بفضلك، فعمل في الدنيا بطاعتك، وآل في الآخرة إلى رحمتك.

ولا تجعلنا ممن أجريت عليه الشقاوة في الدارين بعدلك، فعمل في الدنيا بمعصيتك، وآل في الآخرة إلى عذابك.

ولا حول ولا قوة إلا بك، عليك توكلت وإليك أنيب.

دعاء آخر

اللهم إني أسألك لي ولآل بيتي ولإخواني ولأصحابي ولجيراني وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، من خير ما ينشر في هذا اليوم من محاسن الأحوال، وينطوي[2] فيه من صالح الأعمال.

وأعوذ بك وأعيذهم من شر ما ينشر في هذا اليوم من مساوئ الأحوال، وينطوي فيه من قبائح الأعمال.

فامنن علي وعليهم -سيدي- بما سألتك، وأعذني وأعذهم -سيدي- مما استعذتك، واكتب لي ولهم أماناً منك وإيماناً بك نقطع بهما هذا اليوم، آمنين من المقت واللوم، إنك على كل شيء قدير.

(تبدأ بذكر الليل إن كان ليلاً، وبذكر النهار إن كان نهاراً).

---

[1] أ، ب: عظمتك.

[2] ب: ويطوى.

دعاء آخر وتهليل

(تقول إذا أصبحت): ختمت الليل بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت العليّ الأعظم.

واستقبلت النهار بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا﴾[1].

(وإذا أمسيت تقول: ختمت النهار.. كذلك).

دعاء آخر

يا من كل حسن في إحسانه، حَسِّن بمحاسنك أعمالي،
ويا من كل جميل في جماله[2]، جَمِّل بجمالك أحوالي،
ويا من كل مطلوب في خزائنه، أغن بكرمك مفاقري،
ويا من كل حاجة في قضائه، اقض بلطفك[3] حوائجي في الدنيا والآخرة،
إنك أنت الملك العظيم، والغني الكريم، والبر الرحيم.

وصلِّ يا رب على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما.

مناجاة ودعاء

إلهي: كم قال فيك القائلون الأولون؟
وكم قال فيك القائلون الحاضرون؟
وكم يقول[4] فيك القائلون الآخرون؟

---

[1] [الإسراء: ١٧/ ٨٠].

[2] م: جميلة.

[3] ب، م: بفضلك.

[4] أ، م: قال.

إلهي: وكم عبدك العابدون الأولون؟
وكم عبدك العابدون الحاضرون؟
وكم يعبدك العابدون الآخرون؟
العالون[1] من أهل السماوات إلى منتهى العرش..
والدانون من أهل الأرضين إلى منتهى الفرش.. وإلى منتهى ما أحاط به غامض علمك من أصناف خلقك..

فما أحصوا ثناء عليك، بما قالوا وبما هم قائلون، ولا يحصون إلى يوم يبعثون، ولا قدروك حق قدرك ولا قاموا بشكرك وبما يجب من حقك بما عملوا وبما هم عاملون إلى يوم يبعثون، ولا بكل أمرك يقومون.

- فسبحانك إلهي بلفظات ألسنة مقصِّرة، يُعَبِّر عنها هذا اللسان عن كل ما تبلبل به فتقول، وغفرا.
- وسبحانك إلهي بلحظات قلوب منكسرة، يُعَبِّر عنها هذا القلب عن كل ما توسوس به فتحول، وغفرا.
- وسبحانك إلهي بإشارات عقول متحيرة، يُعَبِّر عنها هذا العقل عن كل ما تضطرب به فتجول[2]، وغفرا.
- وسبحانك إلهي بحركات أجسام مباشرة، يُعَبِّر عنها هذا الجسم عن كل ما تباشره فتصول[3]، وغفرا.
- وسبحانك إلهي بإدراك حواس مدركة، تُعَبِّر عنها هذه الحواس عن كل ما ترجع به وتؤول، وغفرا.

- يا من التلبية في مقابلة الداعين لغته.
- ويا من القبول في مقابلة التائبين صفته.
- ويا من العطاء في مقابلة السائلين شيمته.

---

[1] م: العالمون.
[2] هـ: فيجول.
[3] هـ: فيصول.

- ويا من المغفرة في مقابلة المستغفرين عدته.
- ويا من المهلة في مقابلة المذنبين رحمته.
- ويا من الجنة في مقابلة الطائعين تحفته.
- ويا من النار في مقابلة العاصين نقمته.

اليوم أعرض ذنوبي وذنوب إخواني فيك، على أسمائك الحسنى وأياديك[1]، يتقدمها الخجل والحياء، ويتوسطها الوجل والبكاء، ويحدوها القلق والشكاء..

وأتوسل إليك باسمك الأعظم[2]، الأجل الأكرم، الأزلي الأقدم، الذي حجبت به بهاءك، وجمعت به سناءك، وعقدت به لواءك، وأضفت إليه أسماءك، ونورت به أرضك وسماءك، وتعبَّدت به عبادك الصالحين وإماءك، وأمرت بتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره، ملائكتك وأنبياءك وأولياءك، وجعلته بتنزيلك[3] القديم، فاتحة لكتابك الكريم، وقرآنك العظيم، وذكرك الحكيم، وذلك:

الله المُشَرَّف[4] بالتقديم، المُنزه بالتكريم، المُمَجَّد بالتفخيم، المُقَدَّس بالتعظيم، الواسطة لسلك أحرف: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم﴾[5]، الذي بهر العقول جلاله، وأفرح[6] الأفئدة جماله، وتفيأ على كل ما أظل العرش وأقل الفرش ظلاله، وعمَّ[7] كل شيء فضله ونواله، واستغرق كل شيء قدره[8] وكماله، وعدم في الأسماء كلها شبهه ومثاله، ولزم كل من تفوَّه به إعظامه وإجلاله.

---

[1] أ: وأناديك، م: وأياديك التي لا تستقصى.

[2] ب، م: العظيم الأعظم.

[3] ب: لتنزيلك.

[4] م: المشرق.

[5] [الفاتحة ١/ ١-٣].

[6] أ، م: لوَّح.

[7] هـ: وغمَرَ.

[8] ب، م: قدرته.

وباسمك الرحمن الذي خصصته بنعت الاستواء، وجعلته لهذا الاسم الأعظم كاللواء، يخفق بالرحمة والرأفة على رؤوس أهل التقوى.

وباسمك الرحيم الكامل، العام لخلقك بالفضل الشامل، الذي جعلته للواء رحمانية ملك الاستواء كالحامل.

وبتوابع هذه الأسماء الجليلة العظمى، من جميع أسمائك الشريفة الحسنى:

أن ترحمني وجميع إخواني الذين دينهم ديني، وشأنهم شأني، ممن تدركه[1] مني العين، أو تستره[2] عني سواتر البين، من مسلمي أهل المشرقين وأهل المغربين ومسلماهم، ومؤمنيهم ومؤمناهم، أحيائهم وأمواهم، رحمة تصلح بها أمرنا[3]، وتغني بها فقرنا، وتجبر بها كسرنا، وتوجب بها أجرنا، وتحطّ بها وزرنا[4]، وتكثر بها خيرنا، وتدفع بها ضيرنا[5]، وتنزع بها شرّنا، وتوسع بها برنا، وترخص بها سعرنا، وتدرّ بها قطرنا، وتزرع بها بذرنا، وتقبل بها عذرنا، وتختم بها عمرنا، وتكرم بها مثوانا، وتنقذ بها غرقانا، وتجعل الجنة مأوانا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلِّ يا رب على رسولك سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وسلم.

دعاء يستفتح به الصلاة قبل الإحرام

اللهم إني نويت التوجه لوجهك، والقيام لمقامك[6]، والتلفظ بكلامك، والإحرام للخلوة بك، والركوع لبهائك، والرفع لرجائك، والسجود لعظمتك وكبريائك، والتسبيح لحمدك، والتكبير لمجدك، والتحيات لعزتك، والصلوات

[1] هـ: تدركهم.

[2] هـ: أو تسترهم.

[3] أ، ب، م: أحوالنا وأمورنا.

[4] أ، ب، م: أوزارنا.

[5] هـ: ضرنا.

[6] أ، م: لقيامك.

لصلتك، والتوحيد لاسمك العظيم، والإقرار بنبوة نبيك الكريم، والسلام عليه وعلى عبادك الصالحين، والصلاة عليه وعلى آله الطيبين، والتسليم عن اليمين والشمال بنية الخروج من هذه الأفعال، والسلام[١] على الحاضرين والغائبين من الملائكة والنبيين والمؤمنين، ورفع اليدين لدعائك، والتضرع لكرمك وعطائك.

اللهم فما لم يتقدم كل لفظة من تلك اللفظات، ويقارن كل حركة من تلك الحركات، من نية حاضرة، أو إشارة[٢] ناظرة، لسهو مغفل، أو خاطر مذهل، فاجعل لتقبلها[٣] سبباً من أسباب جودك، وافتح لتجاوزها[٤] باباً من أبواب كرمك، وصفها من دواخل النقص والذم، كما صفّيت اللبن الخالص من بين الفرث والدّم، وتقبلها بقبول حسن بإحسانك، وأنبتها نباتاً حسناً بجودك وامتنانك، وفضلك ورحمتك، يا أرحم الراحمين.

دعاء تختم به الصلاة

اللهم تقبل منا ومن جميع عبادك ما صلح وما لم يصلح من أقوالنا وأعمالنا على انتقادك.

اللهم إنا لا نريد بما نقول من الذكر، وبما[٥] نفعل من الأمر، وبما[٦] نترك من النهي، وبما[٧] نتلو من الكتاب، وبما[٨] نتقرب به من الأسباب، إلا وجهك الكريم.

---

[١] أ، م: والتسليم.

[٢] أ: وإشارة.

[٣] أ: لقائلها.

[٤] أ: بتجاوزها.

[٥] أ: وما.

[٦] أ: وما.

[٧] أ: وما.

[٨] أ: وما.

اللهم فما خالط ذلك من وساوس أنفسنا، ومتخيلات[١] حسِّنا، وخواطر قلوبنا، وقواطع ذنوبنا، فاغفره لنا، ولا تجعله سبباً لإبطال عملنا[٢]، وخيبة أملنا[٣]، بفضلك العظيم، وجودك العميم، ورحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلِّ يا رب على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وسلم.

دعاء آخر

اللهم: سُق إلينا من رحمتك ما يغنينا   واصرف عنا من نقمتك ما يؤذينا

وأنزل علينا من بركاتك ما يكفينا   وارفع[٤] عنا من بلائك ما يبلينا

وألهمنا من العمل الصالح ما ينجينا   وجنبنا من العمل السيئ ما يردينا

واقذف في قلوبنا من روح معرفتك ما يحيينا،   وأَفِض علينا من نور هدايتك ما يقربنا من محبتك ويدنينا

وارزقنا من اليقين ما تثبت به أفئدتنا وتشفينا،   وعافنا ظاهراً وباطناً من كل ما فينا

واغفر اللهم لنا، ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات (برحمتك يا أرحم الراحمين)[٥].

دعاء آخر

اللهم[٦]:

يا من لم تزل وجوه العارفين له عانية[٧]، وعقولهم في كنه عظمته فانية، ونفوسهم بفضله ورحمته عن الخلق غانية[١]، وقلوبهم إلى مشاهدته قلقة ضانية.

---

[١] أ: وتخيلات.

[٢] أ: أعمالنا.

[٣] أ: آمالنا.

[٤] أ: وادفع.

[٥] لا توجد في هـ.

[٦] لفظ "اللهم" لم يرد في ق.

[٧] عانية: خاضعة.

يا من هو الأول فلا قبل له، والآخر فلا بعد لــه، مــن الأعــداد الزمانيــة والأجزاء المكانية.

يا من هو الظاهر بما أظهر من الظواهر الجسدانية، والباطن بمــا أبطــن مــن البواطن الروحانية.

يا من السر في محيط علمه[٢] كالعلانية.

أحينا بمعرفتك حياة ربانية، وأمتنا برحمتك ميتة إيمانية، وانقلنــا بفــضلك في الكرة الثانية إلى ﴿جنة عالية. قطوفها دانية﴾[٣]، برحمتك يا أرحم ا لراحمين.

أدعية الصلوات الخمس

دعاء بعد صلاة الصبح:

اللهم إني أصبحت على بابك أسيرا، وإلى رحمتك فقيرا، لا أملــك لنفــسي ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا.

﴿رب أدخلني مُدخل صدقٍ، وأخرجني مخرج صدقٍ، واجعل لي من لــدنك سلطاناً نصيرا﴾[٤].

اللهم أيِّدني بروحك، واهدني إلى سوحك، ووفقني لطاعتــك[٥]، واعــصمني عن معصيتك، واجعلني من حزبك[٦]، ومن أهلك ومن خيرتك.

ولا تكلني إلى نفسي، ولا إلى أحد من أبناء جنسي، وتولّني في جميع أمــري، واشدد باليقين والمعرفة أزري، وفُكَّ من حُبّ[٧] الشهوات أسري، وارفــع في الملــك

---

[١] غانية: مستغنية.

[٢] أ: علمه محيط.

[٣] [الحاقة: ٦٩/ ٢٢-٢٣].

[٤] [الإسراء: ١٧/ ٨٠].

[٥] هـــ: إلى طاعتك.

[٦] أ، م، هـــ: جيرتك.

[٧] م: قيد، أ، ب: جميع.

والملكوت قدري، واشرح بحقائق الإيمان صدري، وآنس وحشتي في قبري، واحشرني في زمرة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم يوم حشري.

وصلّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليماً كثيرا.

دعاء بعد صلاة الظهر:

اللهم إنه زالت[1] شمس النهار، وجنحت بعد الارتفاع إلى الانحدار، وأنت الملك الجبار، المتكبر القهار، تزيل الأشياء ولا تزول، وتحيلها بقدرتك ولا تحول.

فأسألك المغفرة لما أسمع وأقول، وأتحرك وأجول.

يا دائم الإقبال على السائلين والقبول: تقبل عملي بكرمك وجودك، وامح عني ما في صحائف شهودك، وامنن علي بوعدك وأجرني من وعيدك، واكتبني من خاصة عبيدك، المخبتين إليك على بساط جودك، إنك أنت الباسط بالكرم، والمبتدي بالنعم.

وصلى يا رب على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وسلم

دعاء بعد صلاة العصر:

اللهم إنه دنت شمسك للغروب، وقربت من الأفول والغيوب، وعلمك محيط بما اجترحت من الذنوب، وأظهرت من الخطل[2] والعيوب.

فأسألك المغفرة لذنوبي، والتغطية لفضائحي وعيوبي[3]، والتقبل لحسناتي، والتجاوز عن سيئاتي.

وأسألك أن تختم يومي هذا بعفوك وإحسانك، وفضلك وامتنانك.

يا من عطاؤه الفضل، وقضاؤه العدل: أجرني من عدلك[4] بفضلك، ومن مناقشتك بطولك يا أكرم الأكرمين، ويا خير المنعمين.

---

[1] أ: اللهم بقدرتك زالت، م: اللهم زالت.

[2] أ، ب، م: الخطايا.

[3] أ، ب: لقبائح عيوبي.

[4] أ، ب: عذابك.

وصل يا رب على سيدنا محمد وآله وسلم.

دعاء بعد صلاة المغرب:

اللهم[1] بقدرتك غربت الشمس، واحتجبت عن إدراك[2] النظـــر واللمـــس، وتحول هذا اليوم إلى صفة الأمس، وأقبل الليل بظلمتـــه، وتـــولّى النـــهار ببهجتـــه وزهرته، وسكن ما كان متحركاً، وتحرك ما كان ساكناً، وأمن مـــن كـــان خائفـــاً، وخاف من كان[3] آمناً.

فأسألك اللهم قبول ما رفع الملكان من حسناتي، ومحو ما رفعا من ســـيئاتي، بيدي ولساني وسمعي وبصري وجناني، وأن تصلح في الدنيا والآخرة شأني، وأن تجعـــل الصالحين رفقتي وإخواني، إنك أنت الكريم الوهاب، والمعطي بغير حساب.

وصل يا رب على سيدنا محمد وآله وسلم.

دعاء بعد صلاة العشاء:

اللهم إنه أظلم الليل وسجى، وعسعس ودجى، وبسط إليك عبادك أكُـــفَّ الرجا، وتضرعوا لطلب[4] النجا.

فأسألك اللهم أن تجعلني ممن دعاك فأجبته، ورجـــاك فوهبتـــه، واســـتجارك فأجرته، وخشيك فأنجيته.

وأسألك اللهم أن تجعل صلواتي مقبولة، وأوزاري علـــى كرمـــك محمولـــة، وأسبابي بسببك موصولة، ونفسي إلى حظائر قدسك منقولة.

---

[1] أ، م: اللهم إنه.

[2] إدراك في ق فقط.

[3] أ: ما كان.

[4] ب: إليك لطلب، م: بطلب.

وأن تحفظني بكرمك في نومي، كما حفظتني في يومي، وأن تحفظ عليّ إيماني بك وإسلامي لك، وتوكلي عليك وتفويضي إليك، وأن تعيذني من نزغ النازغ، ولدغ اللادغ، وتعرّض المارد، وتغرض[1] الحاسد.

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾[2].

وصلِّ يا رب على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مناجاة منظومة عن أسرار مكتومة[3] *(مجزوء الكامل)*

أمعلم الكرم الكرام ... بما أفاض من النعم
يا أهل كل فضيلة ... فيما يجيء وفي القدم[4]
أعْلى المكارم سيدي ... فيما وضعت من الحكم
إكرام جيران الديار ... من الأجانب واللحم
والجار تكرمه الكرام ... وإن أساء وإن ظلم
والجار تحميه الكرام ... من العشائر والخدم
بشبا السيوف وبالألوف ... وبالكلام وبالكَلِم
ولقد يضام الأكرمون ... ومن يجيروا لا يضم[5]
والجار يقتل[6] في الكرام ... وليس تسلمه بدم[7]

---

[1] تغرض: جعله هدفا يُرمى، وفي ق: وتعرض.
[2] [الممتحنة: ٦٠/ ٤-٥].
[3] ب: مكنونة.
[4] أ، ب: العدم.
[5] أ، ب: ولم يضم.
[6] ب: يقبل.
[7] م: لدم.

تـــأبى وتـــأنف أن تـــرى | لخفيرهـــا[1] لجمـــاَ تـــزم[2]
هـــذا حماهـــا نخـــوه[3] | وحمـــاك أشـــرف بـــل أتم
وأنـــا الفقـــير المـــستجير | وفي جـــــوارك لي قـــــدم
فـــلأي أمـــر[4] ســـيدي | أنـــا في جـــوارك أهتـــضم
ويـــضيمني هـــذا وذاك | وأنـــت أقهـــر ملتـــزم
كـــل النواصـــي في يـــديك | مـــع القلـــوب مـــع الهمـــم
وأراك لـــو أطلقتـــهن[5] | لأهلـــك الأمـــم الأمـــم
إن كان مـــن أجـــل الـــذنوب | فـــأين عفـــوك والكـــرم
لـــو أن أعـــداد الـــذنوب | كرمـــل عـــالج أو أعـــم
مـــا كَـــنّ إلا نقطـــة | في بحـــر جـــودك بـــالقلم
فـــاغفر لعبـــدك ســـيدي | منـــها الكبـــائر واللمـــم
واعـــصمه فيمـــا قـــد بقـــى | فلأنـــت أقـــدر مـــن عـــصم
وعلـــى الرســـول فـــصلّ مـــا | لاح البريـــق ومـــا ابتـــسم

ذكر ما يشتمل عليه القرآن العظيم من أسماء الله تعالى وهي ٩٩ اسماً

يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يـا تواب، يا بصير، يا ذا الفضل العظيم، يا واسع، يا بديع، يا سميـع، يـا رؤوف، يـا شاكر، يا إله، يا واحد، يا غفور، يا سريع الحساب، يا حليم، يا حي، يا قيـوم، يـا علي، يا عظيم، يا ولي، يا غني، يا حميد، يا وهاب، يا قائم، يا مالك الملك، يا شـهيد،

---

[1] الخفير: المستجير، وفي ب، م: لحقيرها، اللجم: موضع اللجام من الفرس.
[2] تزم: تربط وتقاد.
[3] ب، م: نخوة.
[4] أ، ب، م: شيء.
[5] أ: أطلعتهن.

يا رقيب، يا حسيب، يا عفو، يا وكيل، يا مقيت[1]، يا علاّم، يا فاطر، يا قاهر، يا قادر، يا عالم، يا لطيف، يا خبير، يا مولى، يا نصير، يا ذا الرحمة الواسعة، يا قوي، يا حفيظ، يا قريب، يا مجيب، يا مجيد، يا ودود، يا فعال لما تريد، يا غالباً على أمره[2] يا كبير، يا متعال، يا خلاق، يا كفيل، يا غفار، يا هادي، يا حق، يا مبين، يا نور، يا كريم، يا محيي، (يا محصي، يا مميت)[3]، يا فتاح، يا شكور، يا قهار، يا غافر، يا قابل التوب، يا ذا الطول، يا ذا العرش، يا رزاق، يا ذا القوة، يا متين، يا بر، يا مليك، يا مقتدر، يا ذا الجلال والإكرام، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ يا مصور، يا ذا المعارج، يا علي، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، يا ﴿مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[4]. آمين.

أسألك يا رب بجميع هذه الأسماء كلها، يا من قال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[5]، يا خير من سُئل، وأوسع من أعطى، أن: ﴿تصلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأن تبارك على محمد وعلى آل محمد، وأن ترحم محمدا وآل محمد، كما صليت وباركت ورحمت وترحّمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد﴾.

اللهم بحق هذه الأسماء التي دعوتك بها، أسألك: أن تغفر لنا ذنوبنا أولها وآخرها، قديمها وحديثها، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، سرّها وعلانيتها.

وأن تطهِّرنا من الذنوب والخطايا تطهيراً كما يطهر الثوب الأبيض من الدنس بالماء، وأخرجنا منها إخراجاً سليما.

---

[1] هـ: يا مغيث.

[2] أ، ب، م: يا غالباً على من تكبر.

[3] ما بين القوسين لم يرد في ق.

[4] [الفاتحة: ١/ ٤-٧].

[5] [غافر: ٤٠/ ٦٠].

واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أبدينا وما أخفينا، وما أسررنا وما أعلنــا، وما أنت أعلم به– يا رب– منا.

وكلما دعوتك به لنفسي وأهلي واستجرتك، فكــذلك فافعلــه بــإخواني وجيراني من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منــهم والأمــوات، طبقة بعد طبقة، ما دامت الحياة، إلى يوم الميقات، إنك على كل شيء قــدير، وبكــل شيء عليم خبير.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

[١] أضافت النسخة ق: تمت الأدعية.

الباب الثالث

مناجاة منظومة فيها أسرار مكتومة[1]

(الكامل)

لي أربع ركبتهن طبائعا ... وجعلت فرط هواك طبعاً خامسا

وجمعت[2] من أسرار خلقك صورتي ... ونصبتني وخفضتهن نواكسا

أهبطت أنوار[3] النجوم إلى الهواء ... فإلى الثرى بالماء كي يتجانسا

فشققتها شقاً له وصببته ... صبَّاً لها وفلقتَ حبا يابسا

أنْبَتَّه وسقيته وزرعته ... حتى استوى متناهيا متنافسا[4]

وحصدته وكتبتَه قوت الورى ... تحيي النفوس به وتغني البائسا

وسللت منه سلالة أجريتها ... بين الرجال بما تقدّر والنِّسَا

من صلب ذاك ومن ترائب هذه ... متماشجاً متلاحماً[5] متلابسا

وجعلت أرحام النساء لمائه ... مأوىً يقرّ به وحبسا حابسا

ونظرت نظرة راحم مترحِّمٍ ... سرّاً إليه بها وكنت مؤانسا

فتقلّبت علقاً لذاك ومضغة ... وبدت عظاماً واكتست بملابسا

وخلقته من بعد خلقاً أخراً ... فتبارك اسمك ذو[6] العلا وتقدّسا

حتى إذا كملت لتسعة أشهر ... أجزاؤه أخرجتَه متناكسا

ونفخت فيه الروح عند خروجه ... فملأت منه مسامعاً ومنافسا

---

[1] أضافت النسختان أ، ب إلى العنوان عبارة: في أول خلق الإنسان.

[2] م: وجعلت.

[3] الأنوار بمعنى الأزهار وهي الأساس الذي تبنى عليه الأشياء، يقال نور التمر أي خلق فيه النوى، ويلاحظ في هذا البيت ذكر النور والهواء والتراب (الثرى) والماء.. وهم العناصر الرئيسية الأربعة

[4] هـ: متجانسا.

[5] أ: متلاشيا.

[6] أ، ب، م: في.

فرأى وشَمَّ وذاق طعم طعامه / ووعى الكلام به وحسّ اللامسا
وغذوته لبَناً لطيفاً بارداً / في الصيف سخناً في الشتا متجانسا
وسقيت والده هواه وأمَّه / فهواه عندهما يُحَسِّن ما أسا
حتى إذا فهم الخطاب دعوتَه / يا عبد كن لي حاضراً ومجالسا
يا عبد أسلم لي جبينك ساجدا / واركع لديّ ولا تكن متقاعسا
يا عبد واحفظني[1] كما أنا حافظ / واطمع بمغفرتي ولا تَكُ يائسا[2]
يا عبد إني راحم مترحِّم / فأنبْ وعد لي قبل عَودك تاعسا
يا عبد ما كافيتني بمحبتي / لك إذ تحب الفاسق المتناعسا[3]
يا عبد هل تدري من استبدلت بي / عمدا شياطين الهوى وأبالسا
يا من تبدّل باليواقيت الحصى / وبصادق الحملات كلباً كابسا
واليت من عاديت فيك وقابلت / منك الوجوه إليك وجهاً عابسا
يا عبد قصدي في صلاحك والرضا / منِّي رضاك[4] فكن لحرفك طامسا
يا عبد إني ناظر متطلع[5] / لك رجعة نحوي صباحك والمسا
يا عبد كم عندي عليك معاتب / ومراحمي ترجو لعلك أو عسى
مولاي حلمك عن ذنوبي مرة / جعل المرار خوامسا وسوادسا
مولاي شيمتك الوفاء وشيمتي / آتي الخيانة راجلاً أو فارسا
مولاي أصلح من طباعي فاسداً / واعمر لذكرك من فؤادي دارسا

---

[1] أ، ب، م: فاحفظني.
[2] أ، ب: آيسا.
[3] ب، م: المتقاعسا.
[4] أ، م: إليك.
[5] ب: مستطلع.

مـــولاي إني خاشـــع متـــضرع   أشكو إليك خـــواطراً ووساوســـا
مولاي هل يصلح بغـــيرك فاســـدي   أم هل تـــزول منـــاحس بمناحـــسا
مولاي أوصـــافي غـــرائس نعمـــة   أنعمتـــها يـــا طيبـــهن غرائـــسا
أنْبَتَّهـــا في أرض جـــودك بُـــسَّقا[1]   طالـــت مطاولهـــا وفَـــتْنَ القائـــسا
وسقيتها من مـــاء حُبِّـــك شـــربةَ   فكأنمـــا زفـــت إليـــك عرائـــسا
العلـــم عيناهـــا وحبـــك قلبـــها   والذكر فوها والحيـــاء لهـــا كِـــسَا
فخرت على الأوصاف إذ بـــك فخرهـــا وتـــسنّمَت[2] للمجـــد رأســـا رائـــسا[3]

فصل في السلوك[4]

اعلم أن طرق السلوك أربع:

– الطريق الأول: اتباع ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، وهذا هـــو الطريق الأعظم، والصراط الأقوم، الذي منه تتفرع طرق السلوك كلها.

– الطريق الثاني: متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، في سننه[5] المـــأثورة، وأخلاقه المشهورة.

– الطريق الثالث: البحث الشديد بالفهم والمعرفة عن عـــارف بكتـــاب الله وسنة رسوله، عاملٍ بهما فتتخذه دليلاً، وتجعل سبيله لك إلى الله سبيلا.

– الطريقً الرابع: تنقطع إليه، أو تتكرر في زيارته والقدوم[6] عليه.

---

[1] بسق: ارتفع وطال.

[2] أ: وتسميت.

[3] رائساً: الوالي المالك.

[4] ق: في السلوك الابتدائي.

[5] أ: سنته.

[6] أ: والدوام.

لأن العلم دعوى، والعالِم مُدَّع، والعمل شاهد، فمن قام شاهده، قُبلت دعواه، وصحَّت للمستفتين فتواه، ووجبت متابعته على كل من سمعه ورآه..

فهذا[1] مطلوب السالكين، والدليل على طرق الناسكين.

وأعلم أن الفقر في زماننا هذا، ليس هو[2] الفقر المشار إليه في صفة أهل الصفة ومن تابعهم، إنما هذا[3] فقر دعاوى[4] باطلة، وأحكام غير عادلة، وملازمة ومغارمة، تؤدي إلى محاربة ومخاصمة.

إنما الفقر خُلُقٌ وصَفَا، وكَرَم ووفاء، ومتابعة للمصطفى، ومجانبة لأهل الطمع والجفاء..

مجالسة أهله شفاء، ومغفرة لمن زلّ وهفا...

يُقَرِّبون البعيد، ويؤنسون الوحيد، ويؤون الطريد، ويردُّون الشريد، ويهدون إلى صراط الحميد، ويؤدِّبون بالإشارة، ويلاطفون في العبارة[5]..

يُريحون على من قدم عليهم، ويتحببون إلى من انتسب إليهم، يداوون العليل، ويتقنعون[6] بالقليل، ويشفون بحسن مفاكهتهم الغليل.

خُلُقهم[7] خلق الحبيب، وملتهم ملة الخليل..

حسبهم من الدنيا يسير لقمة، وحسبهم من أهلها أخ ذو فقه وحكمة.

فهؤلاء الذين صحبتهم نافعة، وكواكبهم طالعة، وأخلاقهم واسعة، وسيوفهم قاطعة.

فما أقلّهم في الناس، ولا يزدادون إلا قِلَّة، جعلنا الله وإيّاك منهم، وألحقنا الله وإيّاك بهم، إنه قريب مجيب.

---

[1] ق: وهذا.

[2] لفظ هو من ق، م.

[3] م: هو.

[4] بقية النسخ عدا ق: دعوى.

[5] ب، م، هـ: بالعبارة.

[6] أ، ب، م: ويقنعون.

[7] ق: وخُلُقهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

صِفَةُ خُلُقِ الفقير[1]

[وبالله التوفيق وإليه المصير]:

الفقير أرَقُّ من الماء، وأعلى من السماء، وأخف من الهواء، وألطف من الصَّبا[2]، وأحلى من الجنى، وأصفى من الجوهر، وأذكى من العنبر، وأعذب من الكوثر، وألين من العبقر[3].

إذا خاطب ألان، وإذا خوطب أبان، وإذا استعين أعان، ﴿وإذا قيل له: اتق الله﴾[4] دان.

يُنصِف من نفسه ولا ينتصف لها، ويفتخر بربه ولا يفتخر بها.

عَزْمُه أحَدُّ من السّيف، وهِمَّته أسرع من الطَّيف، وجنانه[5] أخصب من الصَّيف[6]، وأحكامه مجانبة الحيف.

يألف ويؤلف، ويعرف ولا يعرف[7]، ويعطف ولا يستعطف، ويتكلّف لما يكلف، مثله كالبحر، ظاهره يحمل الركبان، وباطنه الدر والمرجان، يأكل من سمكه الآكل، ويتطهر بمائه الغاسل، يقرِّب لراكبه[8] المسافة، ويأمن فيه من المخافة.

ذلك هو الفقير الكامل، كريم الخلق والشمائل، عالم بالله عامل، سخي النفس والأنامل، مسرع إلى الفضائل، بطيء عن الجاهل، مَحَلٌ[1] لأوامر الله قابل..

---

[1] الفقير هنا كناية عن الصوفي.

[2] الصَّبا: ريح مهبها جهة الشرق.

[3] العبقر: ضرب من البسط الفاخرة.

[4] [البقرة: ٢/ ٢٠٦].

[5] ب، م، هـ: جنابه.

[6] من أول السطر (عزمه...) سقطت من أ.

[7] ب: م، هـ: ويعرف ويعرف.

[8] ق، هـ: براكبه.

مُنَبِّه على الخير نبيه، معدوم الشكل والشبيه، معرض عن كل سفيه، تارك لكل كريه..

صمته فكر، ونطقه ذكر، وعلمه شكر، وحركته أجر، ومجاعته صبر.
إن قال صدق، وإن قيل له صدّق، وإن عزم على أمر تحقق.
إذا قدم على الإخوان حكمهم، وإذا قدموا عليه أكرمهم.

فصل

الصدق مطيّة حامله[٢]، والتقوى زاد مبلغ، والقناعة رأس الزهد، والحرص رأس الرغبة، والصبر جواب الفقير لدواعي[٣] شهوته..

ومَن فرَّغه الله لطاعته، وأتاه برزقه من حيث لا يحتسب، فقد هيَّأه للإقبال عليه، ووجّهه للتوجه إليه.

وذلك هو النعيم الذي يسأل الله عنه من ضيّع نصيبه منه، فقطع أوقاته في الضلالة[٤]، وأنفق فراغه في أسواق[٥] البطالة..

وأعلم أن أَبْخَسَ الحظوظ حظ البطن، وأن أنفس الحظوظ حظ القلب، فمن آثر حظّ بطنه على حظّ قلبه، قطع مسافة[٦] الدنيا بلا قلب، ومن قطع مسافة الدنيا بلا قلب، كان من الذين ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾[٧].

---

[١] أ، ب: مجل.

[٢] ب: لحامله.

[٣] م: لداعي.

[٤] ق: بالضلالة.

[٥] ب: بأسواق.

[٦] أ، ب: مسافات.

[٧] [محمد: ٤٧/ ١٢].

فصل

دَلِّ تَنَعُّم المسجون على سقوط همته، ودلّ سُلُوِّ المهجور على نقصان محبته.

تعلّق الداء بالدواء فسأله الشِّفاء لعلته، فقال له[1] على شرط الصبر على شرب العقاقير، وترك المألوفات.

الطريق واضح، والدليل ناصح، والمقصود كريم، ألا سالك للطريق، ألا تابع للدليل، ألا قاصد للكريم.

مسألة

إذا دخلت الداخلة المنافية للعافية، على نفس العارف بالله[2]، المحب لله، الواجد بالله، هل يكون مع نفسه في الداخلة المنافية للعافية، أم مع ربه في الوجود الدائم والمحبة الصافية؟.

الجواب، وبالله التوفيق:

أن يعتقد أن الله عز وجل هو الذي أدخلها عليه، ووجّهها إليه، ليختبر دعواه، في صحته وبلواه.

إن ثبت ثبت له ما ادعاه، وتوفر له أجر ما سعاه، وإن لم يثبت فسد عليه ما ادعاه، ولم يتوفر له أجر ما سعاه.

وعلى الجملة أن يكون مع كونه مع الله، متضرعاً في كشفها إلى الله (عز وجل)، ولا يظهر التجلّد عليه، فيزيد في بلائه ويَكِلُه إليه. (المنسرح)

خالط لحمي وجوده ودمي ... من أمّ رأسي إلى ثرى قدمي
أقرب مني إلى حاضره في ... صحتي لم يزل وفي سقمي

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[1] كلمة "له" سقطت من أ، م.

[2] ب، م: العارف المحب لله.

﴿ألم. أحسبَ الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون. ولقــد فتنّــا الذين من قبلهم فلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صدقوا ولَيَعْلَمَنّ الكاذبين﴾[1]

فصل

عظمت نعمة الله على من تعرّف إليه، وافترض طاعته عليه، فجعل:

عقله محلاً لمعرفته وقلبه محلاً لمحبته ونفسه محلاً لنعمته
وسمعه محلاً لخطابه وبصره محلاً لقدرته ولسانه محلاً لذكره
وأركانه محلاً لخدمته

فطوبى لمن شكره على صنائعه الظاهرة، ونِعَمه[2] المتواترة؛

فأبلى في ذلك بدنه، وقطع على ذلك زمنه، فعاش في رعايته، ومــات علــى كلايته، وانتقل إلى جواره مغتبطاً بجنته، آمناً من ناره، لم تتخطّفه الأهوية، ولم تترامــاه الأدوية[3].

عقل عن الله فانتقل إلى الله، فاستغنى عن كل أحد بالله، لا يفتقــر أبــداً إلا إليه، ولا يعتمد أبداً إلا عليه.

تقيّ الباطن، نقيّ الظاهر، ذو نفس[4] ساكن، وقلب حاضر.

سلك الطريق على قدم التصديق، وعمل التحقيق.

لا يعدل عن السنة، ولا يلتفت إلى الفتنة، ولا يفتر عن ملاحظة الْمِنّــة، ولا ينقلب عند هجوم المحنة.

يتوقّع نــزول الموت، ويبادر بالعمل[1] الصالح قبل حلول الفوت.

---

[1] [العنكبوت: ٢٩/ ١-٣].

[2] أ، م: ونعمته.

[3] الأدوية هنا بمعنى الأصوات ومنها دوي السحاب، وهي كناية عن عدم تردده بين مختلف الدعوات، وفي ب، هـــ: الأودية.

[4] أ، م: ونفس.

فهو عن الدنيا معرض،. وعلى الآخرة مقبل، وبين يدي الله خاضع، ومن هيبته خاشع، وللمؤمنين متواضع، وللمسلمين مُسالِم ولنفسه منازع، وعليها في كل حركة مطالع.

فللّه درّ من كانت هذه صفته، طويت عليها صحيفته، وكتبت خاتمته: ما أشرف أحوَاله، وما أحب إلى الله أمثاله.

فكونوا أيها الإخوان له[2] إخوانا، وطابقوه في هذه الصفة[3] سراً وإعلانا.
وفَّقنا الله وإياكم لذلك، وهدانا إلى ما هنالك، إنه ولِيُّ ذلك، آمين.

فصل

أيها العاقل ما أشبهك بالجاهل.
أيها العارف ما أشبهك بالمنكر.
أيها الصحيح ما أشبهك بالعليل.
أيها النبيل ما أشبهك بالخبيل.

العقل دواء والجهل داء، فإذا كان العاقل يشرب الداء وهو يسمع ويرى، (ويكره الدواء وهو يسمع ويرى)[4]، فليس بعاقل عند العقلاء، ولا بفاضل عند الفضلاء، ولا بنبيل عند النبلاء، ولا بعارف عند العارفين، ولا بصحيح عند المتوسمين، بل هو الجاهل الخبيل، والمنكر العليل، من حيث عرف الدواء فلم يشربه، وتحقق الداء فلم يجتنبه، ولم يهبه.

فذلك[5] القاتل لنفسه بيده، والملقي بذاته إلى التهلكة بعمده.

واعلم أن من سلك طريقاً فغويها، أو حفظ آية فنسيها، فلم يطلب دليلاً يوصله، أو عالماً يرد عليه ما نسي ويحمله، عاش حائراً، ومات عن السبيل جائراً،

---

[1] م: للعمل.

[2] كلمة "له" غير موجودة في أ، ب.

[3] أ، ب، م: وطابقوه فيها سراً وإعلاناً.

[4] العبارة بين القوسين سقطت من أ.

[5] م: فذلك هو.

ويحشر أعمى: ﴿قال رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليومَ تنسى ﴾[1].

واعلم أن الوصية أمانة، وأن الأخوة في الله حجة، وأن الدنيا فتنة، وأن حبها محنة، وأن أهلها سوقة، وأن السوقة[2] سباع يفترسون من صاحبهم، ويخونون من نصحهم، ويكذّبون من صدقهم، ويهينون من أكرمهم.

فمن اختار صحبتهم لبس بحكم الضرورة حليتهم..

ومن لبس حليتهم اتصف بحكم الضرورة صفتهم..

ومن اتصف صفتهم عاش في الدنيا عيشتهم..

ومن عاش عيشتهم مات بحكم الضرورة ميتتهم..

ومن مات ميتتهم بعث في الآخرة بعثتهم: ﴿وما يشعرون أيّان يبعثون. بل ادّارك علمهم في الآخرة، بل هم في شك منها، بل هم منها عمون﴾[3].

أفترى عاقلاً عرفهم فصحبهم وخبرهم فأمنَهم، إلا أن يكون عاشقاً لمعشوقهم، رامقاً لمرموقهم، محباً لمحَبوبهم، طالباً لمطلوبهَم، فليس ذلك بسواهم، إذ هواه هواهم، وبلواه بلواهم، ومعناه معناهم، فيوشك أن يثوي في البرزخ مثواهم، ويأوي في الآخرة مأواهم.

فالله المسؤول أن يُلحقنا بالصالحين، وأن ينقلنا إذا أتانا اليقين، إلى مجاورة: ﴿الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾[4].

[آمين آمين، برحمتك يا أرحم الراحمين].

فصل

اعلموا أيها الإخوان، وفقنا الله وإياكم لما يوجب الرضوان:

---

[1] [طه: ٢٠/ ١٢٥-١٢٦].

[2] أ، ق: والسوقة.

[3] [النحل: ٢٧/ ٦٥-٦٦].

[4] [النساء: ٤/ ٦٩].

أن إتيان ما أمر الله به أو ندب إليه[1]، على الجملة والتفصيل يسمى طاعة.

وأن إتيان ما نهى الله عنه أو مقت عليه، على الجملة والتفصيل يسمى معصية.

فإذا حصلتم على شيء مما أمر الله به أو ندب إليه، فاحمدوا واشكروا، وافرحوا واستبشروا، تبعاً[2] لقوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾[3].

وإذا حصلتم على شيء مما نهى الله عنه، أو مقت عليه- والعياذ بالله- فتوبوا واندموا، واعترفوا واستغفروا، تبعاً لقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[4].

فإذا جادلكم مجادل، أو سألكم سائل عن اعتقادكم في الذات والصفات، والمعاصي والطاعات، والحسنات والسيئات، والخير والشر، والنفع والضر، والغنى والفقر، والخلق والأمر..

فقولوا نعتقد في ذلك كله، ما يتضمنه[5] سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- سبحان الله: تنزه وتطهّر، وتقدس وتكبر، عن كل ما ينسب إليه، مما لا يليق به ولا يصلح عليه.

---

[1] من هنا يوجد نقص في النسخة هـ حتى ص (٢٣١).

[2] أ: اتباعا.

[3] [يونس: ١٠/ ٥٨].

[4] [آل عمران: ٣/ ١٣٥].

[5] م: ما تقتضيه.

- والحمد لله: على السَّرَّاء والضرّاء، والشدّة والرّخاء، إذ هو عدل في القضاء، خبير في المنع والعطاء، رحيم في العافية والبلاء، بصير بمصالح الورى، في الآخرة والدنيا.
- ولا إله إلا الله: الخالق[١] للخلق والمدبِّر للأمر، والمحقق للحق المُصَرِّف للدهر، الحقيق بالتأليه، القمين بالتبتل والتوليه[٢]، يحيي ويميت، ويفضل ويقيت، ويوجد ويفيت[٣]، لا اعتماد لمن عبده إلا عليه، ولا حاجة لمن عرفه إلا إليه.
- والله أكبر: من أن يوصَف أو يُكَيَّف، أو يقيد أو يصرف[٤]، أو يقدر أو يجسم، أو يجور أو يظلم.
- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
- ولا حول: عن الطبع الخسيس، إلى الطبع النفيس إلا بتحويله.
- ولا قوة: على فعل الطاعة وترك المعصية إلا بتوفيقه.
- العلي: فلا يعلى[٥].
- العظيم: فلا يحكى[٦].

يضل من يشاء عدلاً، ويهدي من يشاء فضلاً: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[٧].

فصل

لك الحمد إلهي على الفوز بصفات[١] وجودك، وعلى السُّمو إلى جلال شهودك، إذ رفعت إليهما[٢] أقل عبيدك، بفضلك وكرمك ورحمتك[٣] وجودك، من

---

[١] أ: الخالق البارئ والمدبر.

[٢] أ: القيم بالتبتل والتأله، ب: الملقن بالتبتل والتوليه.

[٣] م: ويغيب.

[٤] أ: أو يصدف.

[٥] ب، م: فلا يعلى عليه.

[٦] ب: فلا يحكى عن عظمته.

[٧] [البقرة: ٢/ ١٣٦].

بعد أن كان عدماً في الطين، ساقطاً عن علوم الدنيا والدين، فرفعته بالعناية إلى أعلى معاليه، ورقَّيته بالرعاية إلى أشرف مراقيه، حتى تعرّفت إلى قلبه الغافل بأنك فيه، قائماً على شرف ذلك الكنف تناديه: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾[4]، فلاقيته سبحانك بوجوه شتى:

ملاقاة بالصفات والأسماء، العبارة عنها من كلامك: علم اليقين.

وملاقاة بالتوفيق والهدى[5]، العبارة عنها من كلامك: عين[6] اليقين.

وملاقاة بالسِّرّ والمعنى، العبارة عنها من كلامك: حق اليقين.

فبعلم اليقين قامت الحُجّة، وبعين[7] اليقين وضحت المحجة، وبحق[8] اليقين أشرقت شموس البهجة، ووقع العارفون في اللُّجة..

ففريق في الحجة لا في المحجة هلكوا، وفريق في المحجة لا في اللجة سلكوا، وفريق في اللجة جاوزوا من في الحجة والمحجة.. (غرقوا)[9] وانهتكوا. (الكامل)

طلبوه عن جوعٍ وعن عطشٍ به فبدت لهم أنوار بهجة قربه
وتقرّبوا فتقربت أنواره[10] ومشوا فهرول بارزاً من حجبه
حتى استوى لقلوبهم بقلوبهم متبرقعاً بجلاله في غيبه
يا طيب ما ذاقوه حين بدا لهم من وجده وصفا لهم من شربه

---

[1] أ، ب، م: بصفاتك.

[2] أ: إليها.

[3] كلمة "ورحمتك" في ق فقط.

[4] [الانشقاق: ٨٤/ ٦].

[5] بهامش ق: بالشهود والنجوى.

[6] كانت في الأصل في ق: حق.

[7] كانت في الأصل في ق: وبحق.

[8] كانت في أصل ق: وبعين.

[9] لفظ "غرقوا" ليس في ق ويبدو أن ذلك هو الأصوب.

[10] أ: أنوارهم.

وجلوا: فأمنــهم بــصادق وعــده أسفوا: فبــشرهم بــسابق[1] حبــه
أعجب بهم وبوصــلهم وبفــضلهم وبخطبــهم في أمــره وبخطبــه
حصلوا على هذا الوجود وكلّهــم يبكي على مــا فاتــه مــن ربــه
أفلــيس ذا عجــب غــرام مُتَــيَّم يشكو الجــوى وحبيبــه في قلبــه

غيره: *(موشح)*

شــربوا هــواه لمحــوا ســناهُ سبحوا فتــاهوا في بحر[2] ما هو
بعثوا الــسرايا سبقوا البرايا[3] لزموا الزوايــا كتموا وفاهوا
نهلــوا وعلــوا عقدوا وحلوا رشدوا وضــلوا دون منتــهاهُ
قــرؤوا المثــاني فهموا المعــاني هدموا المبــاني فبــدا الإلــه
كلــهم معنّــى يقصدون معنى من لــه تمــنى لم ينــل منــاه

فصل

مولاي: حواصل جوعي فاغرة الأفواه إلى ما تطعمها من طيــب أنفاســك، وغلائل عطشي ذابلة الشفاه إلى ما تسقيها من لذيذ كأسك.

فمُنَّ على هذه الحواصل الغرثى[4]، من طعامك الشهي بما يغنيها، ومُنَّ علــى هذه الغلائل العطشى، من شرابك الروي بما يرويها.

فإنّ جوع هذه الحواصل لا يشبع[5] أبداً إلا من طعامك، وإنّ عطــش هــذه الغلائل لا يروى أبدا إلا من شرابك، كذلك يقول قائلها فيها، يعرضــها لنفحــات

[1] أ، ب: بصافي.
[2] ق: بحار.
[3] م: المطايا.
[4] الغرثى: الجوعى.
[5] أ: لا يشهى.

رحمتك[1] ويحكيها، لتمُنَّ عليها من شهي طعامك بما يغنيها، ومن لذيذ شـرابك بمـا[2] يرويها. (الوافر)

فلـو طعمـت طعـام الطاعمينـا ... جميعـاً مـا شـبعنا ولا هنينـا
ولو شـربت شـراب الـشاربينا ... جميعـاً مـا بردنـا ولا روينـا
ولو ملكت خـزائن كـل شـيء ... من الأشـياء دونـك مـا غنينـا
فـإن تطعـم فجائعـك المُعنَّـى ... وإن تـسقي فظامئـك الحزينـا
خلت منه القوى عن كـل شـيء ... لتـنفخ في القـوى رُوحـاً أمينـا
يَحِـنّ بمـا يُكِـنُّ ولا حنينـاً ... يـئن بمـا يحـن ولا أنينـا
يـبين ولا يـبين[3] وكـل صـبٍّ ... لـه أن لا يـبين وأن يبينـا[4]
فلـولا[5] أن يـبين لمـات حيـا ... ولـو أن لا يـبين لمـات حينـا
فَطَوراً في الهـوى[6] يلقـى الأمـاني ... وطوراً في الجـوى يلقـى المنونـا
كـصبح يقتـضي لـيلاً بهيمـاً ... كليـل يقتـضي صـبحاً مبينـا
إذا وارى فَلَيْـلٌ أو تـوارى ... وذلـك أن أكـون ولا يكونـا[7]
وإن جلّـى فـصُبْحٌ أو تجلـى ... وذلـك أن يكـون ولا أكونـا

---

[1] م: جودك.
[2] أ، ب: ما.
[3] ب: وما.
[4] أ، ب، م: ولا.
[5] م: ولولا.
[6] أ: الهدى.
[7] هذا الشطر والذي يليه في أ، ب: وذلك أن أكون ولا يكونا، وفي م: وذلك أن يكون ولا يكونا.

فصل

لَمَّا احتجب ذو الصفات القدسية والنعوت العزية[1]، عن الأبصار الحسية، سبح سابح عقل البرية[2]، بالأسرار الفهمية، في البحار العلمية، ملتمساً للصفة القربية، من المقامات البعدية، في المقاعد الصدقية، فإذا هو بصفته المعنية، مع من أفرده[3] بغير تثنية[4]، فنقله من فراق التعزية إلى عناق التهنية، لعروس[5] المعرفة الأرضية. (مجزوء الخفيف)

فاقتضى الحق مقتضاه … وانتهى فيه منتهاه

فهو برهان ما توارى … عن براياه من سناه

فمن عناه فقد عناه … ومن رآه فقد رآه

سقاه بالعين ما سقاه … فغاب في سكر ما سقاه

شراب حب بكاس قرب[6] … أضلّه فيه عن هداه

إذا تجلى له محاه … وإن توارى به[7] بناه

فما محاه ولا بناه … ولا بناه ولا محاه

إذا رآه فلا يراه … وإن رآه[8] فلا يراه

هنا إله وليس عبد … وثم عبد ولا إله

---

[1] أ، ب، م: التربية.

[2] ق: التربية.

[3] ب، م: المعنية من إفراده...

[4] م: تشبيه.

[5] ق: مصححة بالهامش إلى: لاجتلاء عروس.

[6] "بكاس قرب" في أ، ب: بطاس قدر.

[7] ق(قبل التعديل)، م، هـ: له.

[8] "وإن رآه" في أ: أولا يراه.

فصل

دعت المعاني المغاني، [فلبّت المغاني المعاني، مشت المغاني إلى المعاني، فهرولت المعاني إلى المغاني، اتصلت المغاني بالمعاني، فمحت المعاني المغاني][1]، فإذا المعاني هي المغاني[2]. (مخلع البسيط)

إذا المعاني هي المغاني وما لها في الوجود ثانِ
سبحان سبحان من دعاها فهرولت ترتجي الأماني
فاتصلت منه بالمعاني فأصبحت ما لها معانِ
سبحان سبحان من محاها عن التراكيب والمباني
فسِرُّها في البقاء باقٍ وجهرها في الفناء فانِ

غيره: (مجزوء الكامل)

لا حرف لي في حرفِهِ لا وصف لي في وصفه
لا جهر لي في جهره لا لطف لي في لطفه
لما بدا ضل الهدى ثم انطوى في كشفه
فالكل من هذا وذا من خلقه في كفه

غيره: (مجزوء الكامل)

نفحات قلب عاشقٍ بلسان صب وامقِ[3]
شرب الغرام بكله من أعين وأبارق
فهو الغرام بذاته بصوامت ونواطق
يسقي الخلائق ما استقى من خمر حب الخالق

[1] ما بين القوسين سقطت من أ.

[2] في ق وردت جميعها بلفظ المعاني.

[3] وامق: محب متودد.

ويـــــزوج المتعـــــزبين بكـــل بِكّـــرٍ عـــاتق
من حور عـــين أرســلت بـــــدقائق وحقـــائق
وعظـــــائم ولطـــائف وجلائـــل[1] ورقـــائق

غيره: (المتقارب)

لـــساني كليـــل وقلـــبي عليـــل وعقلي خبيـــل وصبري قليل
وذكري حـــنين وفكـــري أنـــين وحلمي[2] جنون وروحي قتيل
ونطقي صموت وحالي ســكوت وذهـــني بهـــوت ودمعي يسيل[3]
وشخصي رهين وسري حـــزين[4] وسيري مهـــين وما لي حمـــول
وشوقي هبوب وتوقي شـــبوب وحـــبي قريـــب وما لي ســـبيل
قريـــب المعـــاني بعيـــد الأمـــاني به الكـــل عـــان كئيب نحيـــل
تعالى شـــكائي تـــوالى بكـــائي فمن ذا لـــدائي سواكم يزيـــل
أمـــا لي حمـــيم أمـــا لي رحـــيم أمـــا لي نـــديم أما لي كفيـــل
أمـــا لي ظهـــير أمـــا لي نـــصير أمـــا لي مُجـــير أما لي خليـــل
بعيدي قـــريبي مصيبي حبـــيبي مذيبي[5] طبـــيبي فماذا أقـــول

فصل

قال له: أحط علماً بربك ولن تحيط به، أحط علماً بما يليك منه، فإنـــه مـــا يليه منك[6].

---

[1] ب: وحرائر.

[2] أ، ب، م: وحكمي.

[3] أ، ب، ومعدلة في ق: سيول.

[4] ب: حزين.

[5] ب: مديني.

[6] أ، ب، م: فإن له ما يليه منك.

وقال له: لا تتخلَّى[1] صفته عن صفتك، ولا ذاته عن ذاتك.

وقال: الرحمانية قامت، والشيطانية هامت، فاستودعها ولا تودعها، وأغمدها ولا تجردها، واقبلها[2] ولا تقابلها، واحملها ولا تحمل لها، فإن ضنينها من حملها لا من حمل لها، وحبيبها من قَبلها لا من قابلها.

- لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له: فيك..
- له الملك وله الحمد: فيك..
- يحيي ويميت، وهو حي دائم[3] لا يموت: فيك..
- بيده الخير: فيك..
- وهو على كل شيء قدير: فيك..
- لا إله إلا الله: نفاك ووجب..
- وحده لا شريك له: محاك وانكتب..
- له الملك: فيك لا لك فيه..
- وله الحمد: عليك لا لك عليه.. يحيي: منك ما أحيته معرفته..
- ويميت: منك ما أماته إنكاره..
- وهو حي: حاضر فيك أبدا..
- لا يموت: لا يغيب عنك أبدا..
- بيده الخير: منه يطلب ولديه يوجد[4]..
- وهو على كل شيء قدير: (من كل ما لست عليه بقدير)[5].

فصل

قال له: سما فرعك على ما رسا عليه أصلك..

---

[1] في ب، م: لا تتحابى.. وفي أ: لا تتخلى.

[2] ب: وقبلها.

[3] كلمة "دائم" سقطت من أ، ب.

[4] أ: يوجب.

[5] العبارة بين القوسين سقطت من أ، ب.

عروق الشجرة الطيبة: التوحيد العام للخاص والعام.

أصول الشجرة الطيبة: اتباع الأمر واجتناب النهي للخاص والعام.

فروع الشجرة الطيبة: نوافل الإحسان في السر والإعلان.

ثمرة الشجرة الطيبة: فائدة واستفادة: تستأتي وتؤاتي[1]، تستطعم وتطعم، تستسقي وتسقي.

طعامها يصلح لكل جائع، وشرابها يصلح لكل عطشان، ظِلّها ممدود الليل والنهار، وأكلها موجود الشتاء والصيف.

أرضها جسم طائع وفيها يعرق[2].

وجوّها قلب خاشع وفيه تبسق[3] وتورق.

وفرعها عقل واسع وفيه تفرع وتفرق.

وسماؤها رب عظيم.

وماؤها نبي[4] كريم.

فصل

قال له: امضغ طعام قلبك، فمن نفسك مُرّه[5] ومن ربك حُلوه[6]:

﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[7].

فاهرب إلى ربك وطعامه من نفسك وطعامها، تجد ما فقدت وتفقد ما وجدت.

---

[1] م: وتؤتي.

[2] أعرق الشجر: امتدت عروقه.

[3] تبسق: ترتفع أغصانها وتطول.

[4] ب: وكذلك قبل التعديل في ق: رب.

[5] أ، م: مرك.

[6] أ، م: حلوك.

[7] [النساء: ٤/ ٧٩].

وقال له: لَذَّ طعام ربك للآكلين، وعَذُب شراب ربك للشاربين، ﴿قل لا يستوي الخبيث﴾[1] من طعام نفسك،ولا ﴿الطيب ﴾ من طعام ربك.

وقال له: افتح فاك لطعام ربك وشرابه، تأكل النعيم وتشرب التسنيم، من يد الكريم.

وقال له: يا مسيء النفس ومحسن الرب، لا تأكل طعام مسيئك فهو داء، وكل من طعام محسنك فهو دواء: ﴿ومن يَعْشُ عن ذِكْرِ الرّحمن نُقَيِّض له شيطاناً فهو له قرين ﴾[2].

وسْوَستُها بما كان من طعامها الذي كان..
ووسوستها بما يكون من طعامها الذي يكون..
وطعام الرحمن بين ما يكون وما كان على موائد الآن..
وشراب الرحمن بين ما يكون وما كان في أكواب الآن..
وقال له: طعامُ الرحمن ألوان من محاسن وإحسان..
وشراب الرحمن ألوان من مراحم وغفران..
وطعام النفس ألوان من قبائح وبهتان..
وشراب النفس ألوان من مساخط وهجران..

فأيُّ الفريقين أحَقُّ بالقلب، أم أي الطعامين أحق بالأكل، أم أي الشرابين أحق بالشرب، ﴿ومن يتبدّل الكفر بالإيمان﴾[3]، والنفس بالرحمن، والشر بالإحسان، ﴿فقد ضَلَّ سواء السبيل﴾.

جواب كتاب ابن أرحب

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلاته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلامه: (البسيط)

---

[1] [المائدة: ٥/ ١٠٠].
[2] [الزخرف: ٤٣/ ٣٦].
[3] [البقرة: ٢/ ١٠٨].

استصحب الريح من أنفاسكم نفسا | يبغي إلى الطور من أقباسه قبسا
فطاف بالدير يرجو أنس مؤنسه | فما قضى وطراً منه ولا يئسا
لله در نفيس النفس إذ علقت | بالمكرمات فأوطا رأسه الرؤسا
فجالسوه بإخلاص وجالسهم | أكرم بهم لحب الخير من جُلسا

لما اتصلت رسائل استرسالك الشريفة بنا، حاكية سرائرك اللطيفة من قديم حبنا، قابلنا مقابل سرك الكريم علينا، المشرف[1] بشرف محاسن الأدب لدينا، برموز رحب وسعة، فحواهما:

إنا إليك أيها الولد لأشد شوقاً منك إلينا، فهل لك في الانتقال عن طاعة أمر غيرنا؟ أم هل لك في المسير إلى الملك الكبير بقدم سيرنا؟ لنبلغك إلى وادي مقدس طور طورنا، ثم نرفعك إلى فراخ وكر طيرنا، فتدرك بأنوار عيون البحث والتفتيش ما لا تدرك[2] من لألآء نور شمسه أبصار الخفافيش، وتسمع بآذان وعي قلبك ما لا تسمعه آذان العوام من كلام ربك..

فيستقر مستقر الإيمان فيك، وتصطفي حوراء عروس المعرفة وتصطفيك، فينطق ناطق الحكمة الإلهية على فيك، ويعفو عنك رب معبود[3] عبوديتك ويعافيك، ويشفيك من أعراض أمراض[4] الغفلة ويكفيك، من قبل أن يفور تَنُّور طوفان الغرق، ويركب نوح الوقت ومن آمن معه من أعيان الفرق، فيعتصم من تخلف عنه فلا يعصم، ويسترحم من خالف أمره فلا يرحم.

واعلم أن الجُل من أهل هذه الدائرة، بل الكُل، متعلقون برفاهية رغب التسويف، مسقطون لرهبانية رهب التخويف، داخلون في المقت، مضيعون للوقت، يشقى بهم جليسهم فلا يسعد، ويضل بهم سالك سبيلهم فلا يرشد.

---

[1] معدلة في ق إلى المشرق.

[2] أ، ب: ما لا تدركه.

[3] أ: عابد.

[4] ب: أمراض وأعراض.

وبعد فإن المحبة الصحيحة قد أوجبت علينا محض النصيحة..

يا بن أرحب: أليس أنه إذا صحَّ في صحيح نفس المؤتم فساد صلاة الإمام، لَزِمه مفارقة صف المؤتمين به من أنعام الطغام[1]، ألا تعجب يا بن أرحب من عكس زمان مختلف؛ ألفُ حروف هجائه في رتبة الياء[2]، وياء[3] حروف هجائه في رتبة الألف. (الوافر)

زمان يضحك السفهاء منه ويبكي من عواقبه الحليم

إن لم تقض المعرفة بإنكار كل معرفة، اعتلّت.

وإن لم تقض المحبة بسقوط كل محبة، اختلّت..

وإن لم تقض الحكمة بالحكيم إلى أن يأتي الله بقلب سليم، تلاشت واضمحلّت..

فإلام هذه المقابلة التي صَفْوُها كدر؟

وإلام هذه المعاملة التي ربحها خسر، مع كمال العقل وصفاء اليقين، وصحة الإيمان بأن العاقبة للمتقين.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. (الطويل)

يسلم غيباً وهو بالروح شاهد ويحزن فقداً وهو بالقلب واجد
ويرجو بأن البين بالعين[4] ينقضي ويأتي زمان بالسعود مساعد
وتشرق أيام الكسوف وتنجلي شموس الهدى والغي حيران جامد
ويبلغ بدر الدين[5] ليلة أربع وعشر، وتجري الراسيات[6] الرواكد

---

[1] الطغام: الأوغاد والحمق من الناس.

[2] ب: الباء.

[3] ب: الباء.

[4] أ، ب: بالعيد، م: بالبعد.

[5] ب،م: بدر التم.

[6] ق: المرسيات.

وتنسف أجبال وتسجر أبحر | ويسبل مزن[1] لم يزل فيه راعد
ويرفع مخفوض ويخفض رافع | ويقعد قوّام وينهض قاعد
وتشفى صدور عِيْل بالغيظ صبرها | وأفئدة للخلق فيها فوائد
فماذا ترى فيما جرى يا ابن سالم؟ | أللسيف كفٌّ في رباك وساعد
وهل من صقور في طيورك هذه؟ | يصيد بها أسد القبائل صائد
أَمِ الناس نسناس هناك وهاهنا | أنامهم السلوان عما نكابد
عقول عصافير وأحلام نسوة | فقير ذليل أو فقيه معاند
حسود لنا أو ظالم متجبر[2] | وشيخ قبيل مفسد فيه فاسد
فوا عجبا كل الفحول تأنَّثت | عزائمهم حتى ليعدم واحد
فكن عضداً ركناً لنا يا بن سالم | تصادر فينا من بغى[3] وتوارد
وتدعو إلى اسم لا تفوه باسمه | له في قلوب[4] العارفين شواهد

غيره: (الوافر)

ومن ذا في هوى ليلى كقيس | ومن ذا في هوى قيس كليلى
وكل يستعير وما العواري | إلى من يستعير تضاف أصلا

فصل

أيها الناس اغتنموا باب العمل ما دام مفتوحاً، فإنه يوشك أن يغلق عنكم، فلا يفتح عمّا أغلق عليه، من سعي مشكور أو فسق مأزور، أبد الآبدين ودهر الداهرين.

---

[1] المزن: المطر.

[2] "متجبر" في ب: متكبر.

[3] "بغى" في ب: وغى.

[4] "في قلوب" ربما كانت في ق: إليه قلوب العارفين شواهد.

ثم يفتح عليكم باب الجزاء فلا يغلق عما فتح عنه، من نعيم مقيم أو عــذاب أليم، أبد الآبدين ودهر الداهرين.

أيها الراجون لرحمة الله ولا تطيعــون، الطــامعون في شــفاعة رســوله ولا تقتدون، المحسنون الظن بأولياء الله ولا تتبعون، كــذبتكم والله الظنــون، ومنَّــتْكم[1] الأنفس بما لا يكون.

﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجْزَ به، ولا يجد لــه من دون الله ولياً ولا نصيرا﴾[2].

- ﴿ليس بأمانيكم﴾: يا أمة محمد أن تدرككم الشفاعة، إذا مُــتُّم علــى غــير الطاعة، مخالفين السُّنَّة والجماعة، ولا أن تسعكم الرحمة، إذا مُــتُّم علــى انتــهاك الحرمة، وكفر النعمة.
- ﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾: إذ يدّعون أنهم الأبناء والأحباب، وقــد بــدّلوا التوراة والإنجيل، وباعوا الحدود بالشهوات والأباطيل.
- ﴿من يعمل سوءاً﴾: منكم ومنهم[3]..
- ﴿يُجز به﴾ حقيرا.
- ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا﴾: لا محمد صلى الله عليــه وســلم يليكم من دون الله فينصركم منه، ولا موســى وعيــسى يلــونهم مــن دون الله فينصرونهم منه.

ألم تعلموا أنه لما أُنــزل على سيّد المرسلين: ﴿وأنذر عشيرتك الأقــربين﴾[4]، وثَبَ منادياً، آمراً[5] لعشيرته ناهياً: "يا عباس بن عبد المطلب، يا علي بن أبي طالــب، يا فاطمة بنت محمد: إني لا أملك لكم من الله شيئا".

---

[1] أ: ومنيتم.

[2] [النساء: ٤/ ١٢٣].

[3] "منكم ومنهم" سقطتا من أ.

[4] [الشعراء: ٢٦/ ٢١٤].

[5] كلمة "آمرا" ليست في أ.

وقال موسى عليه السلام، متبرئاً من الفسقة اللئام، راجعاً بنفسه وأخيه إلى رب العالمين: ﴿رب إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾[١].

وقال عيسى روح الله معتذراً من قول النصارى: ﴿المسيح ابن الله﴾[٢] ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمتُ فيهم، فلما توفَّيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[٣].

أيّها[٤] الناس: تمنّوا[٥] الدنيا وأنتم على فرشكم.. هل تأتيكم؟ تالله لا تأتيكم، فأقيموا ذلك حُجَّة على ما يغرّكم من أمانيكم، بأن الجنة بلا عمل توافيكم، إنما ذلكم الشيطان يَعِدُكم ويُمَنِّيكم.

فشمِّروا للسّعي إلى ما يعنيكم عن ما لا يعنيكم، واسقطوا من شراب[٦] ظنونكم ما لا يعنيكم، بل من الآخرة يبعدكم، ومن الدنيا يدنيكم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم محققاً لما أُخبركم به وأُفتيكم، حاثاً على اغتنام العمل قبل الفوت[٧]:

"الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني ".

فَنِعم الرَّجُل الأوّل، وبئس الرَّجُل الثاني.

---

[١] [المائدة: ٥/ ٢٥].
[٢] [التوبة: ٩/ ٣٠].
[٣] [المائدة: ٥/ ١١٧-١١٨].
[٤] أ: يا أيها.
[٥] أ، ب، م: تتمنوا.
[٦] شراب: الكذب والإدعاء، وفي ب: سراب.
[٧] أ، ب: الموت.

يا ذوي رؤوس الأموال: ادخلوا بها أسواق الله، القائمة بأولياء الله، المملوءة من بضائع الله..

ألا وإن تلك الأسواق: مجالس الذكر..
ألا وإن أولئك الأولياء: الذاكرون..
ألا وإن تلك البضائع: العلم المصون..
ألا وإن تلك الرؤوس الأموال: عقول مبصرة العيون، ونفوس محسنة الظنون، وقلوب صافية الذهون.

ألا وإنكم ستعرضون على ربكم، فينظر إلى سيماكم وزِيِّكم..

فإن كنتم قد دخلتم تلك الأسواق، ولبستم من ملابسها الرقاق، وركبتم من خيلها العتاق، وصحبتم أولياءها العشاق، كنتم يومئذ من وفده[١]، الداخلين في شفاعة عبده[٢]، المختصين بضيافته وجزيل رفده، المغتبطين بِقُربه، الآمنين من بُعده وفقده، في مقعد صدق نعته بعبده.

وإن كنتم لتلك الأسواق لم تدخلوا، ومن تلك الملابس لم تلبسوا، ومن تلك الخيل لم تركبوا، ولأولئك الأولياء لم تصحبوا، كنتم من أهل بُعده، المخصوصين بهجره وطرده، الممتازين عن أصفيائه[٣] ووفده، المحرومين لضيافته وجزيل رفده، الخارجين عن شفاعة عَبْدِه.

قال الله عز وجل، وعيداً صادقاً ووعدا: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا. ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا. لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾[٤].

---

[١] أ، ب: أوفره.

[٢] أ، ب: عبيده.

[٣] أ، ب: ضيفانه.

[٤] [مريم: ١٩/ ٨٥-٨٧].

فاتخذوا عهداً هاهنا عند الشفعاء، فإنهم أولئك الأولياء يشفعون لكم إلى نبيكم، فيشفع لكم نبيكم إلى ربكم، فتدخلون الجنة بشفاعته، بما آثرتم في الدنيا من طاعتهم وطاعته، فتجاورونه في حضرته، فيحبكم الله بمحبته، ويشرككم في نعمته.

فاسمعوا ما أقول لكم سماع أهل العزائم، تصحبوا[1] الكرام في الجنة وتنكحوا الكرائم.

ولا تسمعوا سماع البهائم، فتحشروا مع أهل الجرائم، وتحرموا صحبة الكرام ونكاح الكرائم: ﴿وما يذّكّر إلا أولوا الألباب﴾[2].

وفقنا الله وإياكم وألهمنا الصواب، إنه كريم وهاب.

فصل

في قوله تعالى: ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾[3].

﴿ما بين أيدينا﴾: النَّفَس الثاني، وما وراءه من مستقبل الدنيا والآخرة.
﴿وما خلفنا﴾: النَّفس الماضي، وما وراءه من ماضي الزمان والمكان.
﴿وما بين ذلك﴾: قطب الوقت وهو ما يقال، وقد يُعبَّر[4] عنه بصفة الحال.

غيره:

إياكم والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه، ويُسقط مروءته، ويَجُرّ الغضب[5].

إياكم والمعاصي فإن العبد ليذنب الذنب[6] فينسى الباب من العلم ويحرم فيه قيام الليل، ويحرم به الرزق وقد كان هيئ له.

---

[1] أ: تصبحوا.
[2] [البقرة: ٢/٢٦٩].
[3] [مريم: ١٩/ ٦٤].
[4] أ، م: عبر عنه.
[5] أ، م: الغيرة.
[6] لفظ "الذنب" ليس في أ، م.

ألفاظ مختصرة يُحتاج إليها:

- يقال في التهنئة للعروس:

جمع الله بكل ما تحب شملك، وأصلحك وأصلح لك أهلك.

- وفي مولود:

كثّر[1] الله من الصالحين عددك، وأصلح لك أهلك وولدك.

- وفي الحج:

الحمد لله الذي وصلك، وإلى بيته الكريم أوصلك.

- وعند رفع الطعام:

أخصب الله جنابك، وجعل الصالحين أحبابك.

- وللمريض:

عجّل الله لك العافية، وسقاك من غفرانه شربة صافية.

- وعند البرء:

الحمد لله الذي شفى الأسقام، وجعلها محواً للآثام.

- وفي التعازي؛ إن كان كبيرا:

آجرك الله في مصيبتك، وغفر لك ولميتك.

- وإن كان صغيرا:

آجرك الله في ميتك، وجبرك من مصيبتك.

---

[1] أ، م: كتب.

غيره:

- إذا شبعت النفس بنعمة القناعة، لم تؤثِّر فيها فاقة المجاعة.
- خير الأخيار من أرضى ربه وأهله وجيرانه، وشر الأشرار من أسخط ربه وأهله وجيرانه.

فصل

في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾[1].

اعلم أن العدل أمر الله الفصل، الذي من أجله خلق النفس والعقل، وهو أول موضوع وضع، على أول مصنوع صنع، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "أول ما خلق الله العقل. فقال له: أقبل، فأقبل "، فكان إقباله بالعدل كله[2] ظاهره وباطنه، وخاصّه وعامّه.

ثم تسلسل ذلك عن العقل الأول، في كل عاقل كانت[3] له نسبة قديمة في باطن الإقبال. وهو المشار إليه باسم الفرض والتكليف، والناموس المناقض[4] لجميع الآراء والنحل والفلسفة المستنبطة من غير وجه النبوة، والوحي الإلهي المختص برؤساء المرسلين، وخواص النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين.

فإظهار الخلق من العدم إلى الوجود فضل، وأمر الخالق عز وجل لهم وفيهم عدل.

وقوله عز وجل: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾، أي بالفرض، وهو جميع ما تحيط به دائرة الشريعة المحمدية، التي لا بد لكل محمدي صحيح المحمدية من التعلق بها.

---

[1] [النحل: ١٦/ ٩٠].

[2] لفظ "كله" ليس في ب.

[3] أ: كان.

[4] أ، ب: الناقض.

وهذه الجملة المعبر عنها بهذه العبارة في صفة العقل تغني عن التفصيل، لأنه لا يسع ما نقصده من الإيجاز تحقيقه[١] مُفَصّلا، وهذا هو العدل اللازم لوصف العبودية فقط.

وأما العدل اللازم لوصف الربوبية من قوله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾[٢]، فهو الإلهام والإرشاد، والوعد والإيعاد، والرزق لجميع العباد، لأن الرزق مادة قواعد[٣] تحمل[٤] العدل الذي هو أمر [الله الذي هو من][٥] العدل.

وليس من عدله أن يُكَلِّف عباده القيام بالعدل، ثم يكلفهم الاشتغال بما تقوم به قواعد تحمل العدل على جهة التحقيق عند المحققين. فهذا حَدٌ تقف عليه في حكم العدل مُجْمَلاً.

وأما الإحسان فهو روح العدل، وبه يكون البلوغ إلى درجة الفضل، وهو حلية[٦] هذه الصورة العدلية، ولباسها وسنامها ورأسها، فمنه الإخلاص في جميع ضروب تأدية العدل، وهو أن يريد بكل اعتقاد ونيَّة وقول وعمل، وجه الله مخلصاً خالصاً صافياً، لا طمعاً في الجنة، فإنما[٧] حقيقة الطَمع فيه تعالى، ولا جزعاً من النار، فإنما حقيقة الجزع منه تعالى.

فالإحسان[٨] أوسع من العدل، لأنه متعلق بخلق المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي عظّمه الله تعالى بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٩]، فهو صلى الله عليه وسلم البحر العذب، وكُلٌ يشرب منه على قدر معرفته به.

---

[١] أ، ب: بحقيقته.

[٢] [آل عمران: ٣/ ١٨].

[٣] أ: قواعده.

[٤] ب: تتحمل.

[٥] هذه العبارة في ب، م فقط.

[٦] م: حقيقة.

[٧] أ، ب: وإنما.

[٨] أ، ب: والإحسان.

[٩] [القلم: ٦٨/ ٤].

وأما قوله تعالى: ﴿وإيتاء ذي القربى﴾، فإنه يريد السخاء والكرم، فنبَّه على خاصِّه، بقوله: ﴿وإيتاء ذي القربى﴾، ولم ينبه على عامِّه، إذ هو غريزة طبع عليها كل شريفَ، وحجب عنها كل سخيف.

وأما قوله عز وجل: ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾، فهذا ينشر من مطوي قوله[1] تعالى في الأمر الثاني للعقل: أدبر، فكان إدباره عن الفحشاء والمنكر والبغي ظاهره وباطنه، خاصه وعامه.

فالفحشاء: كل ما ينافي صفة العدل أو شيئا منها، مما يسمى حيفا في الحكم، أو كذباً في القول، أو معصية في العمل، أو نفاقاً في الاعتقاد.

وأما المنكر: فإنه ما خالف خلق المصطفى صلى الله عليه وسلم من كل ما تقع عليه صفة الإحسان ويسمّى إساءة.

وأما البغي: فهو التعدي بكل حاسة وجارحة عن كل ما وضعها الله تعالى له من العبادة والطاعة، إلى ما نهى عنه، وكفى بذلك بغياً وعدوانا.

سأل سائل

عن بقاء المحبة والرضا بحكم الخالق المعبود، مع وجود ألم الحكم الواقع على جسد العبد وعرضه وماله، وهل وجود ألم الأحكام الواقعة على جسد العبد وعرضه وماله ينافي المحبةَ والرضا أم لا؟.

الجواب عن ذلك:

اعلم أيها الأخ أن الصورة الإنسانية المشار إلى ذاتها بالصفة الجسمانية جوهر وعرض.

- فأما العرض من جملتها: فالجسم النفساني.
- وأما الجوهر: فهو الرّوح الرباني.

[1] م: قوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى.

وكذلك يُعَبَّر عن المحبة الإلهية على[١] التشبيه بهذه الماهية إنها جوهر وعرض[٢].

فأما جوهرها: فحقائقها، وهي تتعلق بأمثالها من جملة[٣] الإنسان، تفسيرها[٤] على الاختصار والتقريب: دوام مشاهدة الحبيب، والرضا بما يصدر عنه من التعذيب، وأن لا يشتكي فيما ينزل به من محنه على الطبيب[٥]، وأن ينظر في ذلك إلى المسبب لا إلى التسبيب، وأن يعلم أنه تمحيص[٦] وتخصيص وتهذيب.

وأما عرضها: فرقائقها؛ وهي تتعلق بأمثالها من جملة[٧] الإنسان، تفسير ذلك على الاختصار، واجتناب الإكثار، البهجة والسرور، والطرب والحبور، والرقص والحدو والشَّدو، والسماع والنشاط والانبساط.

فعلى ذلك نقول: إن الآلام والأسقام والأمراض لا تقع من الصفة الإنسانية على الجواهر، بل على الأعراض، يتألم عند وقوعها الحساس العرضي، وينزعج وينقبض، ويشتغل ولا يبتهج، فتنقبض بانقباضه[٨] تلك الرقائق المتعلقة به من صفة المحبة، وتبقى الحقائق.

فتكون إذاً المحبة كطائر بَسَط جناحيه، وفحص برجليه، وصفّر بفكيه، فانقضّ عليه عقاب فدقّه دقّة، ثم انفلت من يده وقد غشيته رعدة ورقَّة، فقبض جناحه وقطع صياحه، وشكا جراحه، فصورته حينئذٍ باقية، وتلك الأوصافَ قد فُقِدت منه لفقد العافية.

---

[١] أ: عن.

[٢] إلى هنا ينتهي الفقد الثاني لنسخة هـ ويبدأ عملها من جديد الذي بدأ في صفحة (٢٠٩).

[٣] م، ب: جملة أجزاء.

[٤] م: تفسير ذلك.

[٥] أ: فيما بمحبه على الطبيب.

[٦] ب: تخليص.

[٧] م، ب: جملة أجزاء.

[٨] هـ: بانقباض.

كذلك جوهر المحبة لا يستحيل، وإن عظمت علة العليل، وتتألم الأعراض بالأمراض، وروح العارف عن المُمَرِّض راض، إلا من كانت محبته لله عرضية، فليست نفسه من النفوس الراضية المَرضية.

قال الله عز وجل: ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين﴾[1].

فما وهنت أرواحهم عن[2] محبته، لما وجدت أشباحهم من محنته[3].

وما ضعفت عن الاستقامة بحقوق الرضاء، لما نزل بها من عدل القضاء.

وما استكانت بذُلِّ الشكوى، إلى أحد دون المولى.

﴿والله يحب الصَابرين﴾: أحسنوا في مقابلة أحكامه الصَّبْر والأدب، فكافأهم بالمحبة[4] وكشف الكرب.

تم الجواب، واستغفر الله عن الخطأ والصواب.

سأل سائل فقال: أفتنا في تأويل

- قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون، ويمنعون الماعون﴾[5] ما صورة السهو وما الماعون؟.
- وعن قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا﴾[6].
- وعن قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾[7].
- وعن قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾[8].

---

[1] [آل عمران: ٣/ ١٤٦].

[2] هـ: عند.

[3] هـ: محبته.

[4] أ: لمحبته، م: بمحبته.

[5] [الماعون: ١٠٧/ ٤-٧].

[6] [الإسراء: ١٧/ ١٣].

[7] [الإسراء: ١٧/ ٧١].

[8] [الحجر: ١٥/ ٨٧].

– وعن قوله تعالى: ﴿وكأيِّنْ من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون. وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[1].

أَفْتنا يرحمك الله، فقد قال الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2]، زادك الله علماً وحلماً، وأصلح الجميع، وكفانا معتقد أهل الزيغ والبدع برحمته ورأفته.

الجواب وبالله التوفيق:

١. أما قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين﴾، فإنه أراد من هذه الأمة المحمدية.

﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾، والسهو على وجهين:

سهو في الصلاة كما يعرض فيها من الوساوس[3] والخواطر، وهو ما يحتمله عفو الله تعالى لقوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[4]. وليس في وسع النفس الإنسانية دفع لكل خاطر:

وسهو عن الصلاة وهو إيثار ما لنفسك من الحظوظ الدنيوية على ما لله، والتشاغل به إلى آخر الوقت والتباسه بوقت آخر، فهؤلاء هم المرادون بالآية.

﴿الذين هم يراءون﴾ أي يقصدون بالصلاة الحياء من الناس، والتعرض لحسن ثنائهم عليهم، وإقبالهم بوجوههم إليهم، أو ليأمنوهم على أموالهم ونفوسهم[5]، فيحصلون بذلك على ما يريدون، والله أعلم بما يوعون ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[6].

والماعون هو كل ما عَدمه أخوك أو جارك ووجدته، فاحتاج إلى عاريته أو مواساة منه، فإن حَرَمته ذلك فقدَ منعت الماعون.

---

[1] [يوسف: ١٢/ ١٠٥-١٠٦].

[2] [النحل: ١٦/ ٤٣].

[3] ق: الوسواس.

[4] [البقرة: ٢/ ٢٨٦].

[5] هـ: وأنفسهم.

[6] [الانشقاق: ٨٤/ ٢٤].

٢. وأما قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا﴾.

فإن طائراً هاهنا من التطيُّر، وهو أن يصيبك شر أو بلاء، فتتطير بشيء تسمعه أو تراه، فتضيف ذلك الشر[1] إليه وتحمله عليه.

وهذا مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا طيرة".

فإذا أراد[2] الله تعالى بذلك أنه قدم الأمر والنهي على ألسنة رسله، في تنزيل كتبه، وبَيَّن وعَيَّن، ووعد وأوعد.

فإذا كان يوم القيامة أقام الحجة عليهم بما أرسل إليهم، فيعترفون بذنوبهم، ويسارعون إلى مقت أنفسهم ولومها.

فالطائر الذي في أعناقهم هي اللائمة والمقت والتطير الذي يقع منهم عليها، ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[3].

٣. وأما قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾، كل من أخذت عنه دينك وعقيدتك، وعلمك وعملك، وسيرتك وملّتك[4]، دعيت به، فإن كان مُحقاً[5] نجا ونجاك، وإن كان مُبطلاً هلك وأهلكك.

٤. وأما قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾.

فالسبع المثاني هي: بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب إلى الضالين.

٥. وأما قوله تعالى: ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون، وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾: يصفهم بكثرة

---

[1] هـ: الشيء.

[2] أ، ب، هـ: وأراد.

[3] [النحل: ١٦/ ٣٣].

[4] هـ: وملكتك.

[5] هـ: محققا.

الاشتغال بالدنيا والنظر إليها، فيلهيهم ذلك عن التفكر في حكمته، والنظر إلى قدرته.

وأما الإيمان فهو اعتقاد بالخالق[1]، والشرك هو الرجوع إلى سواه[2].

فصل فيه وعظ وزجر

اعلموا أيها الإخوان أنكم بالموت توعدون وأنتم عنه غافلون، وبالنار تزجرون وأنتم للدنيا حاملون وبالآخرة جاهلون.

أتحسبون أنكم متروكون لبلوغ ما أنتم آملون، وممهلون فيما أنتم له عاملون، ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾[3].

انظروا إلى من ورّثكم بيوتكم وحرثكم[4]، أليس قد صاروا رهناء ما قدموا، وأسراء ما أحرموا، بين يدي عدل لا يجور، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[5].

تضحكون وتلعبون، وتأكلون وتشربون، وأنتم عن صلاتكم ساهون، وبشبابكم زاهون، وبدنياكم لاهون، وبما في أيديكم من المال متباهون.

فاحذروا بغتة الموت تبغتكم، وبهتة الأجل تبهتكم، وأنتم لربكم عاصون، وعن حزبه المفلحين[6] قاصون.

والله لو أطلعتم على قبور آبائكم وأمهاتكم، وأجدادكم وجداتكم، للهوتم عن شهواتكم وبادرتم بحسناتكم، ولانتهيتم عن سيئاتكم.

---

[1] ق: الخالق.

[2] م، هـ: ما سواه.

[3] [التكاثر: ١٠٢/ ٣-٤].

[4] أ: بيوهم وحرثهم.

[5] [غافر: ٤٠/ ١٩].

[6] هـ: المفلحون.

- رُبَّ عالم علْمُه حجة عليه.
- ورُبَّ قارئَ للقرآن[1] وليس منه ولا إليه.
- ورُبَّ باغض للشيطان[2] وهو واقف بين يديه.
- ورُبَّ مُحب للرحمن وليس بموجود لديه.

ثم احذروا التهاون في الصلوات في أوائل الأوقات، واحذروا ثم احذروا أن يذبحكم ذابح الأموات وأنتم في أشأم الطرقات[3]، فتجدوا قبوركم حُفَراً من حفر النار، قد أوقدت بسخط الجبار، فتندمون والله حيث لا ينفع[4] الندم، وتصيرون بعد الوجود إلى العدم، فلا تزول قدم أحدكم[5] عن قدم حتى يُسأل عما أخّر وقدّم، مما أضمر[6] وتكلم، أو فعل فعلاً ظاهراً أو أبهم[7]، ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[8].

(الطويل)

مُحبٌ سرى محبوبُه في فؤاده	فيا حبذا ذاك الحبيب إذا يسري
فعانَقه سرٌ[9] أسيرٌ بجسمه	وقال حبيبي: هل أَفَكُّ من الأسر
فقال له: اصبر إنني لك مؤنس	وإن مفاتيح الرغائب بالصبر
فقال: حبيبي كيف أصبر والهوى	قريني ونفسي والموسوس في الصدر
وكَلّ إلى ما يشتهيه يقودني	فعمري كركبان السفينة في البحر

---

[1] أ: القرآن.

[2] أ: الشيطان.

[3] أضاف هـ عبارة: من ها هنا هات ومن ها هنا هات.

[4] أ، ب، هـ: لا ينفعكم.

[5] ب، م: أحد.

[6] أ: أصمت.

[7] م: وأهم، أ: أو كتم.

[8] [الزلزلة: ٩٩/ ٧-٨].

[9] م: سرا.

غيره: (الرمل)

خاطب المحبوب قلباً شجنا | بالإشارات خطاباً حسنا
أيها القلب الذي جُنَّ[1] بنا | اصطبر تبلغ بالصبر المنى
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | لبس الحسرة فينا والعنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | أظهر الأمن[2] وأخفى الحزنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | سهر الليل وعادى الوسنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | أنحل الجسم وأبكى الأعينا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | سَرّه الفقر وأشجاه[3] الغنى
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | كان مشغولاً عن الخلق بنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | كان محمود الثنا حلو الجنى
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | لم يقل مفتخراً قط أنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | كان منّا[4] وإلينا وبنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | كان فينا فانياً قبل الفنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | فارق الدنيا جميعاً ودنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | كان محبوباً لطيفاً فطنا
أنت لنا اليوم ومن كان لنا | صحب الشُّمَّ الهداة الأمنا
فاتخذ هذا سبيلاً وليكن | عندنا روحك والجسم هنا

---

[1] ب: جد.

[2] أ: الأنس.

[3] أشجاه: أحزنه.

[4] أ، ق: علينا.

فصل في معرفة حقيقة الإنسان

اعلم أن حقيقة الإنسان سر في القلب، متفرع في الجسد.

ففي الرأس وقاره، وفي السمع والبصر عقله، وفي الشم والذوق واللمس والفرج لذته، وفي اللسان والكف والقدم خلقه.

- فمن كان الصمت سجيته، والحلم شيمته.. فقد كمل وقاره.
- ومن كان العلم مسموعه، والحكمة منظوره.. فقد كمل عقله.
- ومن كان الحلال شمه وذوقه ولمسه ونكاحه.. فقد كملت لذته.
- ومن كان الصدق لسانه والسخاء يده، والسعي إلى الخيرات قدمه.. فقد كمل خلقه.

وهذا هو الإنسان الذي أنس بالرحمن وأنس به الرحمن، ونفر من الشيطان ونفر منه الشيطان، مكتوب على ظاهر قلبه بقلم ربه: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[1]، ومكتوب على باطن قلبه بنقش ربه: ﴿الرحمن، علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾[2].

فصل

- لا يأذن الله لقلب يحب الدنيا، أن يحب الآخرة.
- ولا يأذن الله لقلب يحب المال، أن يحب الحال.
- ولا يأذن الله لقلب يحب اللقم، أن يحب الحكم.
- ولا يأذن الله لقلب يحب الفجار، أن يحب الأبرار.
- ولا يأذن الله لقلب يبغض الأولياء، أن يحب المولى.
- ولا يأذن الله لقلب ينكر[3] العارفين، أن يعرفه بيقين.
- ولا يأذن الله لقلب يأكل الحرام، أن يجتنب[4] الآثام.

---

[1] [الحجر: ١٥/ ٤٢].

[2] [الرحمن: ٥٥/ ١-٤].

[3] أ، ب: ينكر على.

[4] أ، م: يجتذب الأنام.

- ولا يأذن الله لقلب يحب الشرف[1]، أن يلحق بالسلف.
- ولا يأذن الله لقلب يخالف الرسول، أن يقرع باب الوصول.
- ولا يأذن الله لقلب ينصب[2] للدنيا، أن ينصب للأخرى[3].
- ولا يأذن الله لقلب يترك الفرض، أن يسجد له يوم العرض.
- ولا يأذن الله لقلب يكثر الوسوسة، أن يتلقى[4] الأسرار المقدسة.
- ولا يأذن الله لقلب يكثر الكلام، أن يتفكر في ملكوت الأنام.
- ولا يأذن الله لقلب يحتقر المساكين، أن يحشر في زمرة[5] رسوله يوم الدين.
- ولا يأذن الله لقلب يحرم الفقراء، أن يأمن من سطوات[6] الأمراء.
- ولا يأذن الله لقلب يجالس السلاطين، أن يطعم حلاوة الدين.
- ولا يأذن الله لقلب يجالس الجهال، أن يفرق بين الحرام والحلال.
- ولا يأذن الله لقلب عاش بالدعاوي، أن تستر عورته يوم تبدو المساوي..

فصل

طوبى لعبد مشى في الدنيا بقدم الآخرة، ونظر إليها بعين الساهرة، قد أظلته الهيبة، ولازمته[7] الخشية، فلبس التقوى، وجَانب الأهواء[8]، يرى الله عز وجل جهرة، ويرى العالمين خفية، عرف الله فاتكل عليه، وصدّقه فسكن إليه، وعظّمه فوقف بين يديه، فَقد[9] نفسه بوجوده، وغيّبها بشهوده، ذلك إمام المتقين، وسراج المخبتين، ووليُّ المؤمنين، وعضد المسلمين، وخليفة سيد المرسلين. (الرجز)

---

[1] الشرف بمعنى التعالي والتكبر.

[2] ينصب: يرفع ويقيم.

[3] أ: ينصب الدنيا أن ينصب الآخرة.

[4] أ: يلقى.

[5] ب: زمرته.

[6] أ: سطوة.

[7] هـ: ولزمته.

[8] ق: الأهوية، ومن هنا يوجد فقد في النسخة هـ ويستمر حتى ص (٣٤٣).

[9] ابتداء من هنا فقد في النسخة أ حتى صفحة (٢٤٢).

طوبى له من رجل كريم   مهذب ذي خلق عظيم
سقاه مولاه من العلوم   به كؤوساً عذبة الفهوم
مزاجها من خالص التسنيم   تضيء للشارب[1] كالنجوم
فيا له من عالم[2] عليم   يمشي على الدنيا بلا هموم
لوُجْده بالصمد القديم   قد طرح الدنيا على الخصوم
فتارة ينظر في النعيم   وتارة ينظر في الجحيم[3]
ففاز[4] بالأخرى بلا غريم   وجالس المولى بلا نديم
بقلبه المكتئب السليم   على صراط منه مستقيم

فصل

لا يستقيم العلم بالعالم حتى يعمل به، ولا يعمل به حتى يزهد فيما زهده فيه من الدنيا، ويرغب فيما رغبه فيه من الآخرة.

واعلم أن الأعمال شواهد الأقوال تكذيباً أو تصديقا، وأن الأحوال شواهد الأعمال تحقيقاً أو تمزيقا.

- ثلاث خصال مَن كُنَّ فيه فهو يكنى أبو الجهل وإن كان عالما: الكبر، والحرص، والشح.
- وثلاث خصال مَن كُنَّ فيه فهو يكنى أبو العلم وإن كان أُمِّياً: التواضع، والزهد، والسخاء.

---

[1] ب: للشاربين، وفي هامش ق: للسارين.

[2] ق: عَلَم وربما كانت هي الأصوب.

[3] هذان البيتان في ق كما يلي:

لوجده بالصمد القديم   فتارة ينظر في النعيم
وتارة ينظر في الجحيم   قد طرح الدنيا على الخصوم

[4] ق: وفاز.

فصل

في قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين﴾[1].

- **قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا﴾ أي آمنوا بالله ورسوله، وما أنزل على رسوله.**
- **﴿وعملوا الصالحات﴾: أي قالوا الحق وعملوا به.**
- **﴿جناح﴾: أي إثم.**
- **﴿فيما طعموا﴾: أي من طيب الحلال.**
- **﴿إذا ما اتقوا﴾: أي اجتنبوا خبيث الحرام.**
- **﴿وآمنوا﴾ أي آمنوا بالعقاب على قبضه وأكله.**
- **﴿وعملوا الصالحات﴾: أي أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف وأتمروا، ونهوا عن المنكر وانتهوا.**
- **﴿ثم اتقوا﴾: الشّبه بعد الحرام.**
- **﴿وآمنوا﴾: بالعقاب على قبضها وأكلها.**
- **﴿ثم اتقوا﴾: أي اتقوا الشح بما آتاهم الله من طيب الحلال.**
- **﴿وأحسنوا﴾: أي شكروا الله بألسنتهم، وأنفقوا في سبيله بأيديهم، وأطاعوا بجوارحهم.**
- **﴿والله يحب المحسنين﴾: طوبى لأولئك الفتيان الذين صحّ منهم التقوى والإيمان والإحسان، فصحّت لهم على ذلك محبة الرحمن، فبوّأهم في الآخرة غرف الجنان، وزوّجهم فيها من الحور الحسان، وأطعمهم من ثمارها صنوانا وغير صِنوان، ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾[2]، ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾[3].**

---

[1] [المائدة: ٥/ ٩٣].

[2] [الرحمن: ٥٥/ ٧٦].

[3] [الرحمن: ٥٥/ ٧٨].

فصل

في صفة[1] المنكسرة قلوبهم من خشية الله، المشار إليهم بقوله تعالى: "أنا عند المنكسرة قلوبهم من خشيتي".

أولئك رجال فلّت خشية الله سيوف شرهم، ونكّست معرفته رؤوس كبرهم، فانحنوا لهيبته راكعين، وخرّوا لعظمته ساجدين، لا يرفعون رؤوسهم حتى يأتيهم اليقين[2].

أحوالهم جليلة، وأقوالهم جميلة، وأعمالهم جزيلة، وأخلاقهم نبيلة، وحُرَقهم[3] طويلة، وألسنتهم كليلة، وشهواتهم قليلة، وأنفسهم قتيلة، ﴿أولئك المقربون. في جنات النعيم، ثُلّة من الأولين، وقليل من الآخرين﴾[4]. (الطويل)

لهم خطر في الملك والملكوت	سكوت وليسوا في الهوى بسكوت
أشار إليهم ربهم بإشارة	فما برحوا في حيرة وبهوت
فمن بين محزون ومن بين مغرم	ومن بين مشغوف به وكبيت

فصل

امتثل أمر الله عز وجل بنية حاضرة، راجيا فيها للحظة حاضرة، برحمة حاضرة، من عين ناظرة، تفضي بك إلى قُرْب منه، ومحبة في الدنيا، وإلى رضوان منه وجوار في الآخرة ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[5]، في نعيم مقيم ومقام كريم.

واجتنب نهي الله عز وجل بنيَّة حاضرة، خاشياً فيها للحظة حاضرة، بسخطة حاضرة، من عين ناظرة، تفضي بك إلى بُعْد منه، وبغضة في الدنيا، وإلى

---

[1] لفظ "صفة" لم يرد في ق.

[2] إلى هنا انتهى الفقد في أ الذي بدأ في ص (٢٣٩).

[3] أ: وحرقتهم.

[4] [الواقعة: ٥٦/ ١١-١٤].

[5] [النساء: ٤/ ٦٩].

غضب[1] منه وحجاب في الآخرة، مع الذين غضب الله عليهم من المكذبين الضالين في: ﴿نزلٍ من حميم. وتصلية جحيم﴾[2].

وعَظِّم الجنة تعظيما، لا يوجب نعيمها بالأعمال، وإن صدقت فيها الأقوال، وصَفَتْ فيها الأحوال، بل بالكرم والإفضال.

وعَظِّم النار تعظيما لا يدفع جحيمها بالأقوال، ولا بأماني أهل المحال، ولا بأمل كل بطَّال، بل بالأعمال الصالحة والابتهال، مع اجتناب الضلال، ومجانبة الضُّلال.

ولا تحتقر الجنة كما احتقرها بعض هذه الطائفة، وإن كانوا ممن يُنسب إلى التحقيق والمعرفة، فإن الله عز وجل ما خلق فيما خلق أولا، ولا يخلق فيما يخلق أخراً، داراً أشرف ولا ألطف، ولا أكرم ولا أعظم، ولا أحسن ولا أزين، ولا أزكى ولا أذكى، ولا أعذب ولا أطيب، ولا أجمل ولا أكمل، ولا أحمد ولا أشهد، ولا أعلى ولا أغلى، ولا أبهى ولا أسنى، ولا أدوم ولا أقوم[3]، ولا أبقى ولا أنقى منها أبد الآبدين ودهر الداهرين.

ولو[4] كان في غامض علمه[5]، أو سعَة رحمته، أو أفعال قدرته، ما يعلوها قدراً، أو يسموها فخراً[6]، أو يفضلها شرفاً، أو يعدلها وزناً، أو يسموها فرعاً، لما كان الأولياء أحق بها من الأنبياء، ولا كان الأنبياء أحق بها من الرسل، ولا كان الرسل أحق بها من الرؤساء[7]، فاعلم ذلك.

---

[1] أ، م: وبغض.

[2] [الواقعة: ٥٦/ ٩٣-٩٤].

[3] أ: أقدم.

[4] ب: فلو.

[5] أ: علم الله.

[6] جملة لم ترد في ق.

[7] رؤساء الرسل الخمسة: أولو العزم الذين ذكرهم في نهاية الحديث.

فليت شعري إذا احتقروا الجنة، وزهدوا فيما[1] فيها من تُحَف الْمنّة أزهـدوا أيضا في مجاورة إمام السُّنة وأكرم خلق الله من الإنس والجنـة، ثم طلبـوا الاتحـاد، وطمعوا في صحبة رب العباد، في جهة غير جهته، على صفة غير صـفته، وحـضرة غير حضرته، وزمرة غير زمرته؟.

ألم تر أنه صلى الله عليه وسلم مع حالته الجليلة، وهِمَّته العالية النبيلة، كـان يقول لأصحابه: "سلوا الله لي الوسيلة.

فقالوا: يا رسول الله وما الوسيلة؟.

قال: بيت في أعلى الجنة، لا يسكنه إلا رجل واحد، وأنا أرجـو أن أكـون ذلك الرجل".

وكذلك سألها الخليل إبراهيم، وهو الأوّاه الحليم، في دعائه حيـث يقـول: ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾[2].

ثم إن الله عز وجل أطنب في مدحها، وأكثر في أكثر[3] السُّوَر مـن ذكرهـا، ووعد كافة الأنبياء بها، وأخلصهم بخالصة ذكرها، حيث يقـول في كتابـه المختـار، الجالي لما وقر في الأسرار، من شُبَه العلوم المنتحلة والأخبار: ﴿واذكر عبادنا إبـراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار. إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار. وأنهـم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾[4].

وهي حدّ الحدود، وأعلى عوالم الوجود، لا مرقى لأحد فوقها ولا صـعود، سوى جلال الله الملك المعبود، ولا[5] إلى صحبته سبيل، ولا على صفة ذاته دليـل، ولا له في شرف مقامه وعزَّ دوامه جليس ولا خليل، بل هو الواحد الماجد الجليل.

---

[1] ب، م: بما.

[2] [الشعراء: ٢٦/ ٨٥].

[3] أ، م: وأكثر في السور من ذكرها.

[4] [ص: ٣٨/ ٤٥-٤٧].

[5] أ، ب: وما، م: ولا لأحد إلى صحبته سبيل.

ألا تسمعه[1] كيف وحَّدَ نفسه، وعظَّمَ قدسه، ونافى جنه وإنسه، حيث يقول:

- ﴿قل هو الله أحد﴾: فلا أنيس.
- ﴿الله الصمد﴾: فلا جليس.
- ﴿لم يلد﴾: فيكون ذا سبب.
- ﴿ولم يولد﴾: فيكون ذا نسب.
- ﴿ولم يكن له كفؤاً أحد﴾[2]: فيكون ذا إرب.

ألم تعلموا كيف عرفه العارفون؟، ألم تعقلوا كيف وقف به الواقفون؟:

أسلموا فآمنوا، آمنوا فأيقنوا، أيقنوا فسكنوا، سكنوا فأخبتوا، ناكسون للهيبة رؤوسهم، قاتلون بالمجاهدة نفوسهم.

وقفوا على أقدام الحياء، واستتروا بسيد الأنبياء، فجعلوه لهم وجهاً وسمعاً، وبصراً ولساناً، ويداً وقدماً.

فبوجهه يقابلون، وبسمعه يسمعون، وببصره يبصرون، وبلسانه ينطقون، وبيده يبطشون، وبقدمه يمشون[3]، فكانوا حينئذ بما قال ربهم أحق، وإلى ما أشار إليه[4] أسبق، حيث يقول: "لن يتقرب إلي عبديً بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها".

لما امتثلوا أمره وقربوا قريبه، وفارقوا عدوه وعانقوا حبيبه، استحقوا حبه الخالص وتقريبه، حتى وصفهم بهذه الصفة العجيبة. (الطويل)

مرادي مرادي في الأمور مراده ... لأن ودادي في القلوب وداده

---

[1] ق: ألا تستمعه.

[2] [الصمد: ١١٢/ ١-٤].

[3] م: أضاف: لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

[4] لفظ إليه لم يرد في ق.

يبـــايع روحــــي روحـــه فـــدنوه　　　دنوي وبعدي حيث كـــان بعـــاده

ألم تعلم أن الله عز وجل:

خلق الخلق واختار منهم مخلوقا..
وبرأ الأرواح واختار منهم روحا..
واصطفى الأنبياء فاختار منهم حبيبا..

فخصّه من الصّوَر بأشرفها، ومن الأرواح بألطفها، ومـــن المحـــاب بِأَرَقِّهَـــا وأرأفها..

فلما اختاره واصطفاه، وأحبه وحباه[1]، وقرّبه وهداه، جعله قلبـــا للقلـــوب، وحبا لكل محبوب، وبحرا لكل مطلوب.

فيا له من قلب عدم نسيبه[2]، ووفر نصيبه، وعبق في أقطار الملك والملكـــوت طيبه، إذ هو حبيب الله واذا الله حبيبه، ذلك القلب المصون، هو شـــجرة الزيتـــون، المتفرعة بخمسة غصون، في كل غصن من أغصانها[3] سرٌّ مكنون، ثم تفرّع كل غـــصن بغصون، وكل سرٍ بأسرار وفنون:

- الأول آدم ذو الرّوح والطينة.
- الثاني نوح ذو الدعوة والسفينة.
- الثالث إبراهيم ذو الخلة والسكينة.
- الرابع موسى ذو الآية يوم الزينة.
- الخامس عيسى ذو الكلمة المكينة.

- فالشرف لآدم، وهو من المحبة، والمحبة من ذلك القلب.
- والنجاة لنوح، وهي من المحبة، والمحبة من ذلك القلب.
- والخُلّة لإبراهيم، وهي من المحبة، والمحبة من ذلك القلب.

---

[1] حباه: أعطاه بلا جزاء، وفي أ: واجتباه.

[2] نسيبه: مثيله، وفي م: شبيهه.

[3] ب: وفي كل غصن منها.

- والخطاب لموسى، وهو من المحبة، والمحبة من ذلك القلب.
- والحكمة لعيسى، وهي من المحبة، والمحبة من ذلك القلب.

فهم المصابيح وهو الزيت، وهم المساجد وهو البيت.
وهم الفروع وهو الأصل، وهم الرأس وهو العقل.
وهم النخل وهو الطلع، وهم الشطء وهو الزرع.
﴿كزرع أخرج شطأه﴾: بآدم.
﴿فآزره﴾: بنوح.
﴿فاستغلظ﴾: بإبراهيم.
﴿فاستوى على سوقه﴾: بموسى.
﴿يعجب الزّراع﴾: بعيسى، لأنه زرع من غير[1] مطر، وولد من غير ذكر.
﴿ليغيظ بهم الكفار﴾[2]: هل غاظ الكفار إلا بهم؟ وهل أدخلهم النار إلا بسببهم؟

فإذا كانت هذه الشجرة الزيتونة وغصونها وأسرارها وفنونها، يحلون الجنة ويسكنونها، فمن أيِّ الشجر غصنك؟، أم من أي الفنون فنّك؟، أم ساء بهؤلاء السادة ظنّك؟.

(فصل)

فأما ما[3] أشار إليه العارفون ممن لا ينسب إلى الجهالة، ولا ينطق عن الهوى ولا عن الضلالة، حيث قال قائلهم: "إنا لا نعبد الله طلبا للجنة ولا خوفا من النار، بل لما هو أهله".

فإنهم لم يقصدوا بذلك احتقاراً لنعيم الجنة، ولا استخفافاً بعذاب النار، وكيف يكون ذلك منهم وهم العلماء العاملون[4] المحققون، والصادقون المصدقون.

[1] ب: بغير.
[2] [الفتح: ٤٨/ ٢٩].
[3] أ، ب: فيما.
[4] لفظ "العاملون" في ق، ب فقط.

بل قصدوا بذلك إخلاص العمل، من الأعراض[1] المفسدة والعلـــل، وأرادوا ما قال صلى الله عليه وسلم: "اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

لأن المعبود سبحانه إذا حضر، ونهى بذاته لأهل البـــصائر وأمـــر، كانـــت العبادة على حكم المراقبة والنظر، لا على حكم الوعد والوعيد المنتظر.

كذلك إذا وضح الدليل طُوي الخبر، وإذا ظهرت العين خَفِـــي الأثـــر، وإذا شهر السيف سقط الحجر، وإذا بدا القادر نسي القدر.

وكذلك إذا احتجب المعبود عن البصيرة وغاب، وكان الأمر والنـــهي مـــن وراء حجاب، تعيّن العمل على حكم الثواب والعقاب، المنتظر أمدهما لمـــستقبل يـــوم الحساب.

ولله رجال صنعهم، تواضعوا له فرفعهم، فلما رفعهم قرّبهم، فلمـــا قـــرّبهم كلّمهم، بلسان ما أفهمهم وألهمهم، حيث قال لأخصهم في التوحيد، المعروف بـــأبي يزيد[2]، بلسان حال التجريد، والتفريد[3] والتعديد، بعد أن عرض عليه ما في القريـــب والبعيد، ماذا تريد أبا يزيد؟.

فقال: سيدي، أريد أن لا أريد.

فمنعه الحياء والتواضع أن يقول: الرؤية، وهي مراده.
ومنعه حسن الأدب، في مقام الرهب[4] أن يقول: الجنة، وإليها معاده.
ومنعه التفويض والتسليم أن يقول: الأمان[5] من النار، ومنها فراره وبعاده.
ومنعه الانقياد والإذعان أن يقول: الغفران، وله سعيه وجهاده.
ومنعه الزهد والاحتقار أن يقول: الدنيا، ومنها جهازه وزاده.

---

[1] ب: الأغراض.

[2] أ، ب: أبي يزيد البسطامي. (وهو من أئمة الصوفية عاش في بغداد في القرن الثالث الهجري).

[3] لفظ "والتفريد" في ق فقط.

[4] أ: الرغب والرهب.

[5] م: النجاة.

فقال له بعض من حضر، عند حكايته لهذا الخبر، ممن هو دونه في طبقات النظر:

يا سيدي، هل لا سألته المعرفة، يعني[1] بصفة متصفة؟

فزعق زعقة عظيمة، تعظيماً لهذه المسألة الجسيمة، وقال:

ويحك، إني لأغار عليه من نفسي، أي فكيف من أبناء جنسي.

وأحب أن لا يعرفه غيره.. فلله درّه لقد بلغ سيره، وحلّق إلى أعلى المواقف في المعارف طيره، فأدرك[2] من حسن الأدب في مقام الرغب والرهب ما عجز عنه غيره.

فما أجدر هذا وأمثاله، وما أقلّ في العارفين أشكاله، أن يعصم في الدنيا من العطب، وأن يحمى في الآخرة من حَرِّ اللهب، وأن يُعطى الجنة بلا سبب، وأن يُرفع إلى مقام الرؤية بلا طلب، لما لزم في مقامه من حسن الأدب.

واعلم أنه لم يكن ذلك من أبي يزيد احتقارا لمواهب الله، ولا استصغاراً لعطاياه، ولكن علم أن ما يريد الله له، خيرٌ يريده لنفسه.

لأن مراد الله عز وجل من حيث علمه وليس لعلمه حد، ومراد العبد من حيث علمه ولعلمه حد.

فأراد أبو يزيد ما وراء الحد المعلوم، والوصف المفهوم من مراد الحيّ القيوم، وذلك ما عبّر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "في[3] الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".

لأن ما أدركه النظر انتهى إليه [الخبر، وما أدركته الحواس انتهى إليه][1] القياس، وما سمعته الأذن انتهى إليه الفهم، وما خطر على القلب انتهى إليه العلم.

---

[1] لفظة "يعني" سقطت من أ.

[2] أ، م: وأدرك.

[3] م: إن في الجنة.

فهذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلٌّ على أن في الجنة ما لا تحيط به العلوم فيعرف، ولا تسعه العقول فيوصف.

ولا جرم أن من عرف نفسه لم يُزَكِّها، ومن لم يزكها لم يؤهلها للجنة، فكيف يؤهلها للرؤية، ويطمعها في الصحبة.

وأن من سفه نفسه زكّاها، ومن زكاها نـزهها عن الجنة، وأهّلها للرؤية، وأطمعها في الصحبة التي لا يطمع فيها ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

فكفى بمن عرف نفسه هدى، أن وافق الله ورسوله..

- فحقّر ما حقّراه من النفس، حيث يقول تعالى: ﴿فلا تُزَكُّوا أنفسكم﴾[٢]، وحيث يقول صلى الله عليه وسلم: "أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك".

- وعظّم ما عظّماه من الجنة، حيث سماها عز وجل: ﴿فوزا عظيما﴾[٣] و﴿ملكا كبيرا﴾[٤]، وحيث قال صلى الله عليه وسلم:

"سلوا الله لي الوسيلة"، ولم يؤهل نفسه لها إلا بفضل الله ورحمته، حيث سئل: أتدخل الجنة بعملك؟.

قال: بل برحمة الله".

وحيث قال تعالى في معنى ذلك: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾[٥]. أي ما صلح منكم من أحد لدخول الجنة.

- وحجب ما حجباه من الرؤية، حيث قال الله تعالى:

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾[٦].

---

[١] ما بين القوسين سقط من ق.

[٢] [النجم: ٥٣/ ٣٢].

[٣] [الأحزاب: ٣٣/ ٧١].

[٤] [الإنسان: ٧٦/ ٢٠].

[٥] [النور: ٢٤/ ٤١].

[٦] [الشورى: ٥١/ ٤٢].

وحيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق، فإنكم لن تقدروا الله حق قدره".

ولم يؤهل نفسه لها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنـه لم يـسألها حتى أعطيها، وفي كل خصلة وافق فيها من عرف نفسه، وخالف فيها من سفه نفسه.

وأما ما ورد في الحديث: "أن قوماً يؤمر بهم إلى الجنة فيقولون: إلهنا وسيدنا ما عبدناك للجنة، فيجرون إليها بالسلاسل"، فهؤلاء وأشباههم من أطفال العارفين أحبوا الله بقلوبهم صادقين، وعبدوه بأجسامهم مخلصين، طلباً لرؤيته، وطمعاً في صحبته، وذلك من حيث الاستهتار في المحبة، والقصور في المعرفة، والاغترار بالعظمة، فجذبوا[1] بسلاسل الملاطفة، عما لا يليق بهم من المكاشفة، إلى ما يليق بهم من المناصفة.

- ولله رجال علموه حاضراً، فلا يستحضرونه إجلالاً له.
- وشهدوه ناظراً، فلا يستنظرونه حياء منه.
- وسمعوه ناطقاً، فلا يستنطقونه تعظيماً له.
- وعرفوه كريماً، فلا يستعجلونه ثقة به..

حتى:

- يحضرهم إلى ما يشاء من سلطانه فيحضرون.
- وينظرهم إلى ما يشاء من جلاله فينظرون.
- ويسمعهم لما يشاء من خطابه فينصتون.
- ويمنحهم ما يشاء من مواهبه فيقبلون.
- ويصرفهم إلى ما يشاء من حظائر قدسه فينصرفون.

﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[2].

---

[1] أ، ب، م: فيجرون.

[2] [الأنبياء: ٢١/ ٢٧].

فصل نختم به الفصول، ويصفو به العمل من الأعراض[1] والغلول[2]:

ينبغي لكل من عرف الله أن يكون عمله خالصاً لوجهه، ممزوجاً بحبه، مقروناً بعلمه، مغموراً بشكره، ميموناً برجائه، مشمولاً بخوفه، مأموماً[3] بنبيه، مصحوباً بدعائه.

فالمحبة قلبه، والاقتداء برسول الله رأسه، والإخلاص رجلاه، والخوف والرجاء يداه، والعلم بالله عيناه، والشكر جناحاه، والدعاء بحسن التجاوز أذناه.

فإذا طُوِيَ على ذلك كتابه، واتفقت على ما ذكر أسبابه، حلّق إلى مقام القبول عقابه، وفتحت للدخول أبوابه، وكتب بأقلام المضاعفة ثوابه، وسُرّ به الرسول وأصحابه.

فافهم ذلك تعلم، واعمل بما علمتك تغنم، يسلم[4] لك عملك وتسلم.

واسمع ما[5] قال الله سبحانه، في من قرّبه[6] ورفع شأنه، محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وإخوانه:

- ﴿إن المتقين في جنات﴾: أي في رياض وقصور، وسرور وحبور، بين شموس وبدور، وولدان كاللؤلؤ المنثور.
- ﴿ونَهَر﴾: أي من ماء طهور، ولبن من خالص النور، وخمر من رحيق معصور، ختامها المسك ومزاجها الكافور، وعسل أي من قدر مقدور.
- ﴿في مقعد صدق﴾: قُدِّس بالحضور، ونزه عن الكذب والزور.

---

[1] أ: الأعراف.

[2] الغلول: الحيدة عن الصواب.

[3] أ: مأمونا.

[4] أ، م: فيسلم.

[5] أ، ب، م: واسمع إلى ما قال الله.

[6] أ، م: في من رزقه.

– ﴿عند مليك مقتدر﴾[1]: خالدين في جواره، لا ينقطع عنهم المزيد من سعة اقتداره، ولا المواصلة بأسراره وأنواره.

وفي ذلك نقول: (الرجز)

هذا مقام الناظر المنتظر عند المليك الخالق[2] المقتدر
مقام أعلى خلقه رتبة محمد ذي المنصب المشمخر
والأنبياء الشم من حوله والسادة القادة ممن ذكر
كُلٌّ له أكل وشرب بها منهم وأزواج وعيش خضر[3]
وحظهم من ربهم وافر حمد وشكر في الحشا مستقر
ما شغلهم بالشغل عن ربهم لا بل بفكر في عطاء وبر
وهل ترى فيها إلى صورة إلا عليها ذكره قد سطر
على وجوه الحور أسماؤه يقرأهن الناظر المعتبر
وكل ما فيها معاً ناطق بحمده عن أمره مؤتمر
فأي شيء يا أخي تزدري مما وصفت الآن أو تحتقر
أم أي ذاك الحي لا تبتغي جواره فيها ولا تنتظر
أم طمعت نفسك في رؤية وصحبة للقادر المقتدر
قد رد إسرافيل عن هَوْلِها جناحه والتف كي يستتر
والعرش لا يقوى على حملها وكل من في العرش عنها يفر[4]
فليغضض الجاهل من طرفه ولْيَلْهِ عن ذلك[1] وليزدجر

[1] [القمر: ٥٤/٥٤-٥٥].
[2] أ، ب، م: القادر.
[3] أ: نضر.
[4] أ، م: يقر.

حتى يَمُنّ الله سبحانه بلحظة يغني بها المفتقر

فصل

حُفَّت الجنة بالمؤمنين والمؤمنات في دنياهم فلها يعملون، ومن طعامها يأكلون، ومن شرابها يشربون، ومن ثيابها يلبسون، وإليها يرجعون.

وحُفَّت النار بالمنافقين والمنافقات فلها يعملون، ومن طعامها يأكلون ومن شرابها يشربون، ومن ثيابها يلبسون وإليها يرجعون.

قامت الجنة بجميع ما فيها من النِّعم[2]، شافعة للمؤمنين والمؤمنات بتعجيل أرواحهم إليها، شوقاً إلى قدومهم عليها.

وقامت النار بجميع ما فيها من النِّقم، شافعة بالمنافقين والمنافقات بتعجيل أرواحهم إليها، شوقاً إلى قدومهم عليها.

فشفعت والله الجنة بمن شفعت، فطوبى للمؤمنين والمؤمنات بنعيمها المقيم.

وشفعت والله النار بمن شفعت، فويل للمنافقين والمنافقات من عذابها الأليم.

أيها الإخوان بنسبة آدم، الأعداء بنسبة إبليس، اعلموا أن:

– صورة آدم: نورية دينية، محجوبة ببشرية طينية، نَسْلُها منها، ﴿ذرية بعضها من بعض﴾[3]، يوحي بعضهم إلى بعض حكمة القول ونورا.

– وأن صورة إبليس: نارية خبيثة[4] محجوبة بشرية طينية، نَسْلُها منها ﴿ذرية بعضها من بعض﴾[5]، ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾[1].

---

[1] أ، م: ذاك.

[2] ب، م: النعيم.

[3] [آل عمران: ٣/ ٣٤].

[4] ق: وردت الكلمتان خبيثة، وأعلاها: حثية، ولعلها الأصوب ومعنى حَنِثَ: مال إلى الباطل.

[5] [آل عمران:٣/ ٣٤].

فوا عجباه[2] من صورة إنسان يوجد منها نفس الشيطان، كم لها من ساجد.
ووا عجباه من صورة إنسان يوجد[3] منها نفس الرحمن، كم لها من جاحد.

ألا تنظرون إلى صفة الرحمن، قائمة في محـراب حـزب[4] الـشيطان، تـأمر بالمعروف كله إلى نهاية أدنى جزء من أجزائه من مثقال حبة[5] من خير، وتنـهى عـن المنكر كله إلى نهاية أدنى جزء من أجزائه من مثقال ذرة من شر..

أولا تنظرون إلى صفة الشيطان، قائمة في محراب حزب[6] الرحمن، تنهى عـن كل ما أمرت به صفة الرحمن، وتأمر بكل ما نهت عنه ملعنة الشيطان بخطبتـه، علـى ألسنة[7] أحوال فتيته، في أسواق فتنته.

عبارة فحوى ما يقول، في أفهام أرباب العقول:

أيها الناس: هلمّوا إلى ما خلق لكم ربكم في دنياكم، من طيّبـات رزقكـم[8] التي بها محياكم:

- فكلوا من مطاعمها[9] ما شئتم من حيث شئتم.
- واشربوا من مشاربها[10] ما شئتم من حيث شئتم.
- والبسوا من ملابسها ما شئتم من حيث شئتم.
- وانكحوا من مناكحها ما شئتم من حيث شئتم.

---

[1] [الأنعام: ٦/ ١١٢].
[2] أ، ب، م: فيا عجباه.
[3] أ: يدخل.
[4] في ق: حرب.
[5] م: ذرة.
[6] في ق: حرب.
[7] أ، ب: لسان.
[8] أ: ما رزقكم.
[9] ب، م: طعامها.
[10] ب، م: شرابها.

- وخذوا من أموالها ما شئتم من حيث شئتم.
- واسفكوا من دمائها ما شئتم فيما[1] شئتم.

ولا تقنطوا من رحمة ربكم، ولا تيأسوا من شفاعة نبيكم، فلستم بِشَرٍ مـــني، فإني أطمع في الرحمة أن تسعني، وفي الشفاعة أن تنالني.

فهوناً هوناً في أمر دينكم وتوكلاً[2]، وجداً جداً في أمر دنياكم وتحملاً[3]، فـــإن أعمال[4] السخط والرضاء، لا يخرجكم عما سبق لكم في القضاء.

وعليكم بالحرص، فإنه مثراة للمال، معزة للحال، مغناة عن السؤال.

وعليكم بالشّح، فإنه يوفر لكم ما جمعتم، ويبلغكم من الربح ما أملتم.

وإياكم والقناعة، فإنها أيسر[5] بضاعة وأكسد صناعة.

وإياكم والبذل[6]، فإنه يمحق الوفر ويورث الفقر، ويحـــوجكم إلى الـــسؤال، ويوقفكم بأبواب الرجال.

ولا ترحموا الفقراء والمساكين، فأرحم بهم منكم رب العالمين، أتطعمون ﴿مـــن لو يشاء الله أطعمه، إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾[7].

فاستجيبوا لدعوتي، واقبلوا نصيحتي، وصـــدِّقوا وعـــدي، إني لكـــم لمـــن الناصحين[8].

فكم والله من مجيب لدعوته، بما يبدو عليه من شواهد صفته، ومـــن مُغْتَـــر بفتنته، يُسَوِّفُ بتوبته، ويُصِرُّ على بدعته، إلى أن يأخذ الموت بعنقه، في أشأم طرقـــه[9]،

[1] ب، م: من حيث.

[2] ب، م: وتوكلا توكلا.

[3] ب، م: وتحملا تحملا.

[4] سقط لفظ أعمال من ب، م.

[5] ب: أبخس.

[6] م: والبذر.

[7] [يس: ٣٦/ ٤٧].

[8] مستنبط مما جاء في القرآن من مخاطبة إبليس لآدم وحواء: إني لكما لمن الناصحين، [الأعراف: ٧/ ٢١].

[9] ب: طرفه.

حتى إذا كان يوم القيامة أبداه الله بشخصه، وأقامه على منبر نقصه، فقال ما أخبر الله عنه بنصّه:

﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي، إني كفرت بما أشركتمون من قبل، إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾[1].

فيا أيها الناس أكثروا من قراءة: ﴿قل أعوذ برب الناس. ملك الناس ﴾[2] الخ.. فـ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾[3]. (الوافر)

فلو عرفوا إجابته إلى ما ... تؤدي في القيامة من حروب[4]
ولو علموا بمعرفة ونصف ... من الأمر المعظّم والخطوب[5]
ومن خزيٍ ومن ذَلٍ وسخف[6] ... ومن نَدَم هناك ومن كروب
لتابوا أجمعين عن المعاصي ... وضجوا بالبكاء وبالنحيب
ولكن غفلة شملت وعمّت ... لها[7] الإسلام أصبح كالغريب
فيا أهل القلوب ألا مجيب ... لداعي الحق بالوصف العجيب
به سكر وليس لديه خمر ... به وجد وليس على نسيب
فتى[1] فحل الغريزة لم تؤنث[2] ... شهامته موافقة الكذوب

---

[1] [إبراهيم: ١٤/ ٢٢].
[2] [الناس: ١١٤/ ١-٢].
[3] [البقرة: ٢/ ٢٦٨].
[4] البيت الأول غير موجود في أ.
[5] والبيت الثاني غير موجود في ق، م، وفي ب:
ولو علموا بما يلقاه عاص ... من الهول المعظم والخطوب
[6] أ: وسحق.
[7] مصححة في ب: بها.

رعـــاه الله مـــن رجـــل غريـــب   يلـــبي دعـــوة الـــداعي الغريـــب

فتح

في قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾[3]:

اعلم أن كل مسلم مؤمن تقي نقي، عالم عارف يدلي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسبتي عصبة ورحم، مهما كان مناسباً بصفاء جوهره، وطيب عنصره، وشرف حاله، وصدق مقاله، وصلاح أعماله، وزهادة نفسه، وطهارة حسه[4]، للجوهرين الشريفين الكريمين اللطيفين، الطاهرين الصادرين عن جوهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفين مختلفين: مذكر روحاني، ومؤنث نفساني.

ليكون الوصف المذكر الروحاني بذكوريته، عبارة عن: سرِّ العصبة الخاصة، الأبوية[5] الشريفة، النبوية القديمة القوية، الروحانية الربانية، التي تَرث العلم من العليم وتورثه، ولا ترث المال ولا تورثه.

وليكون الوصف المؤنث النفساني بأنوثيته عبارة عن: سر الرَّحم[6] الخاصة، الأموية الشريفة، اللطيفة القديمة، المكنونة المخزونة، النبوية الروحانية الرحمانية، التي ترث الرحمة من الرحيم وتورثها، ولا ترث المال ولا تورثه.

وتلك هي الرحم المخصوصة بحقيقة قوله صلى الله عليه وسلم:

"لَمّا خلق الله الخلق وفرغ منهم، قامت الرحم فأخذت بحقو[1] الرحمن، فقال تبارك وتعالى: مه.

---

[1] ب: فيا.

[2] أ، م: يؤنث.

[3] [محمد: ٤٧/ ٢٢].

[4] أ: جسده.

[5] أ: الأموية.

[6] أ: الرحمن.

فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

فقال تعالى: "أما يكفيك أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك".

ويحققه قوله صلى الله عليه وسلم: "الرحم شجنة من الله تعالى".
ويحققه قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾[2].

فمتى صحّت مناسبة الجوهرة للجوهرة[3]، والحال للحال، على فحوى ما تقدم من المقال، استحق الموصوف بما وصفنا، المنعوت بما نعتنا من عالم الفتوة، نسب[4] البنوة[5] من هذه الأبوة والأموة، الصادرة عن صلب آدم[6] النبوة، وأن يكون[7] من الذرّية التي بعضها من بعض، ومن أولي الأرحام الذين بعضهم أولى ببعض، ومن أولى الناس بإبراهيم ﴿والذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾[8]، وممن "وليهم الله ورسوله والذين آمنوا". وممن النبي أولى بهم من أنفسهم.

ووجب عليه حينئذ أن يصل أهل هذا النسب الشريف، والرحم اللطيف، ببعض ما يجب من حقهم من بِرِّهم وودهم، وحبهم وعشقهم، وأن يتصف بوصفهم، ويتخلق بخلقهم، في علمهم وحِلمهم، وعدلهم وصدقهم، لترى عليه[9] سِمَة الأبوة، ويشهد له شاهد النبوة[10]، وتسلم له دعوى البنوة[11]، ويدخل في عالم الفَتوة.

---

[1] ب: بحقوق، م: بحق.

[2] [النساء: ٤/ ١].

[3] ب، م: الجوهر للجوهر.

[4] أ، ب: كنسب، وفي هامش ق: كسب.

[5] ب، م، ق (قبل التصحيح): النبوة.

[6] كلمة "آدم" ليست من أ.

[7] أ، ب: تكون.

[8] [آل عمران: ٣/ ٦٨].

[9] كلمة "عليه" ليست في أصل ق.

[10] أ: البنوة.

[11] أ، ب: النبوة.

وذلك هو الفتى القائم بأجر الرسول، الذي هو المطلوب من جميع الأمم والمسؤول، في كتاب الله عز وجل حيث يقول:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[1].

ولا جرم أنه قد دخل في هذا الباب، وتعلق بهذا السبب الفاخر والانتساب[2]، الخاصة من كرام الأصحاب: أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان الأواب[3]، رضي الله عنهم ومن تابعهم وشايعهم من أولي الألباب، فواصلوا ووصلوا، وقابلوا[4] وقبلوا، وقاتلوا وقتلوا، وأنفقوا وبذلوا، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كل نسب وسبب منقطع إلا نسبي وسببي".

ولما لزم في الحقيقة من صلة هذه الرحم الرفيعة الدينية، لزم في الشريعة من صلة هذه الرحم الوضيعة الطينية، لأن المثل الآدمي الجسداني، المخلوق من الطين السخيف الداني، جعل عبارة عن سر الممثول القديم الروحاني، الساطع من سبحات الوجه الرباني، الذي فاضت ببركته العطايا، وبرأ من نوره إشراق البرايا، وجعلت أجسام الصالحين أمكنة له وزوايا.

والدليل على ذلك أنهم لما جهلوا النسبة إليه، أمروا أن يصلوه جميعا بالصلاة عليه، وبالسجود لآدم إذ هو في صلويه[5]، فشرفوا بذلك عند الله وأزلفوا لديه.

ولما كان الله عز وجل هو المبتدئ بصلته، إذ خصَّه بصلاته وسلامه ورحمته، اتضح لنا بذلك أن صفته من صفته، وروحه من روحه ورحمته من رحمته، وهذا ظاهر الصلة[6] ومسنونها.

---

[1] [الشورى: ٤٢/ ٢٣].

[2] أ: النسب الفاخر والأسباب، ب، م: والأحساب.

[3] م: أضاف وعلي بن أبي طالب.

[4] أ: وقبلوا.

[5] صلويه: جبينيه، والصلوان عظام الوركين المتحركين في حالة الركوع والسجود، وفي ب، م: صلبه.

[6] ب: الصلاة.

فأما باطنها ومكنونها، وسرها ومخزونها، ودررها وعيونها، فليس إلا بالتدين بشرائف دينهم، والتفنن بغرائب فنونهم، والتيقن بمذاهب[1] يقينهم، والتعلق بروافع غصونهم، وبذل الأموال والأنفس[2] من دونهم.

فبذلك يبلغ العارف إلى جوارهم، وإلى التَّنَوُّر بأنوارهم، فيتخصص[3] بأسرارهم، ويرتفع إلى أطوارهم، فيكون من أطيارهم، ويكتب من أنصارهم، ويساكنهم في دارهم[4].

فطوبى لمن وصلها من أرحام، وأنساب بررة كرام، فانتهج ما انتهجت من الإسلام، واجتنب ما اجتنبت من الآثام، فثبتت قدمه عند زلل الأقدام، فوصل سالماً إلى دار السلام، مكتوباً ممن وصل ﴿ما أمر الله به أن يوصل﴾[5].

وويل لمن قطعها من أرحام، وأنساب بررة كرام، بخروجه عن حقائق الإسلام، ودخوله في عساكر الظلام، فاجترح الآثام، وأكل الحرام، وأدمن على شرب المُدام، وسقط عن مراتب الكرام، إلى أن وافاه الحمام، وهو في منادمة الفسقة اللئام، فحُجب عن دار السلام، ونُبذ في دار الانتقام، مكتوباً ممن قطع ما أمر الله به أن يوصل.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف هذه الأرحام الشريفة فوصلها، وقابلها فقبلها، وعانقها فحملها، وعلق نفسه بمحبتها فبذلها، وعرف سفينتها الواسعة فدخلها، واتبع شرائعها الواضحة ومِلَلها[6]، مؤتماً بمن عدل[7] واتبع، مخالفاً لمن رفض وابتدع، وقدّم وأخّر وخلع، وجهل فوضع واتضع، إنه قريب مجيب.

---

[1] أ، ب وهامش ق: بمهذب.

[2] م: والأنفس لأجلهم.

[3] ب: والتخصص.

[4] أ، ب، م: ديارهم.

[5] [الرعد: ١٣/ ٢٥].

[6] أ، م: وملكها.

[7] ب، م: عرف.

فصل

ثم تسلسل[1] ذلك من جهتهم، في من اتبعهم من ذريتهم، فاتصف بصفتهم، وتحلّى بحليتهم، واسْتَنَّ بسُنَّتهم.

لم يفتر عن العبادة، ولم ينحرف عن الزّهادة، ولم يعتقد رفض السادة، الذين كملت لهم السعادة، وقبضوا على حكم الشهادة.

فرتّبهم مراتبهم، واحترم جانبهم، ونصّبهم مناصبهم، وأصحبهم صاحبهم، صلى الله عليه وسلم.

لم يجحد فضلهم، ولم يجور عدلهم، ولم يقطع من حظ الخلافة حبلهم، فذلك صبحهم الواضح، ودليلهم الناصح، وزندهم القادح، وطائرهم السابح[2]، وطيبهم الفائح، يا له من إمام حفي[3]، وهمام وَفِي، وحسام مشرفي[4]..

أخفته مخافة الحسّاد، وأقصته قساوة القلوب والأكباد، فاحتجب عن البلاد والعباد، منطوياً على الصلاح والرشاد ﴿حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ﴾[5].

(الكامل)

نبوية رفعت لها الأعناق ... علوية علقت بها العشاق

محجوبة كشفت لنا عن وجهها ... فتلألأت بشموسها الآفاق[6]

تدعو الفروع إلى الأصول بلهجة ... عربية فتميدها[7] الأشواق

روحية من أجلها خلق الثرى ... والماء والأفلاك والأطباق

---

[1] أ، ب: يتسلسل.

[2] ب: السائح.

[3] ب، م: خفي، والحفي هو المبالغ في الإكرام والبر.

[4] مشرفي: المنسوب إلى قرى من أرض العرب تدنو من الريف في الشام، وقيل أن النسبة لموضع في اليمن.

[5] [الرعد: ١٣/ ٣١].

[6] أ: الأشراق.

[7] ماد: تحرك واضطرب.

تصفو بجوهرها جواهر بحرها ... فلها على ظلماتها[1] إشراق
فإذا صَفت وَصَفَت غرائب حسنها ... وجمالها وبَدت لها أخلاق[2]
لاحت لنا بدلالة وجلالة ... حوراء أكمل خلقها الخلاق
تفتر عن معنى عنت لجماله ... منّا الوجوه وفاضت الآماق
الشمس والبدر المنير جبينها ... والطوق منها العهد والميثاق
والكوكب الدّري غَرّة وجهها ... وعلى يديها الأسر والإطلاق
تشتاق أحباباً لها وحبائبا ... أفما إلى سبحاتها مشتاق
تمحو الأبوة والأموة والقوى ... وتُميط ما تتضمن الأوراق
مما نما وسما وعاد إلى العمى ... فمن القصور إلى القبور يساق[3]
دهرية كانت وآدم لم يكن ... والعرش ما رفعت له[4] أسواق
رحم النفوس بنفسها، عصباتهن.. ... بروحها، وسحابها المهراق
طوبى لواصلها ومُضْمِر حبّها ... ممن صفا وزكت به الأعراق
فبدت عليه سماتها وصفاتها ... العدل والمعروف والإشفاق
والعلم والعمل الصريح وعفّة ... وزهادة والجود والإنفاق
أرواح أحرار، نفوس[5] حرائر ... ملكت فليس لرِقّها إعتاق
هُنَّ العتاق الناجيات وهم كذا ... مهما ذكرن[6] من النفوس عتاق

---

[1] ب: ظلمائها.
[2] ب، م: الأخلاق.
[3] ب، م: تساق.
[4] أ: لها.
[5] أ، ب، م: النفوس.
[6] أ، ب: ذكرت.

[غيره]: (الرجز)

سيري جِمَـال عرفـات سـيري وإن يكـن أجنحـة فطـيري

بـأنجم زهـر إلى بـدور في غَـرَفٍ بـيض وفي قـصور

على قـرار[1] سـرر السـرور أعلى[2] حروف سطره المسطور

وفي خـدور لـيس كالخـدور ذي السُّقَف[4] المرفوعة التقدير

أطيـار سـينا عرفـات الطـور يعلـم مـا كـان مـن الأمـور

في صـفحات[3] رِقِّـه المنـشور والحـسنات[5] مـن بنـات الحـور

علـى فنـاء بيتـه المعمـور يجـري إلى الغـدران والبحـور

إلى جـلال الملـك الكـبير فتـشتفي[6] مـن خَطَـلٍ وزُور

ربّـان فلـك بحـره المسجور

ومـا يكـون في المـدى الأخـير

طـائف ولـدان جنـان النّـور

نـسبتهم مـن نـوره المـنير

كالنـهر مـن بحـر إلى غـدير

لتـستقي أفئـدة الـصدور

مـن مائـه المَعَـسَّل المخمـور

ومـن سـقام ألم الفجـور

---

[1] ب، م: قران.

[2] ب: على.

[3] ق: صحفات.

[4] ق: الصحف.

[5] أ: أو الحسان.

[6] أ: وتشتفي.

نجاتها من ظَلَمِ القبور ومن حساب غلق عسير
يوم سماع صيحة النشور

رسالة الدليل والمدلول، والتنبيه على معرفة الرسول، والقطب والجناح المتهيئ للقبول، حوراء تنكحها[1] الفحول، وتفاحة تشتمها العقول

البصير على الحقيقة هو الدليل لمن لا يعلم على ما يعلم، والأعمى على الحقيقة هو المدلول عن ما[2] يعلم على ما لا يعلم.

وحقيقة الدلالة الصادرة من الدليل إلى المدلول، هي أن يضع كَفَّه على كَفِّه، ثم يقول له[3]: هل لك إلى أن أدلّك على دار خير[4] من دارك، وجار خير من جارك، وأهلٍ خير من أهلك، ومالٍ خير من مالك، وحالٍ خير من حالك؟

فإن اتبعه واثقاً به، مخلصاً في حبه؟ دلّه على قربه من ربه، وإن نزع يده من يده، محباً لبلده، عاشقاً لأهله وماله وولده؛ رفضه وشهد عليه، ولم ينظر يوم الشفاعة إليه.

فالدليل على الحقيقة هو الرب، والمدلول هو العبد، والدلالة الصادرة منه إليه، هو الرسول الشاهد له وعليه، وهو كفّه الطاهرة، الكريمة الظاهرة، بالحجج الباهرة والأنوار القاهرة، بسَطها لمصافحة أحبابه، ومبايعة أنصاره الكرام وأحزابه.

فالآخذ بها هو المأخوذ إلى عطاء غير مجذوذ، والنابذ لها هو المنبوذ إلى ما بالله منه نعوذ.

---

[1] أ، ب: ينكحها.

[2] ق: من.

[3] له سقطت من ق.

[4] أ، ب: خير لك، وهي كذلك في المرات الأربع التالية.

وعلى ذلك نقول: إن حقيقة الرسول صلى الله عليه وسلم روح، وإن حقيقة الصورة الظاهرة المحمدية سوح، وإن الله عز وجل نفخ أكرم الأرواح النبوية، في أطهر الأشباح البشرية، فأنقض[1] في ظاهر سوحه، بما أفاض الله عليه من مقدس روحه، ما لا بد منه لكل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، من ظاهر القرآن، وحدود الشرائع والأديان، في ثلاث وعشرين سنة.

فلما طهّر الله به القلوب من العيب، وزكّى بدينه[2] النفوس من الشك والريب، رفع روحه من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، كما قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[3]، أي شاهداً لأهل الشهادة في عالم الشهادة وعليهم، وشاهداً لأهل الغيب في عالم الغيب وعليهم.

فلما رفع صلى الله عليه وسلم وخصّه بالزلفى والكرامة لديه، لم يكن بدٌّ لشاهده الصوري من شاهد يقوم مقامه بالأحكام الدينية في عالم الصور، وهو المستبد بكمال العلم الظاهر والعمل، ولشاهده[4] الغيبي من شاهد يقوم مقامه بالعلوم الغيبية في عالم الغيب، وهو المستبد بكمال العلم الباطن والعمل إلى يوم القيامة.

فالعالم الأول قطب عالم الصور، وإمام كل إمام لهم في العلوم الدينية؛ هو الصِّدِّيق رضي الله عنه.

والعالم الثاني قطب عالم الأرواح، وإمام كل إمام لهم في العلوم الغيبية هو علي رضي الله عنه[5].

وعلى ذلك نقول إن قطب عالم الصور الدينية، جناح لقطب عالم الأرواح الغيبية، لا غنى له عنه، كما لا غنى للطائر عن جناح يطير به، وكذلك لا غنى لذلك

---

[1] فانقض بمعنى أخرج وأبرز وفي أ: فانتفض، وفي ب: فأفاض.

[2] م: به.

[3] [الأحزاب: ٣٣/ ٤٥-٤٦].

[4] أ: ولا بد لشاهده.

[5] أ، ب: عليه السلام.

أيضا عنه، كما لا غنى للجناح عن طائر يتعلق به، فيكون قطب عالم الغيب شريكا لقطب عالم الصور في علمه وعمله، لأنه هو الأساس لقاعدته في القطبية الباطنة، غير مخالف له في القول ولا في العمل.

ويكون قطب عالم الصور شريكا لقطب عالم الغيب بوجه التسليم له والتعلم منه، لأنه رأس قاعدته في القطبية الظاهرة، غير مخالف له في القول ولا في العمل.

وبهذه الموافقة استقام أمر الدين، بعد انتقال سيد المرسلين، بين الأربعة من أئمة المؤمنين.

وإنما احتاج بعضهم إلى بعض، ولم يستغن بعضهم عن معاونة بعض، لنقصان رتبة القطب عن رتبة النبي، ونقصان رتبة الجناح عن رتبة القطب، ولأنه لا يحتمل فيض الغيب من وجه عالم الغيب، وفيض الشهادة من وجه عالم الشهادة بصورة واحدة علماً وحكماً إلا هو صلى الله عليه وسلم، لما وضع الله فيه من قوة الاحتمال[1]، وأيّده به من الشرح والكمال، ووصفه به في كتابه الكريم بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2].

فلما كان ذلك كذلك؟ نصب الله عز وجل لاحتمال ما صدر[3] عنه مما لا بد للأمة[4] منه من عالم الغيب والشهادة رجلين لو وُزِن أحدهما بجميع أمته لرجح بهم.

فكان علي رضي الله عنه هو القطب المتفرغ لصوادر علومه الغيبية من شاهده الغيبي رحمة ولطفا.

وكان أبو بكر رضي الله عنه هو الجناح المتفرغ لصوادر علومه الظاهرة من شاهده الصوري أمراً ونهيا.

---

[1] احتمال: حمل.

[2] [القلم: ٦٨/ ٤].

[3] أ، ب، م: بعض ما صدر.

[4] للأمة سقطت من م.

فخفق علي رضي الله عنه بجناح أبي بكر متربعاً على كرسي الاختصاص، والشفاعة للعالم في الخلاص والإخلاص، حتى انْحَصَّ[١] ذلك الجناح، على غاية العدل والصلاح.

فتعلق به الجناح العُمَري، فخفق به متربعاً على كرسي الانبساط، والشفاعة في توسيع البساط، حتى انْحَصَّ ذلك الجناح وما عليه عند علي من جناح.

فتعلق به الجناح العثماني، وكان أضعف الأجنحة -رضي الله عنه- لما وهب الله له من كثرة المال ومحبته[٢] الآل، فخفق به خفوقاً مترددا، حتى انْحَصَّ ذلك الجناح قتيلاً مستشهدا.

فالتفت علي رضي الله عنه من تربُّعه، على بساط تشعشعه، لجناح[٣] يتعلق به، ليبقى على رتبه، فلم يجد بُرْجاً لشمسه، ولا حاملاً[٤] لطرسه[٥].

فقام حينئذ بنفسه، أسِيفاً على ما فارق من مقابلة روح قدسه.

على أنه رضي الله عنه لم يرض بالمقاتلة عوَضاً من المقابلة، ولا رضي بالمجاهدة عوضاً من [٦]المشاهدة، ولا رضي بمقام الناسوت عوَضاً عن مقام الجبروت، ولو وجد جناحاً رابعاً، لآثر البقاء على بساط علمه متربعاً شافعاً، ولكنه قُوِّم فقام، إذ تعين عليه القيام، وتحقق أنه هو القطب والإمام، ولم يجد كافياً في ذلك من جميع الأنام.

فوثب وثبة الليث الهمام والأسد الضرغام، مجاهداً على الحق إلى أن وافاه الحِمام.

---

[١] انْحَصَّ: انقطع، سقط.

[٢] أ، ب، م: ومحبة.

[٣] أ، ب: بجناح.

[٤] أ: محاملا.

[٥] الطرس: الصحيفة التي محيت ثم كتبت.

[٦] أ، ب: عن.

فيالها من داهية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دهـي بها الإسـلام، وتنكست لها من الدين الأعلام.

وكَثُر بعدها على الدنيا الزحام، فأُكل الحرام، وقُطِّعت الأرحـام، وبُـدِّلت الأحكام، وعَزَّ على أرباب الشهوات الفطام.

فلما استحالت الخلافة مُلكاً، والإيمان فَتكـاً، والولايـة ظلمـاً وسـفكاً، واختلف القطب والجناح، وصارت الدول بالسيوف والرماح، والتكالب والكفـاح، فلا جناح للطائر ولا طائر للجناح، أصبح الدِّين للدنيا أسيرا، والباطل علـى الحـق أميرا، والسلطان للشيطان ظهيرا، والبر للفاجر وزيراً ومـشيرا، والمـسلم للمـسلم خذولاً والفاسق للفاسق نصيرا.

فلهذا أخفي القطب ولزم مكانه، إذ عدم[1] أجنحته الخافقة بالحق وأعوانـه، إلى أن يظهر الله تعالى سلطانه، وينشر للعالمين يُمنه[2] وأمانه[3]، بظهور مهـديّ الأُمّـة، وكاشف ديجور الظلمة، فيحمل الأمرين، ويخفق بالجناحين، وينظر بالعينين، ويـسمع بالأذنين، وينطق باللسانين، ويبسط باليـدين، ويمـشي بالقـدمين، عجّـل الله لنـا وللمسلمين بظهوره، وجعلنا ممن اكتحل بنوره، وبعث بنفخة إسرافيل صـوره، مـن موت الجهل وغروره، وضيق لحود[4] قبوره، إنه ولي ذلك آمين. (الكامل)

خـذها هـديت فإنهـا إمـلاءَ ممـن لهـم أبـداً عليـه وَلاءَ[5]
مـن أنجـم نبويـة علويـة سَـطعت فلـيس لنورهـا إطفـاء
طَرقت طوارقهم فـؤادي فـانثنى وعليـه مـن أنـوارهم لألاء
فـالنّفس منِّـي بـالفتوة أرضـهم والقلـب منِّـي بـالوداد سمـاء
لهـمُ إليّ ولِـيْ إلـيهم مـذهبٌ ذهبت لـه الأوصـاف والأسمـاء

---

[1] م: لما فقد أجنحته.

[2] م: أنوار يمنه.

[3] أ، ب، م: وإيمانه.

[4] أ، م: لحد.

[5] الولاء: المحبة والنصرة والقرب.

تَسري سـواري حُـبِّهم في قـوّتي كـالعود يجـري في قـواه المـاء
فلذاك أَثمر كَـلَّ غـصن حكمـة مـني وزُحـزح بالـدواء الـداء
فأنا المجاز إلـيهم وأنـا الـدليل.. علـيهم والـدَّرْج[1] والإنـشاء
رُبَّان مجـراهم ومـسراهم[2] علـى بَحْـرٌ، سـفينة رَكْبـه الأحـشاء
أدعو إلى بيـت حـواهم سُـورُه من كـان حيّـا أو لديـه ذكـاء
أدنـو بـذلك رحمـة وتعطفـا بـالجهر لا عهـد[3] ولا إخفـاء
ما الشمس تخفى والهـلال إذا بـدا بـضياً ملـئن لـديهما الأرجـاء
بَرَقـت بـروق عـوالم علويـة عـن نَـوء[4] صـيف غيثـه الآلاء
لله من برق ومـن صـيف ومـن غيـث يغـاث بجـوده الأحيـاء
تصفو الصفات بنفخـة تحيـا بهـا منّـا الرفـات وترفـع الأحيـاء
أكرِم بها مـن نفخـة مـن نـافخ عيـسى لـه ومحمـد آبـاء
أكـرِم بـه وبهـم معـاً وبحـزبهم وبمـن يـدين بحبـهم إذ جـاءوا
يلقي الكساء على الـذين تـأهلوا أهل الكـساء فهـم لهـم أبنـاء
والوا مواليهم وعـادوا ضـدّهم[5] فلهم غداً من ربهـم مـا شـاءوا
ليس الأُلى رفضوا الكرام وأبغـضوا صحب النبي فأخطـأوا وأسـاءوا
أنصار أهل البيـت أجنحـة لهـم فتيـاهم والخـيرة الحنفـاء
مـا بـدّلوا لـو بـدّلوا لعلَـتْهم بـالغيرة العلويـة الـلأواء[6]

---

[1] الدَّرْج: ما يكتب فيه، يقال: أنفذته في درج الكتاب أي في طيه فهو خلاصة ما وضعوه فيه.
[2] ب، م: ومرساهم.
[3] أ: لا وعد.
[4] النوء: العطاء، المطر.
[5] م: ضده.
[6] اللأواء: التروس الشديدة القوية ومفردها اللأي وهي الترس.

ولقـــام وهــــو المــــستبد بنفـــسه
الـــشهم والـــواني[1] لديـــه ســـواء

هيهات يظلـــم أو يـــدين[2] لظـــالم
وهـــو الهِزَبـــر الـــضيغم العـــدّاء

لا ذاك مظلـــــــوم ولا ذا ظـــــــالم
الكـــل مـــن هـــذا وذاك بـــراء

توبوا هـــديتم لا تـــشينوا حُـــبّكم
آل الـــنبي ببغـــضهم لتـــراءوا

هذا[3] الأساس فأسِّـــسُوا بنيـــانكم
فعلـــى الأســـاس تـــشيد الأعـــلاء

وخذوا فمن بحر الحقائق[4] تأخـــذوا
ممـــن أتتـــه بـــذلك الأنبـــاء

ممـــن يـــدين بـــدين آل محمـــد
وعليـــه منـــهم بهجـــة وضـــياء

والقاف بعد السِّين مـــن حـــاميمهم
والـــسِّين مـــن طاســـينهم والـــرَّاء

وتهيـــؤوا لطلـــوع بـــدر سمـــائكم
إن الـــذي أنـــتم عليـــه هبـــاء

عهـــدٌ وتغلـــيظ ودِيـــنٌ مـــضمر
ما ديـــن أحبـــار اليهـــود خفـــاء

مـــا أنـــتم الفتيـــان إن لم تفعلـــوا
مـــا قَلّتـــه عـــصبيةٌ وإخـــاء

فهي النـــصيحة والـــصريحة مَجَّهـــا
في فيّ ســـرٌّ الـــسادة النـــصحاء

طـــوبى لحاملـــها وقائلـــها معـــاً
والله مـــا امتزجـــت بهـــا الأهـــواء

فصل: في العقل والجهل

هذا ما ضربه العقل مثلاً للعلم والجهل:

بينما رجل أعمى البصر، أصمّ السمع، أخرس اللـــسان، مقعـــد القـــوائم، مسجون في قعر جُبٍّ مظلم، قد أغلق عليه بابه وأبهم، الهوام من تحته، والسباع مـــن حوله، والطير من فوقه.

---

[1] الواني: الضعيف، وفي أ، ب، م: والداني.

[2] أ: أو يدني، ب: أو يدان.

[3] أ: هلَّ وهي بمعنى ظهر وبان.

[4] ب، م: الحقيقة.

فالهوام تنهشه، والسباع تخرشه، والطير بأجنحتها تخفقه، وهو لا يستطيع لها دفعاً ولا عنها هربا، إذ أتاه[1] الفرج من الله على يد ولي من أولياء الله، فكسر باب الجب، وكفكف عنه الطير، ومنع السباع، وطرد الهوام.

ثم مسح على بصره فنظر، وعلى سمعه فوعى، وعلى لسانه فنطق، وعلى قدميه فاستقام.

ثم أخذ بيده حتى أشرف به[2] على الأرض، فنظر إلى الجو واستنشق النسيم، وفهم التكليم، ومشى على الأديم.

ثم أمر بإطهاره[3]، من دنس أقذاره، وألبسه من ألين الثياب، وأركبه من أفره المراكب، وأسكنه من أعلى القصور، وأنكحه من أحسن النساء، وأخدمه من أنجب الخدم، وملكه من أوسع الضياع.

فلما استقر قراره، واطمأنت به داره، قال له: يا حبيبي هل تكتهل قدر ما أنعم الله به عليك على يدي؟.

- قال: لا، وحرمتك يا سيدي.
- قال: فهل تكتهل قدر الشكر عليها؟.
- قال: لا، والذي بلّغني ببركتك إليها.
- قال: فهل لك يا حبيبي إلى أن أدلّك على شيء يسير، إذا فعلته فقد أتيت على الشكر الكثير.
- فقال: يا سيدي وكيف لي بذلك، والوصول إلى ما هنالك.
- قال: تقول من القول ما أقول، فإني لا أقول إلا الصدق، وتترك منه ما أترك، فإني لا أترك إلا الكذب، وتفعل من الفعل ما أفعل، فإني لا أفعل إلا العدل، وتترك منه ما أترك، فإني لا أترك إلا الظلم.

---

[1] أ، ب: أتى.

[2] به: سقطت من ب، م.

[3] إطهاره: إبعاده.

فإذا فعلت ذلك ومُتَّ عليه، رفعتك إلى أرض أشرف من هذه الأرض، وأسكنتك قصراً أعلى من هذا القصر، وزوجتك زوجة أحسن من هذه الزوجة، وأركبتك مركوباً[1] أفره من هذه المراكب، وألبستك ثياباً ألين من هذه الثياب، وأخدمتك خدماً أنجب من هذه الخدم، وملّكتك ضياعاً أوسع من هذه الضياع، ولك الخلود الدائم في النعيم الدائم، لا ينقطع عنك المزيد، ولا يحزنك الوعيد.

- قال يا سيدي: هل إذا فعلت ذلك، ورفعتني إلى ما هنالك، حصلت على جوارك، والسكون إلى جنب دارك؟

- قال يا حبيبي: أنت غني وأنا فقير، وأنت مشغول وأنا فارغ، ولست إلى درجتي ببالغ، بل لك منزل كريم، مع كل غني من إخوانك كريم.

- فقال له يا سيدي: أحليتك هذه أحب إلى الله أم حليتي؟، وصفتك هذه أزكى عند الله أم صفتي؟.

- قال يا حبيبي: بل حليتي إلى الله أحب، وصفتي عند الله أزكى.

- قال يا سيدي: فهل من تحلّى بحليتك، واتصف بصفتك، جاورك في حضرتك؟.

- قال: نعم.

- قال: فأشهد الله وأشهدك أني ملّكتك نفسي وأهلي ومالي، فابق مني ومنهم ما أبقيت، والق مني ومنهم ما ألقيت.

- قال: أوتستطيع ذلك؟.

- قال: نعم يا سيدي طمعاً في جوارك.

- فقال: فما أبقيت لنفسك.

- قال: تعلقها بنفسك، لترفعها إلى مقام قدسك.

- فقال: مرحباً يا حبيبي أنت الحبيب الصديق، وأنت الصادق الرفيق، وأنت المتملك العتيق، سوحك من سوحي، وروحك من روحي ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[2].

---

[1] أ، ب: مركبا.

[2] [القمر: ٥٤/ ٥٥].

سبق إلى مثل الرجل المسجون في الجب أبو بكر الصديق رضـــي الله عنـــه في جاهليته، ومن تشبه به في حسن استجابته، وبذل ماله ومهجته.

وسبق إلى مثل الولي، الآتي بالفرج من الله، رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن استقام لهداية أمته من بعده، آخذاً لسنّته، قاصداً لقصده، ﴿وفي ذلك فليتنـــافس المتنافسون﴾[1]، ولمثل هذا فليعمل العاملون. (مجزوء الكامل)

نور تشعـــشع وانـــبرى	للعرش جـــاوز والثـــرى
نـــور الإلـــه وســـره	شمس الهدى بدر الـــسّرى
طاؤوس أطيـــار العـــلا	ماء الحيـــاة لنـــا جـــرى
والكوثر العذب[2] الـــذي	يسقي القلوب الكـــوثرا
سَمْعُ الأصمّ بـــه وعَـــى	وأخو العمايـــة أبـــصرا
يسري بأسرار الأحبـــة..	مـــــشهداً ومخبِّـــــرا
أو رافعـــاً أو خافـــضاً	أو مبطنـــاً أو مظهـــراً
مـــلأ الـــبلاد وأهلـــها	نـــوراً وعلمـــاً نَيِّـــرا
فصفا به ثوب الزمـــان..	وكـــان طمـــراً أغـــبرا
ومَحى الدّجنـــة فـــانثنى	جـــوّ[3] الحقيقـــة أزهـــرا
ونفى الـــشياطين الـــذين	يزخرفـــون المنكـــــرا
فـــالحق صُـــبح واضـــح	لا شكّ فيـــه ولا مـــرا
لله حـــــسن مقالـــــه	مهمـــا تحـــدّث أو قـــرا
مـــنح العقـــول فوائـــداً	تحيي الرفات من الـــورى
ويـــــسير في أنوارهـــــا	من كان يسمع أو يـــرى

[1] [المطففين: ٨٣/ ٢٦].

[2] أ: العذر.

[3] أ، م: حق.

ناسوك صـــومعة الهـــدى ماسوك سلسلة العـــرى
فـــرجُ الإلـــه ومَنُّـــه أعطى الجزيـــل وبـــشّرا
واشـــتال مـــسجون الجهالـــة وهـــو كـــان محيّـــرا
من جُبِّ ظلمـــة جهلـــه فإذا بـــه فـــوق العـــرا[1]
فوعى ولم يَـــكُ واعيـــاً ورأى ولم يَـــكُ مبـــصرا
فليهننـــا هـــذا الـــنبي.. وما لديـــه مـــن القِـــرى
تاهـــت بـــه أقطارنـــا وزَهَـــت بـــه أمّ القـــرى
طوبى لمـــن يحظـــى بـــه متقـــــدماً متـــــأخرا
وإليـــه يلقـــي نفـــسه عبـــداً لديـــه محـــرّرا
بالله هـــل مـــن شـــاكر نعما علـــت أن تـــشكرا
جملاً تفيض علـــى يديـــه مواهبـــــاً لا تـــــشترى
دنيـــا وأخـــرى لم تـــزل تترى وتحلـــب أشـــطرا[2]

رسالة: وهي مبسوطة من مطوي قوله صلى الله عليه وسلم:
"أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه "

أطلع مطلع الأسرار، على خفي الإضمار، سِر عبد من عباده، شـــاخص إلى استرشاده، على سِر ما روي عن سيد البشر في مـــسند الخـــبر: "أعـــرفكم بنفـــسه أعرفكم بربه ".

اطلع هذا السر[1] المستخبر، لعين هذا السر المخـــبر، علـــى أن حقيقـــة ذات العبد وصفاته، جارية المياه من حقيقة ذات الرب وصفاته، مثل ذلك النَّفَس المـــستمد

---

[1] العرا: الفضاء لا يستتر دونه بشيء، وفي أ: الذرا.

[2] شطر الشيء: قسمته نصفين، وعبارة "وتحلب أشطرا" منها المثل "هذا حَلْب لك شطره" أي عمل فيه منفعة للفريقين، وهنا يكون عمل فيه منفعة في الدنيا والآخرة.

من الهواء، الجاري في القوى، الذي عليه يتركب الكلام، وتستطيع به النفوس الحركة في الأجسام.

فلما كان النَّفَس معدوداً محدوداً، مقبولاً مردوداً، مسموعاً مشهوداً، متصلاً منقطعاً، ممكناً ممتنعاً، علمنا أنه مثل لممثول، تحويه. الجهات وتدركه العقول.

ولا جرم أن مادة كل مثل من ممثوله، كمادة الفرع من أصوله، فالنَّفَس مثل ممثوله الهواء، ومادته منه، وكذلك الجسم مثل ممثوله الأرض، ومادته منها.

ولما كانت نفس كل موجود تنشأ في العقلية وإليها تعود، وهي حياة تتعلق بموجود[2]، ليس بمعدود ولامحدود، ولا مقبول ولا مردود، ولا مسموع ولا مشهود، متصل لا منقطع، ممكن لا ممتنع، علمه وسمعه، وبصره وشمه، وذوقه ولمسه.. سرمد لا ينحصر، ولا يتبعض ولا يتعدد، علمنا أنها مثل ضرب لمثول، لا تحويه الجهات ولا تدركه العقول، إلا بمعرفة أصولها وفروعها الدالة على الفروع منه والأصول.

ولا جرم أن الأمر محمول على ما ذكرنا[3] أولاً في أن مادة كل مثل من ممثوله.

فإذا كانت النفس حية بالذات، متحركة بالصفات، مدركة بالآلات الحسية ظاهر الآيات والعلامات، وبالآلات العقلية باطن الأخبار والصفات، عالمة بما مضى وبما هو آت، علماً لا تنفصل به عن المعلومات، ناظرة إلى ما بين العرش والفرش بالهمم والإشارات، حاوية بالقوة لأقطار الأرض والسماوات... علمنا أنها جارية حياة الذات والصفات، من سر حياة حي الذات والصفات، وإليها أشار بقوله في هذه الآيات:

- ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾: يعني تابوت جرمها[4] المركب بالآلات.

---

[1] السر ليست في ق.

[2] أ، م: بوجود.

[3] أ: ما ذكره.

[4] أ، ب، م: جسمها.

- ﴿فيها مصباح﴾: يعني نورها المدرك لكل باطن وظاهر من ا لموجودات.

- ﴿المصباح في زجاجة﴾: يعني قلبها القابل لما يحدث فيها من المنح والإفاضات، والعلوم والحكم والإفادات، والخواطر والنيات، والإرادات والمرادات، التي هي لأفعالها وأقوالها مقدمات.

- ﴿الزجاجة كأنها كوكب دُرِّي﴾: يعني إشراق كوكب القلب بما يشرق منها فيه، فتشف[1] به على الحواس والجوارح ويبديه[2].

- ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾: يعني يوقد مصباحها من شجرة الحياة التي منها مواد أنفس الموجودات.

- ﴿مباركة﴾: أي بارك فيها مبارك الذات والصفات.

- ﴿زيتونة﴾: يعني بزيت مددها الدائم تقوم صورة نفس كل حي قائم.

- ﴿لا شرقية ولا غربية﴾: هاهنا قامت الحجة، واتضحت للعارفين بأنفسهم المحجة، يعني صفة ربانية، منها مادة صفة كل نفس عبدانية، لو انقطع عنها الوجود، لعاد إلى صفة العدم كل موجود.

- ﴿يكاد زيتها يضيء﴾: أي تكاد النفس الصافية من الذنوب، المتنزهة من العيوب، أن تتطلع بنور هذا المدد على الغيوب.

- ﴿ولو لم تمسسه نار﴾: أي ولو لم تأتها بذلك الأخبار.

- ﴿نور على نور﴾: نور رباني على نور نفساني، يَمُنُّ عليه بالبقاء ويجود، منه بدأ وإليه يعود.

- ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾: يهدي الله لنور قدسه، من عرف ربه من طريق نفسه.

- ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾[3]: الأمثال دلالات على ممثولاتها كالصفات عبارات عن موصوفاتها، لا لأن[4] ذواتها كذواتها، ولا لأن[1] صفاتها كصفاتها،

---

[1] أ، ب، م: فتشرق.

[2] أ، ب: وتبديه.

[3] [النور: ٢٤/ ٣٥].

[4] ب: لأن.

كذلك يضرب الله عز وجل النفس الإنسانية مثلاً لنفسه، ويصل شعاع شمسها بشعاع شمسه، وهو يتعالى[2] بجلال قدسه، عن أن تكون هي هو أو هو هي، وعن أن تكون هي كهو، أو هو كهي، بل هي على معرفته برهان مضيء، ودليل على حقيقة ذاته قوي.

وعلى ذلك نقول إن لكل موجود مادة، وإن لكل مادة فضاء، وإن لكل فضاء حداً، وإلى فضائه الممد، يعود كل مستمد.

- فمادة الأجسام من فضاء الأرض وإليها تعود.
- ومادة النَّفَس من فضاء الهواء وإليه تعود.
- ومادة النفس من فضاء الحياة، وإليها تعود.
- ومادة الحياة من حي الذات والصفات وإليه تعود، خالدة في برازخ النحوس أو برازخ السعود، إلى غير نهاية ولا حد محدود، ولا غاية ولا أمد ولا أجل معدود.

وهذه معرفة الاتصال، وداعية أنفس العشاق إلى الوصال، وعقد النسبة الشريفة بعد الانفصال، ومجاورة ذي الإكرام والجلال، على بساط الكرم والإفضال، بعد الانتقال إلى الكنف العال، والبلوغ إلى درجة الكمال، ومفارقة عوالم الجهال، المقتدية بأئمة الضلال، الداعين[3] إلى دار النكال، المقرّنين في السلاسل والأغلال، المتفقين على إتيان ما نهى الله عنه ورسوله من قبائح الأقوال والأعمال، وفساد السرائر والأحوال.

ومرادنا بوضع هذه الرسالة، خروج خواص الإخوان عن سلطان الجهالة، وليعلم الإنسان ما الحي من صفته وما الميت، وما الباقي من ذاته وما الفائت، فيكون بحيِّه الذي لا يموت متعلقاً بالحي الذي لا يموت، غير مضيِّع لوقته الموقوت، بطلب ما

---

[1] أ، ب: لأن.

[2] أ: يتعلى.

[3] أ: الداعية.

تكفل الله به من القوت، فيذهب عمره ويفوت، في عبادة ما يذهب من صفته ويفوت، ويصير ميتاً قبل أن يموت، والله بكل شيء عليم.

تمت الرسالة، وصلوات الله على نبي الرحمة وعنوان الجلالة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فصل

في معرفة النفس، (وبالله التوفيق)

لما أراد الله عز وجل أن يصف هذا الجوهر الحساس، المشار إلى عالمه بعالم الناس، بمحسوسات[١] غائبة عن الحواس، وخارجة عن إدراك العقل والقياس، ليطلع بالخبر عليها، قبل مصيره إليها، أي[٢] أقام له الحجة على تحقيق[٣] ذلك، ولتصحيح[٤] ما هنالك، بمحسوسات حاضرة، وآيات ظاهرة، لا يستطيع لبرهانها ردّاً، ولا يجد من إدراكها بدًّا.

فجعل ما أسمع وأشم وأرى، وما ألمس وأطعم وسقى، من متنافي المحسوسات بهذه الأجزاء شاهداً على ما أخبر عباده بالقرآن وحكى، من أطائب محسوسات الفراديس العلى[٥]، ومن خبائث محسوسات الأدراك السفلى، ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾[٦]، ولمن يحن إلى جنة المأوى.

فرتّب هذه الصورة[٧] الإنسانية مراتب، وجعلها آية جامعة للحكم الغرائب، فجعل هذا العالم الظاهر أصلاً لوجود جسمها، وجعل جسمها أصلاً لوجود نفسها،

---

[١] أ، ب، م: محسوسات.

[٢] "أي" في ق فقط.

[٣] كلمة "تحقيق" ليست في ق.

[٤] أ، ب، م: وتصحيح.

[٥] أ: العلوى.

[٦] [النازعات: ٧٩/ ٢٦].

[٧] ق: الصور.

وجعل نفسها أصلاً لوجود عقلها، وجعل عقلها أصلاً لوجود ربها[1]، وجعل كل جزء من هذه الأجزاء يجذبه مغناطيس أصل وجوده بوجه واحد، إلا النفس فإن لها جاذبين بوجهين مختلفين، الجسم يجذبها بالنسبة الحسية إلى أسفل سافلين، والعقل يجذبها بالنسبة القدسية إلى أعلى عليين.

وذلك لأن الله عز رجل خلقها بيدين من جوهرين مختلفين:

ظاهر يقبل الظواهر حساً، وباطن يقبل البواطن علما.

فالشهوات الحسية تجذبها إلى الاكتساب، والميل إلى عالم التراب، والعلوم القدسية تجذبها إلى الانتساب، والارتفاع إلى مجاورة رب الأرباب، إن في ذلك لـ ﴿عبرة لأولي الألباب﴾[2].

ومعنى قوله تعالى مخاطباً لإبليس: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين﴾، يعني بإحدى اليدين: القدرة التي خلق بها عقله المتصل بنفسه علماً، ويعني بالأخرى: الفطرة التي بها خلق جسمه المتصل بنفسه حساً، ومن كلا هذين الجوهرين برأ النفس وخلقها، وبأسرارهما المختلفين مزجها وفتقها.

واعلم أن الله عز وجل فضّل الإنسان على سائر الموجودات بدرجة زائدة، ولذلك قال: ﴿لما خلقت بيدي﴾[3] لأن الملائكة عليهم السلام، والشياطين والجن باطن بلا ظاهر، والحيوان البهيمي والأجسام والأجساد والأعراض ظاهر بلا باطن، والإنسان باطن وظاهر، فاستحق السجود من العوالم الباطنة لشرف ظاهره، واستحق السجود من العوالم الظاهرة لشرف باطنه.

---

[1] ابتداء من هذا السطر يوجد فقد في أ إلى نهاية ص٢٨٩.

[2] [يوسف: ١٢/ ١١١].

[3] [ص: ٣٨/ ٧٥].

كان[1] سجود العوالم الباطنة لآدم عليه السلام سجود تعظيم وحرمة، وكـــان سجود العوالم الظاهرة له سجود تسخير وخدمة، فضلاً من الله ونعمة، بـــأمر الملـــك الودود.

لذلك نعت بـــ ﴿خير البرية﴾[2] مطيعا، وبـــ ﴿شر البرية﴾[3] عاصيا.

فسبحان من خصّه بالحس الجامع، لإدراك ما لا يحصى من نِعَمـــه ونِقَمـــه في الدنيا والآخرة.

وسبحان من خصه بالعقل الجامع، لإدراك ما لا يحصى من علومه وحكمـــه في الدنيا والآخرة.

واعلم أن الفرق بين ما أوجد الله بالقدرة، وبين ما أوجد بالفطرة:

- أن كل ما جاء عنه كثيفاً مترتباً[4]، داخلاً تحت حكم الزمـــان والمكـــان، ينسب إلى الفطرة.

- وكل ما جاء عنه بسيطاً لطيفاً، خارجاً عن حكم الزمان والمكان، ينـــسب إلى القدرة.

قال الله عز وجل فيما ينسب إلى القدرة:

﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾[5].

- ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[6]، وما أشبه ذلك..

وقال عز وجل فيما ينسب إلى الفطرة: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة مـــن طين﴾[1]، وما أشبه ذلك.. وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، والحقائق التي أرســـل

---

[1] ق: فكان.

[2] [البينة: ٩٨/ ٧].

[3] [البينة: ٩٨/ ٦].

[4] ب، م: مركبا.

[5] [القمر: ٥٤/ ٥٠].

[6] [النحل: ١٦/ ٤٠].

بها الرسل إليها، فلبّس الشيطانُ الصدقَ بالكذب، ليكون ذلك سبباً إلى حمل ما أظهرت الرسل من المعجزات على السحر، وبهاتين العلتين هلك من هلك، وبالسلامة منهما نجا من نجا. والله الموفق للصواب[٢].

جواب كتاب لبعض المشائخ الفضلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.

وقفت أيها الأخ الصالح على مسائلك الدقيقة، وطلبك أعلى رتب الحقيقة، وسلوك أيمن طريقة[٣] إلى المعارف العتيقة، لتلحق بالأنفس الطليقة، المؤتمة بالأرواح الحرية[٤] العتيقة، المستمسكة بالعرى الوثيقة، المستنقذة للجواهر الغريقة، في بحار الأمكنة السحيقة.

وقد سألت الله مولي الحكمة، ومسبغ النعمة، مادة تكشف الظلمة، وتجلو الغمة، وترفع الهمة، إلى برج شمس الأمة، ورسول الرحمة، نظمنا الله وإياك في سلكه، وجعلنا وإياك من ركبان بحره في فلكه، وأشركنا في كرامته وملكه، والعين قريرة[٥]، في الدولة[٦] الآتية الأخيرة، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

اعلم وفقك[٧] الله لكل صالحة، ووقى نبات أرض قلبك كل جائحة، أن رتب الوجود، المشتملة على معرفة الموجد والموجود، أربع:

- الرتبة الإلهية: وهي ذات حروف السطر الأول من لوح الوجود.

---

[١] [المؤمنون: ٢٣/ ١٢].

[٢] إلى هنا انتهى الفقد في أ.

[٣] أ، ب، م: الطريقة.

[٤] حُرِّيَّة القوم: أشرافهم.

[٥] ق: كانت قبل تصحيحها القريرة.

[٦] ب، م: بالدولة.

[٧] أ، ب، م: أصلحك.

- والرتبة العقلية: وهى ذات حروف السطر الثاني من لوح الوجود.
- والرتبة النفسانية: وهي ذات حروف السطر الثالث من لوح الوجود.
- والرتبة الجسمانية: وهي ذات حروف السطر الرابع من لوح الوجود.

* ترتيبها في صورة العالم الأعظم: الرب سبحانه، والملائكة، والسماوات، والأرض.

* وترتيبها في صورة ولد آدم: الرب سبحانه، والعقل، والنفس، والجسم.

وأما نسبة بعضها من بعض في القرب والبعد، فمحمولة على أن:

- نسبة العقل من الرب سبحانه كنسبة الصبح الواضح من الشمس.
- ونسبة النفس من العقل كنسبة الفجر الأول من الصبح.
- ونسبة الجسم من النفس كنسبة الليل من النهار، والظلمة من النور، وهي غاية البعد الأبعد، لا نسبة بينه وبين ما فوقه إلا من جهة ما تبدو عليه من الشواهد الحسية، والإشارات الناموسية القدسية، مدة الاقتران الحيواني، والعمر الطبيعي كعمران البيت بالسكان، وتدبير السفينة بالربان، وتحريكها بالسكان.

فإذا[1] قبضت عنه هذه الجواهر، بصفة الموت القاهر، أظلم جوّه وفقد ضوءه، وفارقه أنيسه وجذبه مغناطيسه، فخرب خراب البيت لفراق[2] السكان، وانكسر انكسار السفينة لعدم الربان.

فدلّ وجود جملته، بعد انسلاخ صفتها عن صفته، على أنه لا نسبة بين جوهرها وجوهره، ولا امتزاج بين عنصرها وعنصره، بشهادة قوله تعالى مبيناً لتباينهما، محققاً لتضاددهما: ﴿ولقد: خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحما ﴾، وهذا حدّ كمال الجسم.

---

[1] أ: فإن.

[2] ب، م: لفرقان، ق: بفراق.

وقال عز وجل: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، يعني قرن جسمه بالنفس، وقرن نفسه بالعقل، وقرن عقله بالعلم، ففصل بينهما بقوله: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾[١].

وعلى ذلك دلّتنا روائح قوله تعالى:

- ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾[٢]: كذلك الجسم يسلخ منه الروح فيظلم ويموت، وتذهب وتفوت.

- ﴿والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم﴾[٣]: كذلك النفس هي شمس الجسم وهو فلكها، تجري فيه لمستقر لها عند حضور أجلها، ونفاد رزقها وانقطاع عمرها.

- ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[٤]: كذلك الجسم ينشأ طفلاً ثم غلاماً ثم كهلاً تاماً ثم شيخاً هرماً، ثم يفنى ويضمحل، ثم يتلاشى وينفصل.

- ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون﴾[٥]: كذلك النفس لا تلحق بالجسم، ولا تموت بموته، ولا تفنى بفنائه.

- ﴿ولا الليل سابق النهار﴾: وكذلك النفس سابقة الجسم في القدم، ومحركته بالإرادة، ومفارقته بالموت، إن كان من المقربين إلى أعلى علـيين، وإن كان من الضالين فإلى سجين.. وهو راجع إلى أصل عنصره من الماء والطين.

- ﴿وكُلٌ في فلك يسبحون﴾: الأرواح الشريفة تأوي إلى قناديل من نور معلقة بالعرش، والأجسام الكثيفة تتلاشى في القبور وتمتزج بالفرش إلى يوم يبعثون.

فعلى ذلك نقول:

---

[١] [المؤمنون: ٢٣/ ١٢-١٤].

[٢] [يس: ٣٦/ ٣٧].

[٣] [يس: ٣٦/ ٣٨].

[٤] [يس: ٣٦/ ٣٩].

[٥] [يس: ٣٦/ ٤٠].

- إن العقل نفس الله ونوره ووجوده، ولولا ذلك ما عرفه ولا عرف به.
- وأن النفس نفس العقل ونوره، ولولا ذلك ما فهمت عنه ولا لحقت به.
- وأن الجسم لها كالبيت للساكن، وكالسفينة للراكب فقط.

فحقيقة ذات العقل أنه جوهر واحد مؤتلف غير مختلف، لا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينحرف، مختص بالتوحيد والمعرفة والبرهان[1]، مُبَرّأ من النقصان، والشك والطغيان، والجهل والنسيان، ولا يميل ولا يعترض، ولا يغفل ولا يعرض عن دوام مشاهدة باريه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وحقيقة ذات النفس أنها مؤتلفة ومختلفة، مقبلة ومعرضة، أمارة ومطمئنة، لوامة وراضية، ذاكرة وناسية، زاهدة وراغبة، آمنة وراهبة.

وسبب ذلك ما جبلها الله عليه من الحس المختلف، المتعلق بمصالح هذا الجسم المختلف، إذ الأجسام بلاء النفوس، وبروج تكاليفها، وأفلاك دورانها.

فبالإقبال على ما يصلحها ويقيمها ويبقيها ويديمها، ويتعلق بمنافعها من الأغذية والمناكح، والملابس والمراكب، ومنافستها في الأفخر والأنفس من ذلك، تتفرد وتتجرد، وتنقطع وتنطبع، وتنعكس وتظلم، وتنتكس وتظلم، وتشتغل وتعرض عن مقابلة العقل وارتضاع مدده وقبول فيضه.

وبالإعراض عن المنافسة في ذلك، والزهد في جميع ما هنالك، والقناعة بالأحقر من الأفخر، وبالأيسر من الأعسر، وبالأقل من الأكثر، وبالأسخف من الأشرف، وبالأخس من الأنفس: يتهيأ لها الفراغ[2] والإقبال، والارتفاع والارتضاع، وقبول الفيض وتناول الحكمة وإدراك العلوم.

فهذا سبب اختلاف مختلفها على العقل الرباني، وائتلاف مؤتلفها بالجوهر الشيطاني، وذلك من أدل دليل على أنها ليست من جوهر واحد كما زعم الفلاسفة بقولهم:

---

[1] كلمة والبرهان لم ترد في ق، م.

[2] أ، م: الفراق.

– إن النفوس الجزئية هي قوى منبثة من النفس الكلية، وأنها أهبطت إلى الأجسام لمنافستها العقل الكلي وتكبرها عليه.

– وأنها افترقت ثلاث فرق: فرقة في المعادن، وفرقة في النبات، وفرقة في الحيوان، الذي أعلاه صورة الإنسان.

– وأنها كُلِّفت أن تستخلص ذاتها من هذه الأنواع والأجناس المختلفة، بارتفاعها بوسائط الأغذية والمنافع إلى هذه الصور الإنسانية، وأنها هي المدبرة للصورة، والسابغة لها بالآلات الفلكية والأركان الطبيعية.

– وأنها جوهر هذه الأجسام والأعراض كلها، والمبلغة لها إلى حد كمالها.

– وأنه من[1] بلغ من هذه القوى المفترقة إلى صورة الإنسان، فعرف إمام عصره[2]، وأصل حقيقة أمره، رفعته عن هذه الصورة الإنسانية بصفة الموت إلى صورة ملكية[3] في العوالم العلوية.

ومن مات على غير هذه الصفة، أهبطته إلى صورة بهيمية في العوالم السفلية، ثم إلى مثالها بعد زوالها، ثم لا تزال كذلك ترددها في الأشخاص إلى أن تصفو من كدرها، وتأتلف بأجمعها، وتنظم[4] إليها وتتوارد عليها، فحينئذ تعود إلى مقامها العقلي، ومركزها الدهري، بجميع قواها المنبثة، وأجزائها[5] المتفرِّقة، وذلك سبب خراب العالم عن العمران، وسكون الفلك عن الدوران، وانقطاع مواد الطبائع والأركان، وهذا عندهم المعاد، ولا تعود النفس أبداً إلى الأجساد، فاحذرهم.. ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[6].

ونحن نقول وبالله التوفيق:

---

[1] أ، ب: ما.

[2] أ، ب، م: عنصره.

[3] مليكه.

[4] ب، م: وتنتظم.

[5] أ، ب: وجزئياتها.

[6] [المنافقون: ٦٣/ ٤].

إن الجوهر المحض لا يتجزأ متنافيا، ولا يتبعض مختلفاً، كما ينفصل من النـــار والماء، والظلمة والنور لا نراه يتنافى في الحس ولا يختلف في العقل، بل كل منه علـــى صفة جوهره في الانفصال والاتصال.

فبطل بهذه الأمثال[١] أن تكون النفوس[٢] الجزئية مـــن جـــوهر واحـــد كمـــا زعموا، لأنه لا بد بالاضطرار من أن تكون هذه النفس الكلية جوهراً واحداً، ثم إنـــه لا بد بالاضطرار من أن يكون جوهرها على صفة المطمئنة أو الأمارة فقط.

بل إنه لا بد بالاضطرار أن يكون ما يتجزأ منها على صفتها، كما سبق مـــن تمثيلنا[٣] بكون ما ينفصل من النار والماء، والظلمة والنور، علـــى صـــفة جـــوهره في الاتصال والانفصال.

وقد يشاهد من اختلاف النفوس الجزئية وتنافيهـــا في الأقـــوال والأفعـــال والاعتقادات والمذاهب[٤] ما لا يحيط به علماً إلا الله تعالى.

فقد تبين لك بهذه الدلالات والأمثلة فساد قولهم في فرعهم وأصـــلهم، وأن النفس الكلية لا حقيقة لها في محسوس ولامعقول، بل ما زعموا[٥] إفك مدخول، عـــن قدماء الفلاسفة منقول، أعداء كل نبي ورسول.

فاعلم يا أخي أن لكل عبد نفساً، ولكل نفس عملا، وعلـــى كـــل عمـــل جزاء، يدلُّك على ذلك خطاب الله عز وجل للأنفس بلفـــظ الجمـــع[٦] مـــن قولـــه تعالى: ﴿ألست بربكم قالوا بلى ﴾[٧].

---

[١] أ: بهذا المثال.

[٢] ب: النفس.

[٣] أ، ب، م: تمثيلها.

[٤] ب، م: والمواهب.

[٥] أ: بل زعموا.

[٦] أ: الجميع.

[٧] [الأعراف: ٧/ ١٧٢].

ألا ترى إلى صفة العقل كيف تضطرنا مشاهدة المتصفين بـه مـن العلمـاء العاملين، والحكماء العارفين، والأنبياء المرسلين، والملائكة المقـربين، إلى أنـه جـوهر واحد، كامل فاضل، مؤتلف غير مختلف، وإنا حيث لا نجد عقـلاً فهنالـك لا نجـد علماً، وحيث لا نجد علماً فهنالك لا نجد عملا.

فإن قيل فإنا قد نجد عالماً ولا نجده بالعلم عاملاً، وقد رتبت أن العقل سـابق للعلم، وجعلت العقل موقوفاً على كل موسوم بسمة الفضل فقط، فاختـلّ ترتيـب الاضطرار من قولك بكل من خالف علمه عمله، فنقول:

* إن مقدمة كل علم معمول به العقل، وشاهده الخشية.

* ومقدمة كل علم غير معمول به الجهل، وشاهده الهوى.

ولا يستحق الحافظ أن يسمى عالماً على الحقيقة حتى يكون بعلمـه عـاملاً، ولأعباء تكليفاته حاملاً، وإلا فهو حافظ، يؤيد ما قلناه، قوله تعالى في العلمـاء علـى الحقيقة:

﴿كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾[1].

﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[2].

ويؤيد ما قلناه في العلماء على المجاز[3]، قوله عز وجل في عالم بني إسرائيل:

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان مـن الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هـواه، فمثلـه كمثـل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلـك مثـل القـوم الـذين كـذبوا بآياتنا﴾[4].

---

[1] [فاطر: ٣٥/ ٢٨].

[2] [الزمر: ٣٩/ ٩].

[3] أ: المحالات (والمحال: الباطل).

[4] [الأعراف: ٧/ ١٧٥-١٧٦].

وقال تعالى: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾[1].

فمرادنا بتقديم العقل على العلم، علم[2] هؤلاء، لأنهم عقلوا ما علموا، فعملوا به رجاء ثواب الله وخشية عقابه.

وليس مرادنا مَن مقدمة علمه الجهل، وخاتمته الهوى، أولئك لم تسنح لهم من سوانح العقل سانحة، ولا استنشقوا من روائحه رائحة.

والعقلاء هم أولوا الألباب، بذلك نعتهم رب الأرباب، في محكم الكتاب.

يدلّ[3] بذلك على أن العقل جوهر واحد، يختص بكل شاكر حامد، ويبسط[4] في ذات كل راكع ساجد، ويشرق في قلب كل محب واجد، ويتعلق ببصيرة كل عارف شاهد.

فحيث توجد دلائله، فهناك فضائله، وربوعه ومنازله، ويحقق أحديته خطاب الله عز وجل إياه بلفظ واحد من قوله: "أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر".

فحيث وجدت الإقبال على كل طاعة، والإدبار عن كل معصية، فهنالك العقل، وإن كان العلم قليلا.

وحيث وجدت الإدبار عن كل طاعة، والإقبال على كل معصية، فهنالك الجهل وإن كان العلم كثيرا. وبالله التوفيق.

فهذا حدٌ تقف عليه، فيما هدى الله إليه، من معرفة النفس والعقل والجسم[5]...

ثم نعود إلى ذكر أقوالهم في ذلك:

---

[1] [الجمعة: ٦٢/ ٥].

[2] م: على وعلم.

[3] ب، م: فدلك.

[4] ب، م: وينبسط.

[5] أ: النفس والروح والجسم.

– فأما الذين قالوا: إن الإنسان هو هذه الصورة المرئية، فهم أهـــل المجـــاز، وأرباب الحس، وصفوا المحسوس لقصور علمهم عن معرفة المعقول، وهو جائز علـــى وجه العبارة لا على وجه التحقيق.

– وأما الذين قالوا: إن الإنسان هو النفس، وهي جـــوهر بـــسيط، وهـــذا الجسد لها كالآلة، فإذا فارقت هذا الجسد عادت إلى محل البقـــاء، ويقولـــون إنهـــا لا تموت ولا تتغير، فمقالتهم أقرب إلى الحقيقة من مقالة أولئك، إلا أنهـــم يعتقـــدون أن النفوس لا تعود إلى الأجساد، ويكذبون بيوم التناد، ومقالتهم تعود إلى مـــا ذكـــرت لك من النفس الكلية وأسبابها.

– وأما الذين قالوا إن الله عز وجل أبدع النفس بـــسيطة غـــير محتاجـــة إلى الجسد، ثم أهبطت إليه لأجل جرم، ومنهم من يقول أهبطت لأجل فائدة تـــستفيدها من علم هذه الأجساد، فإذا انحل التركيب عادت إلى عالمها.

فأما الذين قالوا لأجل جرم، فهم الذين قدمنا القول فيهم، مـــن أن الـــنفس الكلية أهبطت لمنافستها العقل الكلي وتكبرها عليه.

وأما الذين قالوا أهبطت لأجل فائدة تستفيدها من علـــم هـــذه الأجـــساد، فمحال أن تكون النفس محلاً للجهل، وأن يكون الجسد محلاً للعلم، بل العلـــم مـــن خصائص النفس، وبعلمها يتحرك الجسم، والجسم جماد ليس بمحل علم ولا جهـــل، وهذا خلف من القول، ولغو من الكلام لا يعبأ به.

– وأما الذين قالوا: إن الله تعالى خلق هذا العالم في الأصل من نفـــس وجـــسد، وجعل النفس الناطقة هذا الإنسان، ونفس حسية وهـــي الحيـــوان دون الإنـــسان، ونفس نامية وهي النبات، فإذا انحل تركيب النفس الناطقة، حصل لها البقاء، وهـــذا يعود إلى حديث الفلاسفة الذين قدمنا ذكرهم في أن النفس قـــد[1] افترقـــت عنـــد إهباطها بثلاث فرق: فرقة في المعادن، وفرقة في النبات، وفرقة في الحيـــوان الـــذي أعلاه عالم[2] الإنسان، وقد تقدم الرد عليهم.

---

[1] كلمة "قد" في ق فقط.

[2] ب: عالم صورة الإنسان.

وأما الذين قالوا إنها ترد إلى الأجساد التي فارقتها عند النشأة الأخرى[1]، فهذا اعتقادنا واعتقاد مشايخنا وعلمائنا المتبعين لأنبيائنا، وبه نزل كتاب ربنا بلسان عربي مبين، ننزهه عن الرموز والكنايات، ونؤمن بالمحكم والمتشابه فيه[2] من الآيات.

وقد قدمت لك مقدمة تتلو هذه المسائل والجوابات، وهي الموسومة بالعقل والمعقول، وأوضحت فيها الرد على المتأولين القرآن بغير تأويله، المكذبين بظاهر تنزيله، ما إذا تدبرتها بصحة عقلك، وصفاء ذهنك، تحصلت[3] لك من أنواعها علوم جمة.

فالحمد لمسبغ النعمة، ومولي الحكمة.

وأدعى مسائلك إلى الجواب، وأشكلها عند المتحيرين بين الخطأ والصواب، قولهم إن الأكل والشرب والنكاح حالة خسيسة لا تليق بصور[4] أهل الدار الآخرة، وسبب ذلك أنهم عبروا عن الطبع بالطبع.

وهيهات ليس الأكل كالأكل، ولا الوضع كالوضع، ولِشَكِّهم في ذلك وحيرتهم فيما هنالك، كذبوا بالبعث والنشور، والجنة والنار، ورجوع النفوس إلى الأجساد.

واعلم أيها الأخ الصالح أن علم كيفية صور الأمم التي يدخل بها أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، بعد حشرها بصورها التي ماتت عليها، ليتعارف الخصوم ويتعلق الظالم بالمظلوم، علم غامض العبارة، صعب الإشارة، لم يكد[5] أحد من علمائنا المتقدمين والمتأخرين أن يتكلم به لغموضه ودِقَّته، بل يأخذونه تقليداً وإيماناً، وتصديقاً ويقيناً.

---

[1] أ، ب، م: الأخيرة.

[2] أ، ب، م: به.

[3] في أصل ق: تخلصت.

[4] ب: بصورة.

[5] أ، ب: يكن.

وأنا أستمد الله عز وجل أن يلهمني فيه إلى ما عوّدني من التثبيت، إذ كنت على الاعتماد عليه أصبح وأبيت، وبه التوفيق والهدى إلى أيمن الطريق.

اعلم أيها الأخ أن الصورة الفانية بصفة الموت، تبعث على هيئتها التي ماتت عليها، بجميع أعراضها التي تعرف بها ويشار إليها، ليتعارف الخصوم، ويتعلق بالظالم المظلوم.

فإذا وجبت الجنة لأهل الجنة، وعبروا الصراط[1] بالفضل والمنة، عمد بهم إلى بحر الحياة، فغمسوا في غمره[2] ثلاث غمسات:

- بالأولى تخلع عنهم صورة[3] الفناء.
- وبالثانية تفرغ عليهم صورة البقاء.
- وبالثالثة يكسون خلع[4] الرضاء ويتوجون بتيجان البهاء.

ثم يسقون منه ثلاث شربات:

- بالأولى تطهر أجوافهم من آلة الثقل.
- وبالثانية تطهر قلوبهم من ظلمة الغل[5].
- وبالثالثة تخف أجسامهم من كثافة الثقل.

فينصرفون إلى الجنة بخلق جديد، كأنهم قضبان الفريد[6]، في بياض الفضة الشديد، ألاَنَها القادر المجيد، كما ألان لداؤود الحديد، أنفاسهم النور، وعَرَقُهم المسك والكافور، وريقهم الخمر المعصور، وكلامهم الدّر المنثور.

[1] أ: وعبروا على الصراط.

[2] الغمر: الماء الكثير.

[3] أ، ب، م: صور، وكذلك في المرة التالية

[4] أ، ب، م: حلل.

[5] ب: الغل والحسد.

[6] الفريد: الجوهرة النفيسة، الدر إذا نُظم وفُصِّل بغيره.

يا لها من صور[1] صمدانية، تنفخ فيها أرواح رحمانية، قدرتها قدرة ربانيـــة، لا بالملكوتية ولا بالإنسانية، ولا بالجسدانية ولا بالروحانية، شتّان ما بينها وبين الـــصور[2] الفانية.

وكذلك أزواجهم المطهرة، ذوات الأردان[3] المزعفرة[4]، والأعطاف المعنبرة[5]، والأسواق المخلخلة، والمعاصم المسورة، والأكفاف[6] ا لمنعمـــة، والأنامـــل المختمـــة، والأجياد المقلدة، والصدور المنهدة، والثغور المعطرة، والعيون المـــسكرة، والخـــدود الأسيلة، والوجوه الصقيلة، والشعور الرسيلة، والأخلاق الجليلة[7]، والمحبة الأصـــيلة، لم يصفهن[8] الواصفون، ولم يمدحهن المادحون، كما وصفهن الله في كتابه المكنـــون، لا سيما في سورة الرحمن، الموسومة بعروس القرآن، كأنهن خيطان[9] الجـــوهر، معجـــون بالمسك والعنبر.

فصل

فأمّا[10] صفة الفرق بين طعامنا وطعامهم، وشرابنا وشرابهم، ونكاحنا ونكاحهم:

فمن جهة التفاوت الظاهر ما بين الصورتين، ببرهان[11] العقل ورأي العين..

---

[1] أ: صورة.

[2] ق: الصورة.

[3] الردن: الغَزْل، الخَزّ، طرف الكم الواسع..

[4] الزعفران: جنس نبات بصلي زهره أحمر إلى الصفرة.

[5] العنبر: طِيْب.

[6] أ، ب: والأكناف.

[7] أ، ب، م: الجميلة.

[8] أ: يصفها.

[9] الخوط هو الغصن الناعم، أو كل قضيب.

[10] أ: وأما.

[11] أ: كبرهان.

وذلك أنه لما كان ما نحن منه وهم الآباء، وما هو منا وهم الأبناء، كثيف محض من كثيف محض، مادته من كثيف محض، وسبقت مشيئة القادر سبحانه بتواتر النسل إلى أجل معلوم، ابتدأ عز وجل بخلق صور الأمهات ابتداعاً بقدرته وهو قوله كن فكان، وذلك قوله عز وجل:

- ﴿خلقكم من نفس واحدة، ثم جعل منها زوجها﴾: يعني آدم وحواء.
- ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾[1]: يعني البهائم المذكورة في سورة الأنعام.

ثم خلق عز وجل الثمانية كلها من أمزجة طبائع الصور، فتنوعت بنوعي خصوص وعموم:

فالخصوص ما يطابق أجسام البشر من الأغذية.

والعموم ما يطابق أجسام البهائم من الحشائش.

وكُلٌ يستمد من كثيف الطين والماء:

فتتولّد منه الأغذية، وتتولّد من الأغذية النطف، وتتولّد من النطف الأجسام، ثم يبقى في المعد الطبيعية ثقالات[2] الاستمدادات الطينية والمائية، فتدفع ثقل كثيف الماء بولاً، وتدفع ثقل كثيف الطين غائطاً، ويتصرف[3] اللطيف باستمداد العروق إلى جملة الجسد، فيستحيل دماً وبلغماً وصفراء وسوداء.

فلأجل هذه العلل السخيفة، التي هي قوام هذه الصورة الكثيفة، كان[4] الطعام والشراب والنكاح الدنيوي حالات خسيسة.

فلما قاسوا ما ثم على ما ههنا، بعقولهم المختالة في تكذيب الأمناء، حملوا[1] ما أتت به رسل ربنا، من الكتب الناطقة بذلك على الرّمز والكُنَى، ليشككوا في ذلك عقول الجاهلين﴿ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[2].

---

[1] [الزمر: ٣٩/ ٦].

[2] أ، ب، م: ثقلات.

[3] م: وينصرف.

[4] أ: فإن.

واعلم يا أخي -أصلحك الله- أن القادر سبحانه وتعالى أبدع صُوَر أهل الجنة إبداعاً محضاً، وألبسها شباباً[3] غضّاً، على صفة الكمال والتّمام، لا يرويها الشراب ولا يشبعها الطعام، ولا تزيد به كزيادة هذه الأجسام، وإنما خلقها لمجرد الإنعام، والتلذذ بالإفضال والإكرام.

ثم إنه عز وجل خلق كل ما في الجنة من الفواكه والنِّعم مطابقاً لِصُوَر أهلها، لا تسقى بالماء ولا تستمد من الثرى.

غرسها الباري بيده فتقدّسَ[4] إذ برى، ما لا أذنٌ سمعت ولا عين ترى[5]، أنشأها للتنعم لا للغذاء، ولمجرد اللّذة لا للنماء، فصارت حسينة في اللون، كثيفة في اللمس، لطيفة في الذوق.

إذا تناولها الآكل انماعت في فمه كانمياع[6] العسل الجامد في أحسن لون وألَذِّ طعم وأذكى رائحة، فتدبّ لذاذتها في جميع جسده دبيباً روحانياً، وتشعشع[7] في أعضائه تشعشعاً نورانياً، فيجد اللّذّة بكل جزء من أجزائه، وعضو من أعضائه، حتى لا يبقى موضع بعوضة من جسمه، ولا منبت شعرة من رأسه، إلا وجد بها[8] لذّة من ذلك.

وذلك لأنه قد صار على صفة واحدة، ذوقاً كله، شمّاً كله، سمعاً كله، بصراً كله، علماً كله، عقلاً كله، فيزداد الجسد من حسن لونها نوراً، ويرشح من طيب ريحها مسكاً، ويتضاعف من طيب طعمها شهوة.

---

[1] ب: وحملوا.

[2] [التوبة: ٩/ ٤٩].

[3] أ: ثيابا.

[4] أ، ب: فتقدست.

[5] أ، ب: رأت.

[6] أ، ب: أماعت في فمه كما يماع.

[7] تشعشع: تنتشر.

[8] أ: لها.

جلّ ذلك الطعام المطعوم، والشراب المسنوم، أن يبتلع ببلعوم، ثم يصير إلى حلقوم، ينحدر منه إلى جوف منهوم، فيصعد منه اللطيف دماً وبلغماً، ويهبط منه الكثيف بولاً وأذى.

هيهات هيهات، أين الأرض من السماوات، وأين المجنات من الجنات، ،﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا﴾[1].

فصل

وأما النكاح المنسوب إلى هذه الصورة الشريفة، فهو بالآلات الطاهرة اللطيفة، ليست[2] كهذه الآلة السخيفة، الجارية بالنطف الكثيفة.

نكاح شهوة موجودة، غير متناهية ولامحدودة، ولامعلولة ولا مملولة.

مَنْيُ رجالها النّور، وحَمْلُ نسائها السرور والحبور، لا يقطع أشواقهم دوام النكاح، بل لا يزال بعضهم إلى بعض يرتاح، تجري أسرار شهواهم في أنوار لحظاهم، وتدرج مدارج لفظاهم، فيسكرون [بنغماهن، ويسكرن][3] بنغماهم، لا ينظرون إلى عوراهن، ولا ينظرن إلى عوراهم.

هيهات هيهات تغطّت عوراهم بأنوار حسناهم، وسقطت شهواهم بسقوط سيئاهم.

إذا اعتنقوا فاجتمع الحبور بالحبور، والتقت الصدور بالصدور، والثغور بالثغور، فاح المسك والكافور، واهتزّت الحجب والسّتور، وترنّمت على الأغصان الطيور، وامتلأت السُّرُر بالسّرور، وسطع بينهم عمود من نور، يقول: سبحان خالق

---

[1] [الإنسان: ٧٦/ ٢٠].

[2] ب، م: ليس.

[3] العبارة بين القوسين من النسخة "ح" فقط وهي منسجمة مع السياق العام للحديث، وتتفق مع أبيات القصيدة التالية.

الحور، ومُكرمهن بمن أحب من الذكور، كانوا ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾[1]، فوفّاهم أجورهم وزادهم من فضله إنه غفور شكور[2].

صُوَرهم في صُوَرهن تلوح وتترايا، وكذلك صُوَرهن في صُوَرهم أمثلة وسوايا[3]، كما تلوح الصُّوَر للصُّوَر[4] الناظرة في المرايا، طوبى لهم بالزلف والعطايا، فازوا بالأماني وأَمنوا من المنايا، أولئك على الله أكرم ا لبرا يا. (الكامل)

هم فتية كانت لهم ألباب ... قطعوا ولم تقطعهم الأسباب
كانت سجيّتهم محبة ربهم ... حتى أتوه وهم له أحباب
وقفوا على الأبواب حتى فتّحت ... لقدومهم من داره أبواب
حُجَّابهم فيها ملائكة السما ... ولطالما طردهم الحَجَّاب
كانوا على الدنيا عبيداً خشعا ... أما هناك فإنهم أرباب
ما أمَّلوا فيها وقالوا كَنْ يكن ... أمْرٌ ورب العالمين عجاب
قرنوا بأتراب لهم من حورها ... يا حبّذا أولئك الأتراب
طابوا فَطِبْنَ فهم سواء صيغة ... خُلَقٌ وخَلْقٌ فائق وشباب
إعجابهنّ بحسنهم لا ينقضي ... وبحسنهِنَّ كذا لهم إعجاب
فلحاظهن شرابهم وشرابهن ... لحاظَهم والأعينُ الأكواب
يَسْكرن مهما يلفظون ويَسكروا ... مهما لفظن وما هناك شراب
وإذا ابتسمن تبسّموا وإذا دُعُوا ... لبَّيْنَهم فإذا دَعَون أجابوا
وإذا هم اعتنقوا هناك وأَرْخِيَت ... من دونهم حُجُبٌ لهم وقِباب
أرِجَت مضاجعهم وسبّح نورُهم ... وتغنّت الأطيار والأطناب[1]

---

[1] [فاطر: ٣٥/ ٢٩].

[2] مستنبط من قوله تعالى: ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾، [فاطر: ٣٥/ ٣٠].

[3] ق: وسوايا.

[4] كلمة "للصور" ليست في أ، ب، م.

واهتزّت السُّرُر الرفيعة بهجة — والكلّ طاب لطِيْبِهم إذ طابوا
وتراجعت فيها القيان بمدحهم — وبما أفاض عليهم الوهّاب
والخمر مازَجَها محبة ربهم — لا يسكرون ولا يغيب صواب
وطعامها لا يشبعون لأكله — ما ثَمَّ أجواف ولا أقصاب
كلاّ ولا لحمٌ ولا لهمُ دمٌ — سفك ولا عظم ولا أعصاب
بل يعرقون المسك والكافور من — طِيبٌ له تتعنبر[2] الأثواب
تأتيهم رُسُلَ الإله بكَتْبِه — فلكل عبد مرسل وكتاب
فَحْوَاه يا من طال عنّا صبره — ما مثل ذلك تصنع[3] الأحباب
إني لمشتاق فزرني عاجلاً — فلديّ بحر للعطاء عباب
زرني تراني[4] طالما قد زرتني — بالحجِّ عاماً إذ عليّ حجاب
وإلى المساجد قد أدمتَ[5] زيارتي — فاليوم لا حجب ولا حُجّاب
فيبادرون وإذ لهم قد أسْرِجَتْ — خَيْلٌ على أبوابهن أطلاب
ومضَوا جميعاً نحو قَصْرِ محمد — الأنبياء والرسل والأصحاب
فهناك مَكّتُهُم[6] كما هي هاهنا — والرّكن مستلم لهم والباب
يستشرفون جمالَه وجلالَه — فإذا بدا خرّوا لديه وهابوا
يبدو وبدرُ التم يقصر دونه — لا محق فيه ولا عليه سحاب
وعليه من سر الإله مهابة — وعليه من أنواره جلباب

---

[1] أطنب الشاعر: أتى بالبلاغة.
[2] ب: تتعطر. أ، م: تتعطف.
[3] أ، ت، م: يصنع.
[4] أ، ب، م: تجدني.
[5] أ، ب: أطلت.
[6] أ، م: مكتبهم.

فمُعـــزِّر ومُـــوقِّر ومُـــسبِّح ومقـــــدّس لــــــبروزه أوّاب

حــق الـسجود لــه وكــان لآدم مـــن أجلــه ومحلــه الأصـــلاب

قصدوا[1] إلى الرحمن وهـــو أميرهـــم ومقـــدّم لجمـــيعهم ونقـــاب

فاســتقبلتهم رسْــله أهـــلاً بكـــم وافـــاكم الإكـــرام والتِّرحـــاب

والريح تحثو المسك فــوق ثيــاهم من كل وجــه لا حــصى وتــراب

فإذا انتهوا ســجدوا تحيــة رهــم وتـــضرّعوا وتخـــشّعوا وأنـــابوا

فأجـــاهم بـــسلامه مـــن قولـــه طبتم وطبت لكــم فــلا ترتــابوا

نَحْبُ السجود مضى وأيــام البكــا وهنـــا ســـرور دائـــم وثـــواب

هذا الطعام وذا الشراب لتطعمـــوا ولتشربوا مــا إن عليــه حــساب

وهنـــا الملابـــس فالبـــسوا ألوانهـــا مـــا مـــسّها كَـــفٌ ولا أخـــشاب

وهنا الـسّماع لتـسمعوا ألحانــه إذ لم تعـــوا رفثـــاً ولا تغتـــابوا

فإذا انقضى هـــذا وذاك بـــدا لهـــم فتحيّـــرت لجمالـــه[2] الألبـــاب

وتمـــايلوا فرحـــاً وخـــرّوا سُـــجّدا وخضعن منـــهم أوجُـــهٌ ورقـــاب

لا كيـــف للمعـــنى الـــذي عبّرتـــه من حيث كيف كَـــذَب المرتـــاب

فـــسلوا حبائبـــهم وقـــالوا ربّنـــا أنت الحبيب وليس[3] عنك ذهـــاب

فطوى بسائط[4] ما اســتفاد قلـــوهم مـــن وجـــده فتنهنـــهوا وأنـــابوا

وأحـــال شـــوقهم إلى أتـــراهم إذ ينتظرن[5] مـــتى يكـــون إيـــاب

[1] أ، ب، م: وفدوا.

[2] أ، ب، م: بجماله.

[3] أ، ب: فليس.

[4] أ، ب: بساط.

[5] أ، ب: ينظرون.

فتـــــهيؤا للانــــصراف بإذنـــــه ما غاب عن أســـرارهم إذ غـــابوا
وتضاعفت أنـــوارهم وســـرورهم وجمـــالهم لنـــسائهم إذ آبـــوا
ونــصيبهن مـــن التجلـــي إذ بـــدا قد زارهن[1] هنـــاك منـــه شـــهاب
فيــــزورهن ونــــورهن مجــــدد وجمـــالهن وحـــسنهن عجـــاب[2]
هذي[3] منـــازلهم وهـــذا وصـــفهم وهناك خَطْبٌ فـــوق ذا وخطـــاب
فإذا وقفت على كلامـــي فاعتقـــد تـــصديقه لا يُغْـــوِك الكـــذاب
وعلى النبي المرتـــضى مـــن ربنـــا صلواتٌ وَصْلٍ ما أســـفّ عقـــاب

الآن أيها الأخ قد كشفت لك عما اطلعت عليه من علم[4] كيفية صُوَر أهـــل الجنة، وعلم الفرق بين ما هنالك وهنا من الطعام والشراب، والنكاح والجنى، ومـــن الله التوفيق إلى مناهج الفلاح، والاستقامة على سنن الصلاح

وأما صُوَر الأمم الداخلة[5] إلى النار فذكرها شنيع، ووصفها فظيع، وما ذكر الله من ذلك في القرآن، كاف عند ذوي الأذهان، فلا تسلك به مسالك أهل الرّمـــز والكُنَى، فيستحيل الخوف عنً قلبك ويذهب الرجا، ويعدل بك عـــن ســـبيل أهـــل الحلم والحجى، فلا تشعر إلا وأنت تطلب اللجا ولا لجا، وتفرّ لتدرك النجا ولا نجا.

وأما النِّعم الواصلة إلى أهل البرزخ العلوي، فكلٌ يصل إليـــه مـــن أملاكـــه وقطائعه في الجنة ما يقتضيه حاله وتبلغه إليه أعماله بِصُوَرٍ لطيفة، يحس بها من يـــصل إليها من ذلك.

[1] أ، م: زالهن.
[2] ق: مصححة إلى فيروهن.
[3] أ، ب: هذا.
[4] لم يرد لفظ "علم" في ق.
[5] ب: الداخلة بها إلى...

وأما العذاب الواصل إلى أهل البرزخ السفلي، فكلٌ يَصلُ إليـه مـن بـاب جزئه المقسوم في النار ما يقتضيه حاله، وتوجبه له أعماله، بصُوَرٍ[١] سخيفة يحسّ بها من يصل إليها من ذلك، كما قال تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[٢].

وأما الذين يقولون إن الإيمان بظاهر القرآن، وما وصف الله من نعم[٣] الجنـان وأنكال النيران، حال للمتأخرين الذين لم تبلغ بهم أعمالهم إلى حد الكمـال وصَـفاء النفس.. وإن الإيمان بكلام الفلاسفة من أهل الهند[٤]، والمغضوب عليهم من اليهـود، والضّالين من النصارى، والغالين من المجوس، المكذِّبين لرسـول الله صـلى الله عليـه وسلم، المتأوِّلين على أهويتهم كتاب الله (عز وجل)[٥]، حال للمتقدمين[٦] الذين صَـفَت عقولهم وهذّبت نفوسهم..

فأولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النـاس قـالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾[٧].

وأما الذين قالوا إن أهل النار يُعَذّبون على قدر أعمالهم، ثم يتخلصون منـها، فالأمر محمول على غير[٨] أهل الشرك والجحود، والتكذيب باليوم الموعود، المعتقـدين بأن النفس إلى الأجساد لا تعود، الملحدين بالجنة ذات النعيم والنـار ذات الوقـود، فإنهم المتعرضون[٩] لسخط الجبار، لا يخرجون أبداً من النار.

---

[١] أ: بصورة.
[٢] [المؤمنون: ٢٣/ ١٠٠].
[٣] أ، ب: نعيم.
[٤] م: أهل الهذيان.
[٥] ما بين القوسين لم يرد في ق.
[٦] أ، ب: المتقدمين.
[٧] [البقرة: ٢/ ١٣].
[٨] كلمة "غير" سقطت من أ، ق.
[٩] أ: المعترضون.

وأما (أهل المعاصي)[١] من أهل التوحيد، المصدِّقون بالوعد والوعيد، فهم المستثنون بقوله عز وجل: ﴿إلا ما شاء ربك، إن ربك فعّال لما يريد ﴾[٢].

وأما الذين قالوا إن بنية هذا العالم لا تتغير، وإن النفوس الصالحة لها محل بقاء وصلاح في عليين، وإن النفوس الخاطئة في سجِّين، معذبة في أجناس[٣] الحيوان، فهم أهل التناسخ من الدهرية، وقد قدمت القولَ فيهم من أن النفس الكلية، ترفع إلى صورة[٤] ملكوتية من صفاء، وتوضع[٥] إلى صورة بهيمية من تكدر وجفاء.

وأما الذين قالوا إنها معذبة بالأثير والزمهرير، والأثير عندهم الإسطقسات[٦] الأربعة، وهو عنصر النار ما بين الهواء وفلك القمر، وهذا غير صحيح، بالشاهد والدليل عليه غير فصيح، وأما الزمهرير عندهم فهو الهواء البارد، ومحلّه عندهم تحت الأرض، ومرادهم بذلك تأويل النار والزمهرير، المذكورين في الكتاب المنير، والصحيح في التنعيم والتعذيب الواصل إلى أهل البرزخ ما ذكرت لك آنفاً.

وأما الذين قالوا إن الباري سبحانه علّة وجود الأشياء، وإنه يحل هذه الأجساد، وهو المصور بذاته، وهم الحلولية الذَين يقولون بالشّواهد، وقد يسجدون لما يتناهى في الجمال والحسن من الصور.

والله يتعالى[٧] عن ذلك، بل هو عز وجل علّة وجود هذه الأشياء، ومُسَبِّبَها ومُدَبِّرها، ومُقَدِّرها ومُصَوِّرها بقدرته المصرفة لكل مَقدور، وحكمته المتقنة لكل موجود من حيث هو جل جلاله، وحيثيته المتعلقة بهويته، مجهولة عند العارفين من العلماء به.

---

[١] أ: العارفون بدلا عن: أهل المعاصي.

[٢] [هود: ١١/ ١٠٧].

[٣] أ، ق: إحساس.

[٤] ب: صور، وهي كذلك في المرة التالية.

[٥] أ، ب: تصنع.

[٦] الإسطقس: الأصل والعنصر وهو الماء والتراب والهواء والنار.

[٧] ب: والله تعالى منــزه عن ذلك.

فالعالم محدث من علمه، داخل في عمله[1]، متصرف بأمره، تبارك أن يحل في الأشياء، أو تحل فيه الأشياء: ﴿ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير﴾[2].

وأما الذين قالوا إن المُصَوِّر هو العقل الفعال، وإنه فيض من النور الإلهي، وإنه يعود إلى الحضرة الربوبية، فهم الفلاسفة الذين قدّمنا ذكرهم، يقولون إن العقل الكلي هو أصل الموجودات، وإنه هو المشار[3] إليه بالأسماء والصفات، وإن الأشياء منه بدأت وإليه تعود، ويعتقدون ربوبيته، ولهم في ذلك من الأقاويل الكفرية ما بالله منه نعوذ.

رسالة في إثبات الشيخ وصفاته التي استحق بها ذلك:

الحمد لله العاطف بآلائه على أوليائه، الجواد باصطفائه على أصفيائه[4]، أحمده[5] حمداً بدايته منه ونهايته إليه، وصلواته على خير خلقه، ووابل برقه، وشمس غربه وشرقه، محمد سيدنا وآله وسلامه.

أما بعد: فإنه لما أكثر[6] أصحابنا من الرد والخرق، على من ادّعى موهبة من مواهب الحق، بغير واسطة من وسائط الخلق، وحظروا من عطاء الله ما لم يحظر، وحصروا من علومه ما لم يحصر، وكثرت مطالبتهم بإثبات الشيخ، أو النقض[7] لما عقد الله من حيث لا يشعرون، ولا بد من مطالبتهم ببعض ما طالبوا[8]، ومجاذبتهم فيما عليه جاذبوا، والله الموفق.

---

[1] أ، ب، م: علمه.

[2] [الشورى: ٤٢/ ١١].

[3] أ، ب: وأنه المشار.

[4] أ: باصطفائه لأصفيائه.

[5] "أحمده" في ق فقط.

[6] أ: أكثر فيه، ق: أكثر فئة.

[7] أ، م: والنقض.

[8] ق، م: ما طلبوا.

فمن ذلك نقول:لم سُمِّيَ[1] الشيخ شيخاً وبأي وصف يستحق ذلك، ويبلــغ إليه؟ وهل هو وصف حادث أم قديم؟ وممَّ اشتقاق وصفه هذا؟ ومتى يحتــاج المريــد إلى الشيخ؟ ومتى يستغني عنه؟ ولا بُدَّ من جوابنا على ذلك لخاصة إخواننــا إن شــاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق:

إن هذا الوصف ينقسم على أربعة أقسام: شيخ سِن، وشيخ مــال، وشــيخ معرفة، وشيخ قبيلة، فإذا كان ذلك كذلك، فأيّ وصف من هــذه الأوصــاف هــو الأصل، ليصح لنا أن نحمل ما سواه عليه، ثم نقول وبالله التوفيق:

إن أصل الشيوخة[2] رتبة من مراتب الأسنان[3]، وطــور مــن أطــوار عمــر الإنسان، ومنه يصح الاشتقاق لما سواه، وعليه يحمل[4] ما ضاهاه، لأن الله عز وجــل خلق آدم على حد كمال الصورة الظاهرة، والسن المعتدلة، فــصار جــسده شــيخاً للأجساد إلى يوم التناد[5]، ثم نفخ فيه من روحه بعد كمال جسده، وتــسوية أركانــه، وتعديل صورته.

فالسابق منه بحكم الوجود هي الصورة، والثاني هي النفخة للروح، والثالــث هو تعليم الروح.

فبالجسد صح الوجود، وبالروح صحت الحياة، وبالتعليم صح العلم.

فحين بلّغه الله درجة الكمال أقعده على كرسي الفتيا، وأقعد الملائكة علــى بساط الاستفتاء، ثم أبدى من عجائب مصنوعاته ما جهلوه، فاستنبأهم عن أسمــائهم فلم ينبئوه، فقال عز وجل: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمــائهم قــال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمــون﴾[6]،

---

[1] ب: يسمى.

[2] أ: الشيوخية، ق: الشيخوخة.

[3] الأسنان مفردها سن وهي مقدار العمر، أي مراتب الأعمار. وفي أ، ب، م: الإنسان وهو خطأ في النقل.

[4] ب: نحمل.

[5] أ، م: المعاد.

[6] [البقرة: ٢/ ٣٣].

فكان للملائكة حينئذ شيخاً لحاجتهم إلى تعليمه، ووجب عليهم في حكم الأدب المسارعة إلى تعظيمه.

فلما عَزُبَ ذلك عن أفهامهم، ولم يَجْرِ في أوهامهم، أمَرَهم الله بالسجود له على حكم الوضع لأنفسهم عن رتبته، والاستغفار لما اعترضوا من أمر خلافته.

فمن ثم جَرَت عين التشييخ، والاستغفار والتعظيم للمشايخ من أهل العلم والمعرفة، والتواضع لهم، وتقبيل أقدامهم، والأرض بين أيديهم، على نيّة سقوط الأشباح، والإشارة إلى سن يلحق المتعلق بالأرواح إلى يوم القيامة، فلا نجد آدم كان شيخاً في العلم إلا من بعد كونه شيخاً في الصورة.

فهذا وجه الاستدلال بالوجهين والصورتين.

ولما ذكر الله عز وجل هذا الوصف في محكم كتابه، من بين سائر الأوصاف من قوله: ﴿إن له أباً شيخاً كبيرا﴾[1]، ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾[2]، ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾[3] وجب أن يكون أصلاً يحمل عليه ما سواه.

ثم نقول بعد ذلك ما المضاهاة التي أوجبت للثاني أن يُحمل على الأوّل؟

فنقول إن الجنين يخرج من بطن أمه طفلاً، فيحتاج إلى التغذية، ثم يصير غلاماً فيحتاج إلى التعليم، ثم يصير شاباً فيحتاج إلى التزويج، ثم يصير كهلاً فيحتاج إلى التعقل والتوبة لقوله عز وجل: ﴿حتى إذا بلغ أشُدّه وبلغ أربعين سنة ﴾[4] الآية، وقال عليه السلام: "من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شرِّه فالنار أولى به ".ثم يصير شيخاً متناهي الطبع، ساكن المواد، مستحكم العقل، كثير التجارب، كامل الوقار، مستجمع الرأي، يحتاج إليه كل من هو دونه من أهل مراتب الأسنان.

---

[1] [يوسف: ١٢/ ٧٨].

[2] [هود: ١١/ ٧٢].

[3] [غافر: ٤٠/ ٦٧].

[4] [الأحقاف: ٤٦/ ١٥].

فمن هنالك يعود على الطفل من ولده بالتغذية، وعلى الغلام بالتعليم، وعلى الشاب بالتزويج، وعلى الكهل بالتثويب والتعقيل، وعلى العامة ممن دونه بحسن الرأي والمشورة وضرب الأمثال، وحكايات التجارب، ومصارع الأمور.

ثم نقول في ما يضاهي هذه الأوصاف الجسدانية الأصولية، من الأوصاف الروحانية الفروعية، فنقول وبالله التوفيق:

إنه إذا خرج العبد من سلطان طبعه، وظُلَم جهالته إلى شرف الارتقاء، والدخول في عالم التُّقى[١]، أشبه خروج الجنين من بطن أمه طفلاً يحتاج إلى تغذية روحانية لطيفة، يستطيع قبولها، ويستلذ دخولها.

فيختار له غاذياً يغذوه، شفيقاً عليه رفيقاً به، لا يكلِّفه ما لا يطيق، فيحرج صدره ويضيق، فيأمره بأمر الله، وينهاه عن نهيه، ويفتح له باب[٢] علم التفكر في خلق السماوات والأرض، والطول والعرض، والرفع والخفض، في خلوة لا يوحشه فيها إيحاشاً يقبضه[٣]، ولا يؤنسه إيناساً يبسطه.

فإذا علم أنه قد تصوّرت تلك الأشياء في ذاته، وارتسمت تلك الصفات في صفاته، رفعه إلى السن الثانية التي هي الغلامية، فغيّبه عن المحسوس والملموس في غرائب علم النفوس، وأطلعه على الفرق بين النفس الإنسانية المطمئنة، والنفس الشيطانية المكتئبة، ونشر له من أسرار عيوبها[٤] وأشرار ضروبها، ما يحمله على رفضها، ويدعوه إلى بغضها، حتى يرى قطعه[٥] إياها بالكلية، وعزوفه عنها بالتخلية.

ثم يرفعه إلى السن الثالثة التي هي الشباب، فيأمره بتطليق تلك النفس اللئيمة، ويزوجه بتلك النفس الطيبة الكريمة، حتى يراه بها صبّا، وعليها حريصاً،

---

[١] ب: البقا.

[٢] كلمة "باب" سقطت من أ، ب.

[٣] أ، ب، م: فيقبضه.

[٤] أ، ب: غيوبها.

[٥] أ، ب: قطيعة.

يكاد أن لا يطلق عليها اسم الفرق، ولا صفة التأنيث لدوام الموافقة[١]، وحسن الملاءمة.

ثم يرفعه إلى السن الرابعة التي هي الكهولية، فيفيض بها عليه إفاضة عقلية، ويبدي إليه أسرار الإلهية[٢]، ويوزعه شكر ما أنعم الله عليه، وصرف ما فصله[٣] إليه، ويفتح إلى قلبه عين التوحيد، ويكشف له عن أسرار التجريد، ويقطع عنه قلائد التقليد.

ثم يرفعه إلى السن الخامسة الفروعية[٤]، الموسومة بمقام الشيوخية، فيقعده على كرسي الفتيا، ويبلغه إلى الدرجة العليا.

فبهذه الدرجة يصلح أن يُسمَّى شيخاً، وبهذه الدرجة يتضاهى الوصفان ويتشابه الحالان، وبالله التوفيق.

فهذه أوصاف المضاهاة التي أوجبت حمل الثاني على الأول.

وعلى ذلك يحمل شيخ المال وشيخ القبيلة، وإن كان على[٥] ذلك لا تعرفه العرب بل هو من الكلام المُوَلَّد والمقيس عليه، وبالله التوفيق.

وأما الجواب عن قولنا متى يحتاج المريد إلى الشيخ، ومتى يستغني عنه؟.

وذلك أنه متى كان المريد جاهلاً بكتاب الله ومعانيه، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبانيه، احتاج في ذلك إلى شيخ يفقهه في الدين، ويدخله في جملة السالكين، ثم يرفعه بعد ذلك إلى ما ذكرنا، ويبلغه إلى ما إليه أشرنا، إتماماً لما سبق له من فضل الله وعنايته، لا لما[٦] صح له من حب الشيخ وولايته، إذ لا قدرة لمخلوق أن يُسعد شقياً شقي في بطن أمه، ولا أن يُشقي سعيداً سعد في بطن أمه، وقد سبق

---

[١] أ: المراقبة.

[٢] أ، ب: إلاهية.

[٣] أ: ما فضله، ب: ما أوصله.

[٤] أ، ب، م: التي هي الفروعية.

[٥] سقطت لفظة "على" من أ وفي ب: مع.

[٦] أ: مما.

من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب ما لم يزحزحه عن مراد الله فيه، وسبق من بغضه لوحشي[1] ما لم يزحزحه عن مراد الله فيه.

وشاهد حبّه لعمه وحرصه على إيمانه قوله عز وجل: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[2].

وأما الجواب عن قولنا: متى يستغني المريد عن الشيخ؟.

فإنه إذا كان المريد مراداً من جهة الحق، عارفاً بكتاب الله عاملاً به، متبعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً به، أثمر فيه ذاك[3] الاقتداء، مع ما سبق له من الإرادة والهدى، حكمة يرفعه الله بها إلى مقام المقربين، ويغنيه بها عن الخلق أجمعين.

ألا تسمع إلى قوله تعالى[4] على لسان نبيه[5]: "لن يتقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً".

فهل هذا الخبر موقوف على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، أم على الأخذ بأيدي المخلوقين، ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾[6].

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو باب الدور السابع، ومن فلكه بزغ بازغ الضوء الساطع، وعلى يده فتحت خزائن الأسرار، ومن نوره تفرعت ثواقب الأنوار.

---

[1] أ: .لبغضه من وحشي.

[2] [القصص: ٢٨/ ٥٦].

[3] لفظة "ذاك" سقطت من أ.

[4] ق: عز وجل.

[5] ق: نبيه صلى الله عليه وسلم.

[6] [الإسراء: ١٧/ ٢٠].

فمن قصد الله من غير بابه، وتقرّب إليه بغير كتابه، واتِّباع[1] سُنّة سيد أحبابه، صدم رأسه حجاب الدور، وقطع نفسه سمو الطور، فطار مخ دماغه، وهلك دون بلاغه، وانقبض شعاع عقله، وسقط على مزبلة جهله، بدليل قاطع قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّموك فيما شجر بينهم﴾[2] الآية.

وقد صرف الله الوجوه إلى وجهه، وحضّ الخلائق على اتباعه، فلا يسلم لأحد ينتحل حبه، ويدّعي مواصلته وقربه، حتى يكون له متَّبِعاً، وبسُنَّته عاملاً مقتديا.

قال الله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[3]، الآية. فحينئذ لا سبيل إلى أن تحب الله، أو يحبّك الله إلا باتباعه، والدخول في جملة أشياعه، فمن تابعه فكأنما[4] بايعه، ومن واظب على سنته فكأنما فاز برؤيته.

وكل مقام وصل إليه شيخ من مشايخ أهل الطريق[5]، من التحقيق والتدقيق، والهداية والتوفيق، فمجراه من عين حقيقة الاتِّباع، والتَّبتل إلى الله عز وجل والانقطاع، فاعرفوا، ثم على ذلك قفوا[6]، و ﴿لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾[7].

فصل

وأما تعلقهم بإثبات اليد والخرقة، وإضافتها إلى مركز الصِّدّيق وإمام الطريق، أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإنه لا يصح[8] لأحد أن يدعو إلى الله عز وجل، ولا أن يحكم لله إلا بذلك..

---

[1] ب، م: ولم يتبع.

[2] [النساء: ٤/ ٦٥].

[3] [آل عمران: ٣/ ٣١].

[4] أ، م: كأنما.

[5] أ، ب: الطريقة.

[6] أ، ب: فقفوا.

[7] [المائدة: ٥/ ٧٧].

[8] أ، م: لا يصلح.

فالردّ عليهم من قوله عز وجل: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[1].

فمن تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلية، واقتدى بأفعاله الفرضية والسنية، صح له أن يدعو إلى الله عز وجل لقوله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرؤاً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها إلى من يسمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع ".

فكل مبلغ عن الله كلامه، وعن نبيه صلى الله عليه وسلم سُنّته وأحكامه، فهو داع على الحقيقة لمن بلغه.

وأما سرُّ اليد القابضة على اليد، فإنما هي عقد ألفة، وإثبات نسبة بين الإخوان، الذين أسسوا البنيان، على تقوى من الله ورضوان، وقد شرحنا الأصل في علم التحكيم[2] في غير هذا الكتاب، فلا يحتج على الله عز وجل يوم القيامة بيد ملموسة، ولا بخرقة ملبوسة، ولا ينجيان أحداً من عذاب الله عز وجل ما لم يصح العمل الصالح، المقتدى فيه بالكتاب الواضح، والرسول الناصح.

فأين القائلون ذلك عن قول رسول الله صلى الله علبه وسلم لأهل بيته، قاطعاً لهم عن رفاهية الاتكال، حاملاً لهم على الجد والاجتهاد في الأعمال:
"يا عباس بن عبد المطلب، يا علي بن أبي طالب، يا فاطمة بنت محمد، إني لا أملك لكم من الله شيئا".

وقد يستحق الخرقة غير لابسها، ويأخذ باليد غير لامسها، لأن المؤتلف قد يكون مختلفاً، والمختلف قد يكون مؤتلفاً، لقوله عليه الصلاة والسلام: "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف".

وقد حكي عن بعض المشايخ أنه أجاب على قائل اعترض عليه في بسط يده لكل من أتاه، فقال: "إنا نصحب أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار". يعني من عمل بعملنا فله الجنة، ومن خالفنا فله النار.

[1] [يوسف: ١٢/ ١٠٨].
[2] ق: التحكم.

وفي معنى قوله تأويل آخر، كأنه يريد: من تابعنا كنا حجة له، ومن خالفنا كنا حجة عليه.

فإذا كان الله عز وجل قطع نسب الولادة بالمخالفة، فكيف لا يقطع بها نسب الصحبة[1]، لقوله عز وجل: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح﴾[2].

وقال الله عز وجل: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبي والذين آمنوا﴾[3]، فالولاية لمن تابع وسلك، لا لمن بايع وترك.

فصل

وقد تكلم قَوْمٌ في أكل طعام الظالم وتناول درهمه..

والرد عليهم في ذلك[4] بما يروى[5] عن الصديق وإمام الطريق، أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه جيء بلبن فأفطر عليه، ثم سأل عنه، فقال الذي جاء به:

إنه كان لي معارف من العرب أمدحهم في زمان الجاهلية، فمررت بهم فدفعوا إليّ هذا اللبن.

فقاءه رضي الله عنه حتى امتزج آخره بالدم.

وعلى ذلك يُحمل حكم الدينار والدرهم.

ولم يُسَمَّ الإمام إماماً إلا ليُقتدى به في حركاته كلها، وهذه حركة من حركات إمامهم، فإن خالفوه فيها فقد خالفوه في سواها.

ولا بد أن نُؤَصِّل أصلاً من الحكمة التي ألهم الله إليها، فنقول:

---

[1] ب: لا ينقطع بها نسب الصحبة بغير الموافقة.

[2] [هود: ١١/ ٤٦].

[3] [آل عمران: ٣/ ٦٨].

[4] "في ذلك" سقطت من أ.

[5] أ، ب، م: كما روي.

إن الله عز وجل نهى آدم عن أكل الشجرة، فتناولتها حواء، فأكل من يـــدها ناسياً لا متعمداً، فصُدمَ بالعقوبة الكبرى، وأُهْبطَ من الجنة الزهراء، وسُجنَ في هـــذه الغبراء، فنحن مترددونَ في تيه تلك الأكلة إلى يوم القيامة.

ولا جرَم أن من كان أَكْلُ الحرام سبب هبوطه، فلا يكون أَكْلُ الحرام ســـبب صعوده، وإن من سُجن على أكل ما نُهيَ عنه، فلا يُطلق إلا بالتوبة منـــه، والـــصّدقة قربان هذه الأمة، فمن صح إيمانه قبل قَربانه: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[1].

فالفقير يد الله المتقبِّلة وهديَّته الواصلة، ويد الله أكرم من أن تتقبل[2] خبيثاً أو تلمس نجساً، وهديته أجَلُّ وأشرف من أن تصل إلى باب من ظلم أو أســـرف، كمـــا قال بعض المشايخ: "إذا رأيت الفقير على باب الأمير، فبئس الفقير وبـــئس الأمـــير، وإذا رأيت الأمير على باب الفقير، فنعم الأمير ونعم الفقير".

ومن خرج إلى الله تاركاً للحلال، زاهداً في الأهل والمال، فلا يحسن بـــه أن يرجع فيما ترك، فكيف يحسن به أن يرجع فيما أهان وأهلك.

أرأيت من يزهد باللَّبن ثم يرغب بالدم.

وما كان لفقير أن يسد فاقة شريفة بقطعة من جيفة، ولا أن يستر جثة نحيفـــة بخرقة سخيفة، ولا أن يصوم للرحمن ويفطر على طعام الشيطان.

قال محمد بن عبد الجبار النّفّري[3]: "إذا أكلت طعام قوم رحـــت بقلـــوبهم، وإذا رحت بقلوبهم رحت بأعمالهم".

وقيل: الحلال بذر ينبت بالحلال من قول وعمل، والحرام بذر ينبت بـــالحرام من قول وعمل.

---

[1] [المائدة: ٥/ ٢٧].

[2] أ، ب: تقبل.

[3] محمد عبد الجبار النفري (ت- ٣٥٤هـ) صاحب كتاب المواقف والمخاطبات، وهو من أعـــلام الـــصوفية، وبلده الكوفة بالعراق ونص العبارة: "إن غذوت بمآكل قوم غذوت بقلوبهم، وإذا غذوت بقلـــوبهم غـــذوت بأعمالهم، وإذا غذوت بأعمالهم غذوت بمنقلبهم" [الموقف ٧٠- موقف القوة ص١٢٧].

ولا حجة لمن قال: إن إثم المظلمة يختص بالظالم دون غيره. لأن حــواء هــي المتناولة والمطعمة لآدم من يدها، فاشتركا في الإثم، فكانــت مــصيبة[1] آدم في ذلــك أعظم، ومحنته أتم، لمعرفته بالود، ونسيانه للعهد.

وعلى ذلك يتأول قبض[2] العارف، ووقوفه في تلك المواقف.

وقد جعل الله لعباده عن ذلك غِنَىً ولو بالشجر الأخضر، قــال صــلى الله عليه وسلم:

"طلب الحلال فريضة على كل مسلم".

فإذا كان طلب الحلال فريضة على كل مسلم، فترك الحرام فريــضة علــى كل مسلم، وفي ذلك من الأخبار ما لا يتغطى عن ذوي الأبصار.

وأما الاضطرار الذي يتعين به وجه الإباحة، فغير ممكن في هــذه الــساحة، لكثرة الزراع والعشائر ووجوه الحلال، ولم تجعل مــدة الاضــطرار ثلاثــة أيــام إلا ليطلب فيها الحلال، فإذا أعوز فالميتة دون مال المسلم.

وأما ما يحتجون به مما يذكر عن الفقيه محمد بن الحسين البجلــي[3] والفقيــه سفيان رحمة الله عليهما، ولتناولهما لذلك، فلا حجة لهم إذ نقــول إنــه قــد يمكــن بلوغهم إلى رتبة قلب الأعيان، مع شدّة الاضطرار إلى حضور المجلس الــذي يعــرض فيه ذلك.

فمن اقتدى بهم ممن لم يبلغ عزّ رتبتهم، هلك هلاكاً بينــاً، ورجــع رجوعــاً هيناً، لقصوره عن بلوغ ما أطلعهم الله عليه، وأوصلهم من الكرامة إليه.

---

[1] ب، م: معصية.

[2] ب: قول، م: قبول.

[3] أبو عبد الله محمد بن حسين البجلي-صاحب عواجة بوادي سهام بتهامة- كان فقيها كبير القــدر شــهير الذكر صاحب كرامات وعبادات وزهادات، وكان ذا مكارم أخلاق وشرف نفس وعلو همة، وكــان كــثير الاختلاط بالفقيه سفيان الأبيني.. وكان مع جودة علمه إماما في الحقيقة.. توفي رحمــه الله ســنة ٦٢١هـــ [السلوك ج٢ ص٣٦٣-٣٦٤].

فلا نسلم ذلك لأحد لم يبلغ إلى حال الكشف الجلي، الـــذي هـــو حـــال الاطلاع بالبرهان، على دقائق كيد الشيطان، ويتعين له عين التبديل[1] مـــن أي جهـــة تنبع[2].

هذا حظ العبارة، ونهاية الإشارة في هذا المعنى.

ومثل المقتدي بذلك ممن قَصُرَ عن رتبته، كـــرجلين صـــعدا إلى ذروة جبـــل شاهق، وقد أوتي أحدهما حالاً يطير به في الهواء، ولم يؤتَ الآخر، فلما ســـبح الطيـــار من رأس الجبل اتبعه الآخر، إما مدعياً أو مقلدا، فيقع هاوياً في النار، قـــاتلاً لنفـــسه بحكم الاختيار.

فاستيقظوا عما[3] أغمضتم فيه، واستقيموا عما استندتم[4] إليه:

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[5].

فاعزفوا[6] النفوس عن الحظ المنحوس، وارفعوا الرؤوس عن المقام المنكـــوس، واقتدوا بالأخيار من السادة الأبرار، ﴿ولا تركنـــوا إلى الـــذين ظلمـــوا فتمـــسّكم النار﴾[7].

(الكامل)

تَـــرْكُ الحـــلال علامـــةَ الفقـــرِ	وســـقوطه في الـــسِّرِّ والجهـــرِ
وعلى ذوي الأســـباب[8] مفتـــرض	تَـــرْكُ الحـــرام بواجـــب الأمـــر
فبـــذا علـــيٌ دان بـــل عُمَـــر	وإمـــام خـــرقتكم أبـــو بكـــر

---

[1] أ: عند الشدائد.

[2] أ: تتبع.

[3] أ، م: مما.

[4] ب: أسندتم.

[5] [الحج: ٢٢/ ٤٦].

[6] أ، ب: فاعتنقوا.

[7] [هود: ١١/ ١١٣].

[8] "الأسباب" في م: الألباب.

والفقـــــر ســـــر الله يودعـــــه مـــن لا يبـــوح بـــذلك الـــسر
وبـــذاك قـــال الطهـــر ســـيدنا الفقر مـــن بـــين الـــورى فخـــري
فـــإذا الفقـــير أهـــان خرقتـــه بـــسؤال أهـــل الظلـــم والقهـــر
أو نـــازع الأجنـــاد كأســـهم فمـــا لأهـــل الفقـــر مـــن قـــدر
ســـيّان ذو ذلـــق ســـجيّته أَكـــل الحـــرام وشـــارب الخمـــر
وكـــذلك الـــدينار لامـــسه ممـــن يجـــور كلامـــس الجمـــر
إخـــوانكم في الـــدِّين[1] أدمعهـــم مـــن أخْـــذِكَم[2] أمـــوالَهم تجـــري[3]
فكيف يـــا إخـــوان حـــلّ لكـــم أن تـــأكلوه بأيّمـــا عـــذر
إن كان عـــن جـــوع فـــواجبكم أن تنـــزلوه بـــصالح الـــبر
مـــا جـــاع مـــنكم قـــط مفتقـــر فـــوق الـــثلاث ولا إلى العـــصر
أو إن جـــرى هـــذا فـــصبركم دون الحـــرام وميتـــة القفـــر
أو كـــان عـــن عِـــرْيٍ فمَزبلـــة فيهـــا رقـــاع الـــسود والغـــبر
والقـــوت بـــذر القلـــب طيِّبـــهُ أو غثّـــه[4]، والـــزرع للبـــذر
قلـــب يحـــب الله مـــا حـــسنٌ أن يغتـــذي بعـــصارة العـــصر[5]
فاطلـــب حـــلال الـــبر مجتهـــداً إن لم تجـــد فاطلبـــه في البحـــر
واهزم جيـــوش الـــنفس منتـــصراً علـــى هـــواك بعـــسكر الـــصبر
مـــا حجـــة التبـــديل مبطلـــة مـــا جـــاء في الأعـــراف والحجـــر

---

[1] م: في الله.

[2] ق: أخذهم.

[3] هذا البيت والذي قبله سقطا من أ.

[4] أ: أوعية.

[5] عصارة العصرِ: الخمر.

إن صح هذا عن أخ[1] ثقة	فالاقتداء به من الكفر
حال الخصوص لمن يخص به	ما للعموم بذاك من عذر
من ليس يدري كيف لقمته	فهلاكه من حيث لا يدري

واعلموا أنه لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عزّ الفقر، وعزّ ولي يصبر عليه، حض على التحرُّف فقال: "إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف"[2] خوفاً على من ترك[3] الحلال جهلاً، أن يقع في الحرام جهلاً.

روي عن عيسى عليه السلام أنه وجد حَطّاباً يتصبّب عرقاً، لحزمة[4] حطب حملها[5] على ظهره، فقال له عيسى: "لو رفّهت على نفسك" أو كلاماً يشبه هذا.

فوضع الحزمة[6] الحطب وأخذ بعضد عيسى، وقال "أخلص يا عيسى فإن لله عباداً لو قالوا لهذا الحطب يعود ذهباً لعاد ذهبا، فإذا الحطب ذهباً يتلألأ، ثم راجعه في كلام من ذلك.

ثم قال له: أخلص يا عيسى فإن لله عباداً يحبون أن يأكلوا من كَدِّ أيديهم، ولو قالوا لهذا الذهب يعود حطباً لعاد حطباً، فعاد حطبا".

وقال الله عز وجل لموسى عليه السلام: "كل من كَدِّ يمينك، ولا تأكل بدينك".

فصل

إن في الدنيا ثلاثة أشكال: مساجد ومجالس ورجال:

---

[1] ق: أخي.

[2] ق: المتحرف.

[3] ب: يترك.

[4] أ، ب: بحجزة.

[5] أ، م: يحملها.

[6] أ، ب: الحجزة.

فأفضل المساجد مسجد الله، وأفضل المجالس مجلس الله، وأفضل الرجال رجال الله، فأولئك نعتهم[1] في كتاب الله: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[2].

إخوان بنسب الله، وأرحام برحمة الله، وأحباب بمحبة الله، أعوان على أمر الله، جمعتهم الحاجة إلى الله، وأفزعتهم الرهبة من الله، ودعتهم الرغبة فيما عند الله، فاحتلقوا على مائدة ذكر الله، يتساءلون عن الله، ويتذاكرون نعم الله، ويتواصون بحق الله، وبالصبر على حكم الله.

لا يلغون ولا يلهون، ولا يزهون ولا يسهون، ولا يتفاخرون[3] بالأنساب ولا يتكاثرون بالأحساب، ولا يتنابزون بالألقاب، ولا يجهرون[4] من حضر، ولا يغتابون من غاب.

يُقَرِّبون القصاة، ويستغفرون للعصاة، ويُلَيِّنون القساة، ويُذَكِّرون النساة.

أوصافهم طاهرة وأنوارهم ظاهرة[5]، وألسنتهم ذاكرة، وقلوبهم حاضرة، وأعينهم بالدموع ماطرة، يميتون الدنيا ويحيون الآخرة.

- إذا سمعوا وعوا.
- وإذا افترقوا رعوا.
- إذا أمروا سعوا.
- وإذا فتنوا دعوا[6].

أولئك رجال الله، وجلساء الله.

---

[1] ب، م: نعتهم الله في كتابه.

[2] [النور: ٢٤/ ٣٧].

[3] أ: يتغامزون.

[4] يجهرونه: يغالبونه.

[5] في أصل ق: باهرة.

[6] أ، ب: بكوا.

أحاط بهم سرادق هيبة الله، وحفَّت بهم[1] ملائكة الله، واكتنفتهم لطائف الله، وأمطرتهم سحائب الله بربيع[2] نعمة الله، فنفعهم الله، وانتفع بهم خلق الله.

أولئك لا يشقى بهم جليسهم، ولا تطمخ[3] بهم نفوسهم، ولا يخجل بهم رئيسهم، دارت عليهم بحب الله كؤوسهم، وتجلت لهم بمعرفة الله عروسهم، وأينعت بثمار الرؤية غروسهم، وسطعت في عالم الملكوت شموسهم، وتعطل من الدينار والدرهم كيسهم.

فهم الفقراء الأغنياء، وهم الأولياء الأصفياء، وهم الميتون الأحياء، لا يتعلقون بالأشياء، ولا تتعلق بهم الأشياء، أرواحهم في الآخرة، وأجسامهم في الدنيا، وجليسهم[4] المولى على البساط[5] الأعلى، وبذلك[6] يفتخر المفتخر، ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[7].

أولئك الجماعة الذين نعَتَهم سيد الشفاعة، بقوله صلى الله عليه وسلم: "الجماعة رحمة، والفرقة عذاب".

فإذا كان في الجماعة من يغتاب، أو يناضل بالأنساب[8]، أو من ينطق بغير الصواب، أو من يحكم على الأصحاب بغير السُّنَّة والكتاب، ليستلب[9] الأثواب، أو

---

[1] أ، ب: وحفتهم.

[2] ب: بريع.

[3] طمخ: تكبر، وفي ب تطمح.

[4] ب: وأجلسهم.

[5] ق: بساطه.

[6] أ: ولذلك.

[7] [القمر: ٥٤/ ٥٥].

[8] ق: بالأسباب، أ، ب: بالسباب.

[9] أ: ليستكثر من، م: ليستلب منهم.

يتبغّض إلى الأحباب، كانت الفرقة رحمة والجماعة عذاب، إلا أن يتفتى[١] المشار إليه بما لا يغضب[٢] عليه، فما في ذلك من بأس، فهذا مذهب الأكياس.

فإن طمعتم أيها الإخوان، في بلوغ درجة أولئك الفتيان، فتحلَّوا بحليتهم[٣]، واتَّصفوا بصفتهم، واسألوا الله ببركتهم، أن يبلغكم إلى رتبتهم، ومجاورتهم في حضرتهم.

وإن رضيتم بما أنتم لديه[٤] راتعون، وله تابعون، وعليه منازعون، وإلى طاعته مسارعون، ولِحَظِّكم فيما سواه بائعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. (البسيط)

من جالس الملك القدوس وهو يرى	بأنه يسمع الأقوال ثم يرى
وهَمَّ بعد يرى هذا بمعصية	فقد أحب[٥] على أن يركب الخطرا
فإن تكلّمها أو كاد يفعلها	فقد تحمّل وزراً[٦] يثقل الوزرا
يا ناطقاً وإله الخلق حاضره	لا تؤذ من غاب إكراماً لمن حضرا
لا تتَّبع عورة للمسلمين وصُنْ	واستر فربُّك ستَّار لمن سترا
واحفظ لسانك عن مقت وعن رفَثٍ	هل يمقت الحَول من لا يسلم العورا
ولا تَنُمَّ ولا تكذب فذلك لا	يختص قط بنادي مجلس الفقرا
ألست تعلم أن الله يعلم مِن	قبيح ذنبك[٧] ما يخزيك لو ظهرا
واحذر ملازمة الإخوان عن طمع	إلا بما نَدَبَ الرحمن أو أمرا

---

[١] يتفتأ من فتأ. يقال فتأ النار أي أطفأها، وفي أ، م: يتقى.

[٢] ق: بما لا يصعب عليه.

[٣] أ: بحليهم.

[٤] أ: له، ب: به.

[٥] أ: أجدَّ.

[٦] أ: إثما.

[٧] أ، ب: إثمك.

فإن جرى من أخٍ أو صاحب خطأ واستغفر الله فليشكر بما قدرا
وهو المفوض مهما شاء جاء به إلى الجماعة مما[1] قَلَّ أو كَثَرا
وفي السّماع إذا ما خرقة سقطت أو خرّ في مجلس الإخوان من سَكِرا
فللفقير عليهم رد خرقته وبيع ساقط هذا الوصف ما ذكرا
حكم الفتوة في هذا وذاك معاً أن يُحضِرا من لطيف العيش ما حضرا
والحلو ألطف في هذا السبيل لما ذاقا من الحلو بالمعنى وإن يسرا
فإن تعذّر حلو كان ما وسعت أقدارهم وإذا[2] لم يَقْدِرا عُذِرا
تَطَوُّعاً وسخاءً لا معاسرة فأخبثَ[3] العيش في الراحات ما عسرا
وإن قَدِمتم على الإخوان أو قَدِموا كنتم على كل حال أنتم الأسرا

فصل

في معنى قوله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: "[من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني][4]، ومن توضأ ولم يُصَلِّ ركعتين فقد جفاني، ومن صلّى ركعتين ولم يَدْعُنِي فقد جفاني، ومن دعاني ولم أُجِبْه فقد جفوته، ولست برب جاف".

أما الشريعة في هذا الحديث فهي بيِّنة، وأما الحقيقة فيه فإن كل مولود يولد على الفطرة، حتى يتهوَّد أو يتنصَّر أو يتمجَّس أو يُشرِك[5] أو يعصي، وذلك هو الحدث الناقض لوضوء الفطرة.

فلا طهارة من هذا الحدث إلا بماء التوبة، فمن توضأ من إحدى هذه النواقض بماء التوبة، خرج من جفاء النقض إلى تجديد العهد.

---

[1] ب: مهما.

[2] ب، م: فإذا.

[3] ق: وأخبث.

[4] ما بين القوسين من ب فقط.

[5] أ، ق: أو يشرك أو يتمجس.

ومن صلى بعد هذا الوضوء ركعتين، مقبلاً إلى[1] الله، مقتـدياً برسـول الله صلى الله عليه وسلم، خرج من جفاء المخالفة إلى وُدِّ المؤالفة.

ومن دعا بعد هذه الصلاة، خرج من جفاء الغنى عـن الله، إلى ذُلِّ الافتقـار إلى الله، ولا جرم أنه يستجاب، ويدخل في صف الأحباب، بين يدي رب الأرباب.

فصل

في معنى قوله تعالى: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معـايش﴾[2] الآية.

- للبصر عيش في النظر إلى قدرة الله.
- وللسمع عيش في سماع كلام الله.
- وللشم عيش في استنشاق روائح الله.
- وللذّوق عيش في معارف نعَم الله.
- وللِّسان عيش في حلاوة ذكر الله.
- وللّمْسِ عيش في لطائف أنس الله.
- ولليد عيش في البذل والسخاء من أجل الله.
- وللفرج عيش في نكاح ما أحلّ الله.
- وللقدم عيش في السعي في مراضي الله.
- وللنفس عيش في الامتثال لأمر الله والاجتناب لنهي الله.
- وللقلب عيش في الاحتراق بمحبة الله والحنين إلى لقاء الله.
- وللعقل عيش في التأمل لصفة الله والجولان في علم الله.
- وللرّوح عيش في النظر إلى وجه الله والشراب من عين الله.
- فإذا كان عيش البصر بالنظر[3] إلى قدرة الله، اجتنت نَحْلَتُه ثمرة العلم بالله.
- وإذا كان عيش السمع في سماع كلام الله، اجتنت نحلته ثمرة وصف الله.

---

[1] أ: على، ب: مقبلا بقلبه.

[2] [الأعراف: ٧/ ١٠].

[3] ب: في النظر.

- وإذا كان عيش الشَّم باستنشاق روائح الله، اجتنت نحلته ثمرة قرب الله.
- وإذا كان عيش الذوق في معارف نعم الله، اجتنت نحلته ثمرة شكر الله.
- وإذا كان عيش اللسان في حلاوة ذكر الله، اجتنت نحلته ثمرة الذكر من الله.
- وإذا كان عيش اللّمس في لطائف أنس الله، اجتنت نحلته ثمرة لين ثواب الله[1].
- وإذا كان عيش اليد في البذل والسخاء من أجل الله، اجتنت نحلتها ثمرة كرم الله.
- وإذا كان عيش الفرج في نكاح ما أحل الله، اجتنت نحلته ثمرة الشوق إلى ما وعَدَ الله.
- وإذا كان عيش القدم في السعي في[2] مراضي الله، اجتنت نحلته ثمرة تثبيت الله.
- وإذا كان عيش النفس في الامتثال لأمر[3] الله والاجتناب لنهي الله، اجتنت نحلتها ثمرة ثواب الله.
- وإذا كان عيش القلب في الاحتراق بمحبة الله والحنين إلى لقاء الله، اجتنت نحلته ثمرة المحبة من الله[4]، والبشرى بمواصلة الله.
- وإذا كان عيش العقل في التأمل لصفة الله، والجولان في علم الله، اجتنت نحلته ثمرة المعرفة بالله، والرسوخ في علم الله.
- وإذا كان عيش الروح في النظر إلى وجه الله والشراب من عين الله، ماتت نحلته، وذابت مهجته، وغابت عن مشاهدة الأكوان صفته، ودامت في الله بدوام الله[5] سَكْرَتُه، فشرب عقله من روحه فتروحن، وشرب قلبه من عقله فاتَّصَل

---

[1] أ، ب، م: ثمرة وجود الله.

[2] أ، ب: بالسعي إلى مراضي الله.

[3] ق: لأوامر.

[4] ق: الله تعالى.

[5] أ: ودامت بدوام الله، ب: ودامت في الله بدوام سكرته.

وتَمَكَّن، وشربت نفسه من قلبه فحصحص لها الحق وتبرهن، وشربت حواسه وجوارحه من نفسه فخضع جميعاً لمهابة[1] الله وأذعن.

(المجتث)

طوبى له من عليل ... يعلّ بالسلسبيلِ
سقاه مولاه خمراً ... من عين وجه القبولِ
شعاعها في المعاني ... كالشمس عند الأفولِ
ترقرقت في كؤوس ... مُزِجْنَ بالزنجبيلِ
فيها حريق وفيها ... إطفاء نار العليلِ[2]
تَوَلّهَ الروح منها ... والعقل مثل الخبيلِ
والقلب كالفرخ فاغٍ ... إلى جلال الجليلِ
والنفس سكرى تمهرا ... بكل فعل جميلِ
وعالم الجسم يسعى ... إلى الثواب الجزيل
فَيَالها من صفات ... تهيأت للرحيل
تعلّق الكَلّ منها ... بالمصطفى والخليل
فأين حجاجُ بيتٍ ... قد فَتّحت للدخول
منها[3] الترقي إلى ما ... يفوتُ وَهْمَ العقول

غيره: (الطويل)

خطابُكَ يشفيني ووجهُكَ يكفيني ... فما لِيَ في الدنيا سواك ولا الدِّين
وما المَلْك إلا بين سمعي وناظري ... وما الحق إلا بين كني ومكنوني

---

[1] أ: لهيبة.

[2] ب، م: الغليل، والعليل هنا من عَلَّ وهو الذي لا يرتوي.

[3] م: فيها.

أبوح[١] وأخفي لاهيـاً بـك ملـهياً   بـوجهين بـاد للأنـام ومخـزون
وأدخل في الساهور عن كل خـارج   إليـك فتعنـيني[٢] هنـاك وتقنـيني
يعانق سِـرِّي سِـرَّ سِـرِّك غاربـاً   ويشرق حيناً بالشموس على الحـين
فأخرج في الشاهور[٣] للأخذ والعطـا   فيأخذ مني مـن يحـب ويعطـيني
على أرض طه في سحائب كاف ها   بِغَيْثٍ مُغِيْثٍ من سمـاوات طاسـين
وأتلو لمن يتلـو ألـف لام مـيم را   وحم موصـولاً بـأحرف ياسـين
وقاف قراءات المثاني كمـا أتـت   ونون التي يجري بها قلـم الـدِّين
فيسطرها في قلـب كـل مُوَحِّـدٍ   ويحرفها عن كـل أشـأم[٤] مفتـون
سفير العلا نحو الملا يكـشف الـبلا   ويدعو إلى طيب الجـوار بجـيرون
على طور سينا قاب قوسين من مِنَىً بنى المسجد الأقـصى علـى المـاء والطـين
فيسقي المعاني من سـلافة أحمـد شـراباً يعيـد الكـون في الكـاف[٥] والنـون
فمن لشراب الخبل من كل عاقـل   ومن لشراب العقل من كل مجنـون
شراب صفا وَقْفٌ على كل مصطفى حـرام علـى أهـل الجفـا غـير سـجين
جناه[٦] الرِّضى من كرم ما غـرس الرِّضـى بـسامون علـيين في أرض سـامون[٧]
تروقه الولدان بـالأمن والرضـى   فتـشربه الأذهـان بالمـدِّ واللِّـين
فتـسكر أرواح وتـرقص أحـرف   وتنشد حـور كالقنـا بـالقوانين

---

[١] باح: ظهر واشتهر، وفي هامش ق: ألوح.

[٢] أ، ب: فتغنيني، ب: فتفنيني.

[٣] ق: للشاهور، [أ ، ب، م] في الساهور.

[٤] الأشأم هو من يأتي بالشؤم.

[٥] ب: بالكاف.

[٦] ب، م: حياة.

[٧] أ: لأهل الرضى حق في أرض سامون، ب، م: سماسون.

يملن كأغصان النقا طـرب اللقـا لأهل التُّقَى ممـن يَحـنُّ إلى العـين
يظل لواء الحمد، (من فضل ربنـا)[1] جواب اهْدنا بَسْطَ الأَكَـفِّ بـآمين
لقد طـاب هـذا للـذين تطيّبـوا ولَذّ وأغنى كل أشـعث مـسكين
فَرُوقٌ من الدنيا مَشُوقٌ إلى العـلا[2] قريب إلى المولى بعيـد مـن الهـون

فصل في الوعظ

أما بعد: أيها الشارد عن الألفة، والوارد على السخفة، والجانح إلى الطرفة، والصادر عن النطفة، والعاكف على الجيفة، والعامد[3] على الصيفة[4].

ألا تعرف قـدرك؟! ألا تغـنم عمـرك؟!
ألا تظهر شـكرك؟! ألا تتـرك عـذرك؟!
ألا تطفـئ شـرك؟! ألا تُـصلح أمـرك؟!
أما الموت غايتـك؟! أما القبر سـاحتك؟! أما اللّحد باحتك؟!
أما النكير سـائلك؟! أما المنكر مقابلـك؟!
أما العمل جـارك؟! أما الزّبانية سُمّارك؟!
أما البرزخ قـرارك؟! أما الساهرة مشوارك
أما إنك لو تفكّـرت لـشمّرت ولو تدبّرت لما أدبرت
ولو آمَنت لما أمِنْت[5] ولو عقلت لما عتيت[6] ولو سعيت[7] لجزيت

---

[1] أ، ب، م: لله ربنا.

[2] ب: اللقا.

[3] ب: والعامل.

[4] الصيفة: المعوج من مجاري المياه.

[5] أ، م: ولو أمنت لأمنت.

[6] ق: غفلت.

[7] ب: استفتيت، ق: استيقنت.

ولكن أقبلتَ على ما لا يقبل عليك، ونظـرتَ إلى مـا[١] لا ينظـر إليـك، فحَسْبُك شهوة سخيفة، وكسبك جثة كثيفة.

يا من صفة أعماله كسراب، ويا أخا البهائم في الطعام والشراب، ويـا مـن نهاية ما يسعى له الدّود والتّراب، يا أحْيَل من الثعالب وأطْمَع من الذئاب[٢]..

ألم تعلم أنك بين يدي رب الأرباب، لا يحجبك عنه حجـاب، ولا يـشغله عنك أسباب، بل على خطراتك وحركاتك يكون الحساب. (الكامل)

يا شارداً قطعـت بـه الأسـباب ... نحـو العـدى ووراءه الأحبـابُ
يدعونـه للخـير لم يـسمع لهـم ... فلـه الأراذل بعـده أصـحاب
إن الرقيبَ عليـك غـير مفـارق ... والحـافظون لفعلـك[٣] الكَتّـاب
والموت بين يـديك لم تحفـل بـه ... ووراءه كـرب عليـك صـعاب
والقبر أفظـع منـزل في جوفـه ... مـا لا تطيـق لوصـفه الألبـاب
ضيق الجوانـب مُظلـم متـهافت ... بمكـاره لنـزولها أبـواب
أبواب أعمـال سـعيت لكـسبها ... وجهلت[٤] ما أحصى عليك كتـاب
أعْقِل أفِق أنْفِق أنِـب لا تكتـسب ... إلا المحاسـن يجـزك الوهـاب
هل شِمت بارق جنـة في سـوحها ... لـك جـيرة وكواعـب أتـراب
ومنـازل مـا مثلـهن منـازل ... وزيـادة لا تنتـهي وثـواب
أم هل سمعت بنار هلـك[٥] بحرهـا ... ظلم لأهـل الظلـم فيـه عـذاب
أنكالهـا ووبالهـا لا ينقـضي ... وعقابهـا مـا إن لـه[٦] إعقـاب

---

[١] أ، ب: على من.

[٢] أ، ب، م: الذباب.

[٣] ب: لقولك.

[٤] أ، ب: ونسيت.

[٥] ب: مصححة إلى: حالك.

[٦] أ، ب: لهم.

فيهـــا زبانيـــة غـــلاظ أشـــعروا غضب الإله فهم لـــذاك غـــضاب
اسمـــع نـــصيحة مـــن رآه بعينـــه حقـــاَ فـــلا هـــزل ولا مرتـــاب

فصل آخر في الوعظ

أيها الساحب فضول الردا، لو تعلم كيف إليك يحث الردى؟ لما بدا لعيـــون الخلائق منك ما بدا، ولما كنت على الضلالة أحرص منك على الهدى.

أغَرّك طول الإمهال وتراخي المدى، أذكر حسرتك بين المجتهدين غدا، يـــوم لا يقبل منك الحكم العدل عذلاً ولا فدا، شَمِّر فقد قربـــت المطايـــا للرحيـــل وبهـــا الحادي حدا.

كم يناديك المنادي وأنت لا تسمع الندا، كلاّ ولا تسمع الناصح إن وعـــظ أو شدا. (الكامل)

زُمَّتْ ركائبُ مـــن تـــأخر للـــردى كالأولين وبعـــدها الحـــادي حـــدا
وتأهـــب الأيقـــاظ لمـــا أزعجـــت أرواحهم وبدا لهم مـــا قـــد بـــدا
ركبوا وتقـــوى الله أيـــسر زادهـــم ما غرّهم ما غرّ من طـــول المـــدى
حبسوا النفوس فأذعنت وتـــأهبوا[1] للخير واعتصموا بـــأعلام الهـــدى
والنّوم قد أودى بقلبـــك لم تـــزل مشغول عقـــل بالعـــشاء وبالغـــدا
وظننت أن الـــرزق منـــك فَرُمْتَـــه من حيث رام له الغـــراب أوالحـــدا
ضُنْتَ الفلوس وفرض ربك[2] ضائع وجعلـــت آخـــرة لـــدنياك الفـــدا
مـــاذا يـــشاهد مـــؤمن متـــيقن شهد الأمور بنور أحمـــد فاقتـــدى

---

[1] أ، ب: وتأهلوا.

[2] وفرض ربك: الزكاة هنا ويمكن إطلاقها أيضا على أي فرض، وفي أ، ب وهامش ق: ووقت فرضك.

فصل

أخي كيف تنسب[1] إلى هذه[2] الأُمَّة، المؤتمة بسراج الظلمة؟ لا بقدم تسعى ولا حتى بِهِمَّة.

سبقك أهل العزائم يا كليل[3] العزمة، أما ترى الحِمام قد فَوَّقَ إليك سهمه؟ وسوف يغرغرك[4] وما لك في المحمدية سُهمة.

أتحسب أن تنتهك لله كل يوم حُرْمة، ثم تكون لك عنده يوم القيامة حرمة، قَصَّرت في شكرك وكم له[5] من نعمة، وغفلت عن أمرك[6] وكم له[7] من نقمة، أَغَرَّك طول الإمهال وتَراخي الصدمة.

يا مُدَّعي الإيمان وما شممت منه شَمَّة، ما زالت أمور الدنيا عندك مُهِمَّة، وما لأمور الآخرة بمهجتك لَمَّة، كم صاحب لك قد أضاع حزمه، أصبحت تراه بعد جديد[8] النعمة، قد صار منبوش العظام رِمَّة. (المتقارب)

أخي كم أخ نام عن حَزْمِه ... فَكَلَّ عليه شَبا عزمه

فوافقه الموت خالي اليدين[9] ... من[10] الخير باك على إثمه

ولم يُغْنِ عنه هناك البكا ... وأُخْرِجَ منها على رغمه

---

[1] ب: تنتسب.

[2] لفظ "هذه" لم يرد في ق.

[3] أ: قليل.

[4] أ، ب، م: يغزوك.

[5] ق: لك.

[6] ب، م: أمره.

[7] ق: لك.

[8] أ: صحيح.

[9] أ، ب: اليمين.

[10] أ: عن

فأصبح مكتئباً نادماً ويزداد غمّاً على غَمِّه
وقد كان عن ربه غافلاً فما كان يخطر في وهمه
فطوراً يشير إلى بُرده وطوراً يشير إلى جسمه
وطوراً يصاعر خداً له وطوراً يفضل[1] من كمّه
فغرغرة الموت سخطاً عليه وزاد لذلك في كظمه
ولم يغن عنه ولا سدّ منه بكاء أبيه ولا أمِّه
أفِقْ وانطلق في رضاء الإله فإنك بين يدي سهمه

فصل آخر

يا أخي دع شدّة غرامك بالدنيا ودع الانهماك، فكأنك بالحِمام بعد نفاد الأيام قد أتاك.

كيف تسمع زئير الأسد وتوليه قفاك، قابله فلعله يرحمك حين[2] يراك.

إن لم تكن ذا عدّة فاعترف بخطاك، وتذلل بالافتقار بين يدي مولاك، ولا تتّبع هواك فيكون فيه مهواك.

ألم تعلم أنك قد وقعت في الشّباك؟ ولم يبق إلا ذبحك فلا تطمع في الفكاك، ولا بد أن تكون إحدى الدارين مثواك. أدرك نفسك قبل نزول الأدراك، وغشوات سكرات الموت وتَوفِّي الأملاك.

أصحيح ما أخبرك أم تشك في ذاك؟ أما[3] شاهد حالك فشاهد حال الشاك، قَدَمُك يسعى للجمع ويدك تقبض للإمساك.

كيف توقن بآخرتك وتؤثر عليها دنياك؟ كيف تواصل العصاة وتهجر أبواب النساك؟

---

[1] ب، م: يفصل.

[2] أ، ب: حيث.

[3] ق، م: أم.

﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم. الذي خلقك فسوّاك﴾[1]

(الكامل)

يا أيها المتغافل الشّكّاك ... أتريد أن تبدو لك الأملاك

والله لا يبدون حتى ينقضي ... أَجَلٌ وتطوي عُمْرَكَ الأفلاك

هذا الكتاب وذا الرسول محمد ... والحافظون لعلمه النُّسَّاك

ألِمِمْ[2] بهم ترشد وخذهم سادةً ... بل قادة فأولئك الأفلاك

أفلاك بحر للنجاة أدلة ... للخير ما علقت به الأشراك[3]

شفعاء في الدنيا وفي الأخرى معاً ... للناس غوث للرقاب فكاك

فازوا إذ[4] امتازوا بخلق نبيهم ... فلهم بعروة حبه استمساك

إن تهتدي فلقد هديتك ناصحاً ... أوْلاَ فتلك النار والأدراك

فصل

يا أخي أحي أوقاتَك بالفكر[5] وعصورَك، متى أرى كفّك عن المعصية وقصورَك؟!، لا تُطَلِّق حورك ولا تَهْدِمن قصورك، أوقدت نارك وأطفأت بالسيئات نورك.

إن أحزنك كلامي فإنما أردت به سرورك، وإن مرّ عليك فإنما أردت به مرورك[6].

---

[1] [الانفطار: ٨٢/ ٦-٧].

[2] ب: ألمم.

[3] أ، م: لما علقت أشراك.

[4] أ، ب: إذا.

[5] ب: بالذكر.

[6] ب: به على الصراط مرورك، ومرورك هنا بمعنى شد عزيمتك وهمتك.

اسمع ناصحك ولا تَسْمَعن غرورَك، فكأنك[1] بك وقد هيّأوا سريرك، وحملوا نعشك ومهدوا حفيرك، وفارقت معارفك ولم تجد نصيرك، وقابلت منكرك الفظيع ونكيرك، فانتهراك فمن تجد منهما مجيرك؟!.

(المتقارب)

أخي كم رأيت غلاماً صغيراً ... وكهلاً وقوراً وشيخاً كبيرا

وكم قد رأيت فتاة كعابا ... ومرضعة وعجوزا سهورا

وكم قد رأيت وكم قد حملت ... بهذا وتلك جميعاً سريرا

فترجع تضحك من دفنهم ... كأنك وافيت منهم سرورا

فأين الحنين وأين الأنين ... تراك سمعت الخدوع الغرورا

خليليّ قوما وصوما معاً ... فإني أرى العمر والعيش زورا

فعمر تَحُلاّ به جنة ... وعمر تَحُلاّ به الزمهريرا

ألا واغنما إنها ساعة ... قليلاً بها عشتما أو كثيرا

ألا فاسمعا اليوم من ناصح ... ألا واجعلا الأمر في الله شورى

فصل

يقول الله عز وجل: "إني[2] أنا العوض الحاضر من كل غائب وحاضر، مخوف دون النار، مرجو دون الجنة، مأمول دون الدنيا، معدود دون المال، محبوب دون النفس، قريب دون القلب.

من أعطاني كلاماً أعطيته كلاماً، ومن أعطاني عملاً أعطيته عملاً، ومن سوّف بالتوبة إلي سوّفت بالعفو عنه، ومن ألجأ[3] بالإقبال علي ألجأت[4] بالإقبال عليه،

---

[1] أ: فكأن.

[2] لفظ "إني" لم يرد في ق.

[3] ألجأ: استند وفي أ، ب، م وهامش ق: أرجأ.

[4] أ، ب وهامش ق: أرجأت.

ومن أبطأ بالاستجابة لي أبطأت بالاستجابة له، ومن وعدني وعدتــه، ومــن أنجــزني أنجزته، ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا.﴾[1].

إن من أجهل عبادي من طلب[2] معروفي بمنكَره، وكرمي بــشُحِّه وإحــساني بإساءته، ورضاي[3] من طريق سخطي، وجنتي من طريق ناري، ﴿قَــل أبــالله وآياتــه ورسوله كنتم تستهزئون﴾[4].

فصل

اعلم أيها الأخ في الله وفّقك الله لسلوك طريق معرفته، وسقاك[5] من رحيــق مختوم[6] شراب محبته.

- أن العلم طعام الروح، وأن المحبة شرابه، وأن التقوى لباسه،
- وأن الصدق مَطيّته، وأن الزهد طريقه،
- وأن الرسول دلَيله، وأن الحلم خليله،
- وأن القناعة عزه، وأن التوكل كنــزه، وأن الاعتصام بالله حرزه،
- وأن الخلق الحسن رائحته، وأن الخشوع علامته، وأن السخاء شيمته،
- وأن أولياء الله أولياؤه، وأن أعداء الله أعداؤه.

صفى شرابه لَمّا صفى، ووفى لله[7] بما وعد لما وفى، فيا له من روح لا نفــس له، ويا له من فريد لا مثل له، إذا تمت له هذه الــصفات، وشــهدت عليــه هــذه العلامات.

---

[1] [النساء: ٤/ ٨٥].

[2] أ، ب، م: يطلب.

[3] أ، ب: ورضائي.

[4] [التوبة: ٩/ ٦٥].

[5] أ، ب: وأسقاك.

[6] ق: محتوم، وهو بمعنى الخالص.

[7] م: الله.

وهذه صفة من شاهد الآخرة بعين ظاهرة[1]، وأوقف نفسه في الساهرة قبل ورود الساهرة، واستظل بظل سدرة المنتهى في بحبوحة جنة المأوى.

فكلما هزّها أمطرت من طيب[2] ما أثمرت، وكلما تعلّق بها تدلت، وبجودها استهلت.

استمسكَ في الدنيا بأغصانها، فرفعته عند الموت إلى مكانها، وبوأته غرف جنانها، وأحيته بروحها وريحانها، وغمرته بِبِرّها وإحسانها.

طوبى لمن عرفها، ولغيره وصفها، وأظهر للغافلين شرفها، ونشر للعارفين تُحَفها.

فإذا اتَّصفت بما قدمت لك، سلكت طرقها فيمن سلك، وخرجت من دائرة من هلك، إلى دائرة من ملك، فإن كانت لك حاسّة صحيحة شممت روائحها، وإن كانت لك عين سليمة شهدت لوائحها.

فإذا تبيّنت لك فاستظل بظلها، لتنقلك عند الموت إلى محلّها، إن شاء الله تعالى.

رزقنا الله وإياك معرفتها، وألهمنا وإياك صفتها، إنه قريب مجيب.

(البسيط)

أصفى[3] صفاتي لوصف الوصف واصفه لا الوصف وصفي ولا الأخبار أخباري

لما برزت بمعناه[4] برزت به ولو برزت بنفسي أضرمت ناري

لا تنكروا ذاك من جهلي[5] بعلمكم إني سبقت مطاياكم بأطياري

إني ركبت على عنقاء مغربة لها جناحان من برق وأنوار

---

[1] ق: ربما كانت "طاهرة".

[2] أ، ب، م: من كل.

[3] هذا النص غير مثبت في أصل ق، ومكتوب في الهامش بخط آخر.

[4] أ، م: بمغناه.

[5] أ، م: جهل.

هَفّافــةٌ[1] تقطــع الأكــوان واجــدة حتى أناخت بباب الخــالق[2] البــاري
وجهٌ كــريم ووصــفٌ مالــه صــفة وسرّه قد ســرى في ســر أســراري
لا يــدرك العلــم معنــاه بأجمعــه ولو قرا ألف عام مــا درى القــاري

جواب عن سؤال:

وقفتُ أيها الأخ[3] على مسائلك، المقرونة بلطيــف رســائلك، وطريــف[4] شمائلك، والله الموفق للصواب، في حقيقة رد الجواب.

فأول ذلك سؤالك عن كيفية الحضور مع الله تعالى:

- هل يُدْرَك بذكر[5] في الباطن أم في الظاهر والباطن؟
- وأي ذكر يكون؟
- أم هو علم يعلمه[6]؟
- وهل تنفى الخواطر بالمجاهدة؟
- وهل يسهل عليه نفيها؟
- ومتى يتمكن من الحضور؟
- وكيف يكون التمكن؟
- وهل يقدر أن يكون حاضراً إذا تمكن ذلك الحضور من قلبــه ووقــر فيــه وامتلأ منه؟
- وهل يعد حاضراً وإن كان لا يذكر في الملأ؟

---

[1] ب: سائرة.

[2] في أصل ق: الفالق.

[3] ربما كانت هذه الرسالة لأحد أهم أصحابه وهو السلطان أبو العلاء السمكري وهذا التوقع جاء من القصيدة الملحقة لهذه الردود والتي يقول فيها: "هل أنت يا سلطان تشفع وترها...".

[4] ب: وظرائف.

[5] أ، م: هل يذكر.

[6] ب: بعلمه.

الجواب عن ذلك وبالله التوفيق:

اعلم أيها الأخ أفهمك الله الأسرار وجنّبك الأشرار:

– أن الحضور مع الله هو[1] درجة من درجات أهل الانتهاء، وله أساسان لا يترتب إلا عليهما، ولا يوصل إليه إلا من جهتهما:

أحدهما: إصلاح الأقوال والأعمال والأحوال الناسوتية الشرعية.

والثاني: إخلاص الأذكار والأفكار والأسرار الملكوتية الحقيقية على كمال كل صفة من هذه الصفات وتمامها، والاستقصاء على حسن الأدب في كل درجة ومقامها..

فحينئذ تقطع المسافات، وتمحى الأرضون والسماوات، وتسقط العلل والآفات، عن جميع الأجزاء والصفات.

وعند ذلك تبدو خوافي الحق، وتخفى بوادي الخلق، فيكون هو الناظر وأنت الحاضر، ويكون هو الباطن وأنت الظاهر، بلا علم ولا عمل، ولا ذكر ولا فكر، ولا عقل ولا جهل، ولا خواطر تنفى، ولا كدر يصفى، ولا مجاهدة تبدو ولا تخفى، وكيف يكون ذلك مع الاستغراق في نور حضور من يعلم السر وأخفى.

– وأما التمكن من الحضور فليس ذلك إلى المتمكن، بل هو إلى المُمَكِّن، إن مكّنك تمكنت، وإن لوّنك تلوّنت.

فإذا مكّنك في الحضور كنت معه في الملا، ككونك في الخلا.

وإذا لوّنك في الحضور كنت معه في الخلا والملا بوابل الخوف والبلا، فاسأله التمكين فإنه خير معين.

– وأما الوصل: فإنه باب من أبواب الحضور، كما أن الحضور هو باب من أبواب النظر.

---

[1] لفظ "هو" لم يرد في ق.

وعبارة الوصل هو إشراف الغائب المبتدي، على مقام الحاضر المنتهي، وعليه مناخ الطالب، ولديه مأوى الهارب، وبه أمان الخائف، وإليه منتهى الطائف[١]، عروة المستمسك، وبغية السالك، وشرف الناسك، لا يتعلق بسببه إلا القاطع لسببه، ولا ينتمي إلى نسبه إلا المنسلخ من نسبه، لذاذته مرارته، وبرودته حرارته، وعذوبته عذابه، وراحته اكتئابه، بل سقي بالعز ماء الحنظل.

- وأما الوجد والوجود، فإن:

الوجد شغف المحب بمحبوبه، والوجود إشراف[٢] الطالب على مطلوبه...
صاحب الوجد مُحبٌ هائم، وصاحب الوجود مُلَبٍّ قائم.
صاحب الوجد سائِر حثيث، وصاحب الوجود حائر لبيث.

وأما السُّكْر فهو[٣] يقع على ثلاثة أشربة، بثلاث كاسات مُرَتّبة[٤]:

- شراب بكأس السمع وهو شراب المريدين.
- وشراب بكأس البصر وهو شراب العارفين.
- وشراب بكأس الفؤاد وهو شراب الناظرين.

فالعارفون صاحون عن سكر شراب المريدين، والناظرون صاحون عن سكر شراب العارفين.

- فشراب المريدين طارٍ.
- وشراب العارفين جارٍ.
- وشراب الناظرين سارٍ.

فالحركة للمريدين، والسكون للعارفين، والطمأنينة للناظرين.

- ودوام السكر بدوام الشرب.

---

[١] أ، ب، م: وإليه يتعلق.

[٢] أ، ب: إشراق.

[٣] أ: فإنه.

[٤] ق: مترتبة.

- ودوام الشرب بدوام الظمأ.
- ودوام الظمأ بدوام الشوق.
- ودوام الشوق بدوام الذوق.
- ودوام الذوق بدوام الجوع.

"أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام لَمّا اشتد بكاؤه، وعظم بـــلاؤه، وكثر دعاؤه: يا داود، أجائع فنطعمك؟ أم عطشان فنسقيك؟ أجـــائع بـــالهجران إلى طعام الرضوان؟ أم عطشان بالبين إلى شراب العين؟".

- وأما الوقفة: فإنها محراب جامع الحضور، وفي ذلك المحراب رجل واحـــد، اتحدت به أسرار الواحد..

اعتماد الواقفين عليه، ومشار العارفين إليه، وسؤال المريدين عنه، وتـــشعب الفوائد[1] منه، وتمسك المنقطعين به، وأنوار النبوة فيه.

وهو عين الناظرين، وإمام الحاضرين، ودليل الحائرين، وطريـــق الـــسائرين، وكعبة حج المسافرين.

قد جمعته الهيبة، وأذابته الخشية، وأوقَفته الجلالة، وحَيّرته المعرفـــة، وأَسَـــرَتْه المحبة، وناطقته العزة، وشافهته القدرة، وكاشفته العظمة.

نفعنا الله به، وعلق أسبابنا بسببه، وعقد أنسابنا بنسبه، إنه قريب مجيب.

- وأما المشاهدة: فإنها طمأنينة القلب بوهج يلقاه، من حـــر شـــعاع نظـــر مولاه، فلا[2] يشك بأنه إياه، فيتلذذ بمحياه، ويحيا بروائح ريَّاه، بلا طول ولا عـــرض، ولا رفع ولا خفض، ولا سماء ولا أرض، ولا كيـــف ولا أيـــن، ولا أذن ولا عـــين، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3].

---

[1] أ، ب، م: الفؤاد.

[2] أ، ب، م: ولا.

[3] [الشورى: ٤٢/ ١١].

– وأما كيف ينظر الفقير ويسمع وينطق ويبطش ويمشي بالله، فإنه محمول، على قول الله عز وجل: "ليس شيء يسعني ويسعني قلب عبدي المؤمن"، فيكون ذلك القلب الذي يسعه هو السميع البصير، الناطق الباطش، الماشي بسر[1] وجوده، ودوام شهوده، فافهم ذلك.

– وأما التجلي ومتى يتجلى الله لعبده: فإنه متى تخلى القلب من ظُلَم رانه، وبَدّل إساءته بإحسانه، تجلّى الله له بعظمة شأنه، ماحياً لمكانه وزمانه، بفضله وتوفيقه وامتنانه، بلا وصف يُحَد، ولا نور يشهد، وهو نوع من أنواع المشاهدة التي قدّمنا ذكرها.

– وأما الحاضر مع الله: فهو بعين قارة في فؤاد ساكن قد سقط حسه، وماتت نفسه، واطمأن قلبه، وعقل عقله، واستوى علمه وجهله، وقد تكون الحالة مستولية وغيرمستولية، على قدر ما يفتح له من الموهبة في الوقت.

– وأما لا بد من المجاهدة الكلية أم قد تسهل؟ فالمجاهدة على قدر ميل النفس واستقامتها، واعوجاجها وثبوتها.

فالمجاهدة الكلية تلزم صاحب النفس الصعبة الغليظة الطبع، الشديدة البطش، القوية الشهوة.

وكلما هانت النفس ولانت، هانت المجاهدة ولانت، إلى أن تنقاد وتتوب من كل ميل وعناد، وتنيب عن كل زيغ وفساد، وتخبت بكليتها إلى رب العباد[2].

– وأما ما يدل الإنسان أنه عارف، فشاهد معرفته من صفته على صفته: زهده وورعه، وعفافه وكرمه وسخاؤه، وغرقه في نور الله وفناؤه، ودوامه على مراقبته وبقاؤه.

والعارف[1] هو الحاضر، والحاضر هو الواصل، فمتى عرف العبد حضر، ومتى حضر وصل.

---

[1] أ، ب، م: بسير.

[2] أ، ب: الأرباب.

ومتى جهل العبد غاب، ومتى غاب غفل، ومتى غفل انفصل.
فنسأل الله الاتصال بالمعرفة، ونعوذ به من الانفصال بالغفلة.

تم الجواب والله أعلم بالصواب، وأستغفر الله العظيم من الزلل والخطأ، فيما قلت وفعلت، وقطعت ووصلت، وعلمت وجهلت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام والرحمة، على سيدنا محمد نبي الرحمة، وشفيع الأمة.

(الكامل)

قدح الزناد ليستثير النارا ... سِر ينبه للعلا أسرارا
علوية نبوية صمدية ... أنوارها تستطلع الأنوارا
مكنونة فيها وفيها ذا وذا ... لكنها تترقب الأنصارا[2]
أقمار حق بل شموس حقيقة ... تمحو الشموس وتخجل الأقمارا
فيها على الحق المغفر[3] غيرة ... تغتارها فتدمر الأغيارا
لكنها حجبت إلى أجل لها ... قد آن[4] أن تبدو فلا تتوارى
هل أنت يا سلطان تشفع وترها ... وتكون للجيران منها جارا[5]
وتهين فيها ما يعز لعزها ... وتكون مؤتمراَ لها أمّارا
وتقيم مُعْوَجّ القنا نحو المنى ... منها لها وتكون ممن غارا
يا من إلى قحطان ينزع[6] عرقه ... وكفى بها للمنتمين فخارا
أنصار أحمد هازمون هوازنا ... لما غزته وقاتلون نزارا

---

[1] ب: وأما العارف.
[2] ب، م: الأبصارا، وبدون نقط في ق.
[3] المغفر: المستور.
[4] أ، ب: قد قل.
[5] في الشطر الأول توقعنا أن يكون المخاطب فيه هو صاحبه السلطان أبو العلاء العسكري.
[6] في هامش ق: ينسب.

شَمِّر[1] هُديت لها فإنــك مــن لهــا خبــأ الزمـــان وأســعد الأقــدارا
وليستوي بك[2] ما بــذلت لأجلــها القـــيراط والمثقـــال والقنطـــارا

كتاب إلى الشيخ عمر العطاب (الكامل)

يهــدي الــسلام معــزّراً ومــوقّراً ومـــبجّلاً ومعظّمــاً ومقــدّرا
ويقابل النــادي بــوادي سُــرْدُدٍ مُـــستقبلاً ومقـــبّلاً ومعفّـــرا
فلذلك النــادي مــلا فــاق المــلا ولذلك الوادي ثرى فــاق الثــرى
ويَــوَدُّ لــو أن ينطــوي بكتابــه فيكــون[3] ألفاظــاً بــه أو أســطرا

ويُصَوِّر في غوامض رموز طرسه، من أشواقه وغرائب نكت حسه[4]، بعض ما سمحت به قوادح نفس نفسه، مناظرة إلى تلك البهجة الشريفة، ومحاضرة تلك الأخلاق العذبة اللطيفة، التي هي بحر للوافدين، ونهر للواردين، وبدر للشاهدين[5]، ونحر للمعاندين.

أسمى الله أقدارها، وأعلى منارها، وأعزّ أنصارها، وأطلع أنوارها، ليبقى ببقائها المعروف، ويأرز[6] إلى فنائها الملهوف، ويستضيء بضيائها المكفوف، ويطلق بعطائها المكتوف، إذ هي غريبة الأوصاف، حسينة الأصناف، رحيبة الأكناف، نسيبة الأضياف.

---

[1] أ، ب: شمس.
[2] ب: لك.
[3] أ، ب: فتكون.
[4] ق: نكته وحسه.
[5] أ، ب: للمشاهدين.
[6] يأرز إليه: يلجأ إليه ويتثبت فيه.

فلمّا قامت في أمصار الكرم أسواقُها[١]، واتّسعت لأوفاد الأمم أخلاقها، وامتدّت لإيجاد[٢] ذوي العدم[٣] أزواقها[٤]، لم يزل كل ذي أرب يشتاقها.

ومن شام بارقها الممطر[٥]، وأَمَّ راعدها المخير[٦]، واستسقى سحابها[٧] المستقر[٨]، واستشهد[٩] ضياءها المسفر[١٠]، وهو مستصحب هذه المطالعة النائبة، على لسان المملوك له في المشافعة، وهو رجل من ذوي الأحساب، وحملة الكتاب، قد تقطعت[١١] به الأسباب، وأغلقت[١٢] دونه الأبواب، وأثقل رقبته مثقل الرقاب، دَيْنٌ لا يجد له قضا، وخصوم لا يسعف لغضبهم[١٣] رضا، ومخافة ليس بها سيف ينتضى، ولا نار تلتظى، ولا نور يستضا، بعد إذ أذاب[١٤] ذهن الحاسة، من ذا يقصد لحاجته[١٥] الماسة.

[١] أ، ب: أشواقها.

[٢] إيجاد: إغناء.

[٣] أ: القدر.

[٤] الأزواق: النداءات والدعوات وفي أ، ب: أرزاقها.

[٥] تورية والمقصود غزير الدمع.

[٦] المخير: كثير الخير وصاحب الشرف والأصل.

[٧] أ، ب: بسحائبها.

[٨] المستقر: يقصد به من ليس له عمل.

[٩] أ، م: واستهدى.

[١٠] المسفر: من كنس بيته كناية عن الفقر.

[١١] أ، ب، م: انقطعت.

[١٢] ق: وأغلق.

[١٣] أ، ب، م: لغيظهم.

[١٤] أ، ب: أدا.

[١٥] ب: بحاجته.

فلم يلح[1] له من تلوح الأمم، من يجبر منه كسر ذلك العــدم، مــن أربــاب الفضل والكرم، إلا شامخ علم ذلك العلم، فاستعصم بذروتــه لاجيــاً، وتوجّــه إلى جهته راجياً، ليعود بعوائد كرمه غانياً، ومن عطب الدَّيْنِ وهمومه ناجياً.

فما أولى كرمه الشامل بالتعطف عليــه، ومــا أحــرى[2] فــضله الفاضــل بالإحسان إليه، أدام الله عليه النعم، وكفاه نوازل النقم، وختم له بأحــسن الخــتم، وجعله كهفاً لذوي العدم، إنه ولي ذلك، آمين.

تعزية بطلحة رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأنبياء قدوة، وجعل فيما أصابهم للمتأسِّــين أســوة، وبذلك قدم إلى أحب خلقه إليه، فيما لا بد أن يكون، حيث يقول في كتابه المكنــون ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون. كل نفس ذائقــة المــوت، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾[3].

وقد اتصل بنا ما أهاه الإخوان، مما نــزل به قضاء الرحمن، وأنتجته حبــالى حوامل الزمان، من وفاة من قدس الله روحه، ونوّر ضريحه، الولــد الموفــق المبــارك الرشيد طلحة، وأخذنا بنصيبنا من فزع[4] هذه الملمة، واتصل بكل قلب مــن قلــوب الإخوان منها سهمة، ونظرنا أن القدوم إلى من هو أرحم بعبده مــن ذات[5] الفــراخ بفراخها، خير من التلبس بفتن الدنيا والتَّمَعُّكِ[6] بأوساخها.

---

[1] ب: يلج... تلوج.

[2] أ، ب: جزاء.

[3] [الأنبياء: ٢١/ ٣٤-٣٥].

[4] لفظ "فزع" سقط من أ.

[5] ب: ذوات.

[6] تمعك: تمرغ.

ونحن نرجو من الله أن يتغمده بسعة رحمته[1]، لتوفيه[2] إياه على خـــير عملـــه وصحيح توبته، وقرب عهده بالمواصلة وصدق محبته ﴿وما ذلك على الله بعزيـــز﴾[3].

فالله تعالى يعظم للجميع فيه أجر المصيبة، وينقله من هذه الدار الجديبـــة، إلى تلك الدار العالية الخصيبة، إنه ولي ذلك.

وفي وفاته عظة للشباب[4] فليتب جاهلهم، وعظة للكهول فليتب غافلـــهم، وعظة للشيوخ فليجتهد عاملهم، من الإخوان خاصة، ومن الجيران عامة، فإنـــه قـــد اقتحم عقبةً الكل لاقتحامها منتظر، وسبح في بحرٍ الكل علـــى ســـاحله مـــستقر، لا يستطيع أن يلتجي ولا يقدر أن يفر.

فتهيؤوا رحمكم الله لمثل هذه الرحلة، وتزودوا لمثل هذه النقلة، فإن الـــسفر بعيد، وإن الحساب شديد، وإن الصراط مديد، وإن الله يبدىء ويعيد، فويل للـــشقي وطوبى للسعيد.

أسعدنا الله وإياكم بالتقوى[5]، وعصمنا الله وإياكم من الزلـــل والخطـــل[6] في هذه الدنيا والأخرى، إنه ولي ذلك آمين[7].

---

[1] أ: يتغمده برحمته.

[2] أ، ب، م: ليوفيه.

[3] [إبراهيم: ١٤/ ٢٠].

[4] ب: للشبان.

[5] ق: للتقوى.

[6] أ، م: والخطأ.

[7] إلى هنا انتهى النقص الثالث في النسخة هـــ الذي بدأ ص (٢٣٩).

هذه عقيدة الفقير إلى الرحمن أحمد بن علوان،

أَحَبَّ أن يَعرضها على جميع الإخوان، ليذهب عن قلوبهم ما نـــزغ الشيطان، على ألسنة أهل الحسد والعدوان

فاتحة ذلك أنه يشهد أن الله عز وجل أحد[١] بالذات والـــصفات، والأسمـــاء والآيات.

وأنه مستقر[٢] الوجود، بغير ظروف ولا حدود، لا زوال لمـــستقر وجـــوده، ولا نهاية لفيض جوده.

له الخلق تركيباً وتصويراً، وله الأمر تدبيراً[٣] وتقديرا، عليم سميع بصير بغـــير حواس، متكلم قابض باسط بغير جوارح، لا تدركه الأبصار وصـــفاً، وهـــو يـــدرك الأبصار لطفاً.

خلق الخلائق لا بعلّة ولا لعلّة، بل إظهاراً لقدرتـــه[٤]، وإنفـــاذاً لمـــشيئته[٥]، لا يعلم مراده، ولأي شيء[٦] خَلق عبادَه إلا هو، فمن التمس مـــا وراء قولـــه في كتابـــه المكنون: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[٧]، فهو غالٍ مفتون.

القرآن كلامه، نـــزله على خير خلقه تنـــزيلاً، ورتّلـــه في قلبـــه تـــرتيلاً، وفصّله بلسانه تفصيلاً، عن سماع يسمعه[٨]، لا عن اختراع يخترعه[٩].

---

[١] ب: واحد.

[٢] أ: لا مستقر.

[٣] أ: ترتيبا.

[٤] أ: للقدرة، هـــ وأصل ق: لقدره.

[٥] أ: للمشيئة، هـــ: لمشيئه.

[٦] ب، م: ولا لأي شيء.

[٧] [الذاريات: ٥١/ ٥٦].

[٨] أ، ب: سمعه.

[٩] في أصل ق: يخترعنه.

نسيم روح قدسه، وعبارته عمّا في نفسه، لا ينفصل عنه، ولا يصلح إلا منه.

ينطلق[1] اسم الكفر على من اعتقده مخلوقاً، بل هو أعظم فرْيَة وأشنع فسوقاً، لأنه صفة الله التي بها خَلَق ويَخلق، وبها[2] رَزَق ويَرزق، وبها أَحيا ويحيي، وبها أمات ويميت، صفة من صفات ذاته، لازمة كلزوم علمه وحياته.

من اعتقد أنه مخلوق الكلام، فقد مَرق مروق السّهم عن الإسلام، وجعله موقوفاً على النبي عليه السلام، منقطعاً عن الله ذي الجلال والإكرام، كما بلغني عن بعض الروافض، أنه قال: "القرآن[3] قريحة محمد"، فقد كفر الزنديق بهذه المقالة وأَلْحَد.

ولا فرق عندي بين هذه المقالة، وبين مقالة[4] من اعتقد خلقه وأحاله، ﴿أولئك في ضلال مبين﴾[5].

ويشهد أن محمداً رسول الله، بما[6] ظهر[7] على لسانه من كلام الخلاّق، وعلى أركانه من محاسن الأخلاق، وعلى أحواله من الصبر على الإملاق[8]، وعلى يده من البذل والإنفاق، وعلى قدمه من الأسر والإطلاق.

وأنه أكرم الأنبياء وأفضلهم، وأعلمهم بالله تعالى وأعملهم، حوضه حق، ولواؤه حق، وشفاعته حق.

---

[1] هـ: ينطق.

[2] سقطت لفظة "بها" من أ وأصل ق.

[3] ب، م: إن القرآن.

[4] لفظ "مقالة" سقط من أ ومضاف في ب.

[5] [الزمر: ٣٩/ ٢٢].

[6] ق: لما.

[7] أ: أظهر.

[8] أ، ب، م: الفقر والإملاق.

– ويعتقد أن أبا بكر رضي الله عنه وليُّه وصـديِّقه، وثانيـه يـوم[1] الغـار ورفيقه، جاهد بين يديه، وأنفق ماله عليه، وكانَ مشغَوفاً بدوام النَظر إليه. وأنه إمـام حق، مفترض الطاعة على مَنْ دونه، غير ظالم ولا غاصب، ولا محارب ولا مناصـب، صلّى خلفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلـب، والعـصابة[2] الشريفة من كرام بني هاشم، وجاهدوا بين يديه غير مـدهنين[3] في حـق تبـيّن، ولا مغمضين عن[4] باطل تعيّن.

– وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه إمام حق، مفترض الطاعة علـى مَنْ دونه، سبيله سبيل أبي بكر في عدله وفضله.

– وكذلك أمير المؤمنين[5] عثمان ذو النورين (رضي الله عنه)[6] إمـام حـق، مفترض الطاعة على مَنْ دونه، سبيله سبيل صاحبيه[7]، قُتِل مظلوماً لا حَقَّ عليه.

– وكذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إمام حق، مفتـرض الطاعة على مَنْ دونه، سبيله سبيل أصحابه في عدله وصوابه، ما أصلح شيئاً حَكَمـوا بفساده، ولا أفسد شيئاً حَكَموا بصلاحه، جاهد على الحق حتى أتاه اليقين، [رضـي الله عنه وعنهم أجمعين][8].

---

[1] أ، ب: في الغار.

[2] في أصل ق: والعصبة.

[3] أ، ب، م: مداهنين.

[4] أ، ب، هـ: على.

[5] لفظا "أمير المؤمنين" من ق.

[6] لم ترد في ق.

[7] هـ: أصحابه.

[8] ما بين القوسين من ق.

فصل

– ويعتقد أن كُلَّ فعلٍ ألزم فاعله حداً في الدنيا وعــذاباً في الآخــرة، فإنــه ينسب إلى الله علماً وقضاءً وقدراً وخذلاناً وكراهية، ويُنسب إلى العبد عملاً وحبــاً واختياراً وإصراراً[1] وعتاهية.

– ويعتقد أن كُلَّ فعلٍ ألزم صاحبه[2] مدحاً في الدنيا وثواباً في الآخرة، فإنــه ينسب إلى الله تعالى علماً وقضاءً وقدراً وتوفيقاً ومحبة، ويُنسب إلى العبد عملاً وحبــاً واختياراً وإيثاراً وطواعية.

– ويعتقد أن التوفيق مقرون بالتوبة والإنابة لقوله تعالى: ﴿والــذين اهتــدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[3].

– ويعتقد أن الخذلان مقرون بالإصرار والجرأة لقوله تعالى: ﴿وما كــان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾[4].

– ويعتقد أن الخير الذي به تصح الأجسام، ويرخص الطعام، وتدر الأنعــام، وتخصب الأعوام، وما أشبه ذلك، من الله جوداً وفضلا.

وأن الشر الذي به تمرض الأجسام، ويغلو الطعام، وتعجف الأنعام، وتجــدب الأعوام، وما أشبه ذلك، من الله تنبيهاً وعدلاً.

لقوله تعالى: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن تصبهم ســيئة يقولوا هذه من عندك، قل كُلٌ من عند الله، فمال هؤلاء القوم لا يكــادون يفقهــون حديثا. ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[5].

---

[1] هـــ: واضطرارا.

[2] هـــ: فاعله.

[3] [محمد: ٤٧/ ١٧].

[4] [التوبة: ٩/ ١١٥].

[5] [النساء: ٤/ ٧٨-٧٩].

هاهنا يبتديك بالفضل والإحسان، وهاهنا يكافيك بالذنوب[1] والعصيان، ويُنَبِّهك على التوبة والإذعان، لقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾[2]، وقد ذكر ذلك في المشكل[3].

– ويعتقد أن الله جل جلاله يُرى بالأبصار[4] يوم القيامة كيف يشاء، لا يجحد ذلك إلا من لا حَظَّ له فيه، ولا يسأل عن كيفية ذلك إلا جاهل بمعانيه، نسلم تسليماً، ونؤمن به إيماناً، كما جاء في كتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– ويعتقد تفضيل الإمام الرئيس، الجليل النفيس، محمد بن إدريس[5]، على سائر الأئمة، ويَذهب مذهبه، ويحذو حذوه في شرائع دينه وبدائع فنونه، عن تقليد علمي، وتَدَيُّن[6] فهمي، وتفكر نظمي.

– وقد أذنت لكافة الإخوان أن يقيموا مُعْوَجّها، ويصلحوا خللها ما وجدوا فيها شيئاً من ذلك.

والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته.

شرح ذلك

الحمد لله الذي خلق لِيُعْرَف، ثم تَعَرَّف لِيُعْبَد، ثم تَعَبَّد لِيُكرِم، ثم أكرم لِيُنعِم، ثم أنعم لِيُتِم، ثم أتم ليديم.

الرحمن، بخلقه الرحيم، القائم بالقسط أبداً، فهو:

---

[1] يكافيك بالذنوب.. أي يكون ارتكابك الذنب هو عقوبة على ذنب والجزاء من جنس العمل.. وفي ب: يكافيك على..

[2] [الشورى: ٤٢/ ٣٠].

[3] يقصد به كتابه: البحر المشكل.

[4] لفظ "بالأبصار" سقط من هـ.

[5] ب: محمد بن إدريس الشافعي.

[6] ب: وتدبر.

العدل في حكمه

العدل في قضائه، العدل في قدره[1]

العدل في مشيئته، العدل في إرادته

العدل في أمره، العدل في نهيه

العدل في ثوابه، العدل في عقابه

لا يحب الفساد، ولا يريد ظلماً للعباد، خلق العقل دواء، والجهل داء، والنفس بلاء[2].

فالجهل داءٌ للنفس وبلاء، والنفس داءٌ للعقل وبلاء، والعقل دواءٌ للنفس وشفاء، تعريفاً للعقل بربوبيته وقدرته، وتخويفاً له من فتنته وسطوته[3]، ليتحقق فقره إليه، ويعلم قدرته عليه، فيسأله تقواه، ويعوذ به من فتنته وبلواه، فأَمَرَه ونَهَاه، وبَصَّره وهداه، وتعبّده بسياسة الأنفس وابتلاه، ليصرفها عن هواها، ويلهمها فجورها وتقواها.

فالعقل أول مبتدأ[4]، مأمور، وأشرف مصطنع[5] مفطور، أفهمه الخطاب ومكّنه من رد الجواب بحكم المقال والحال.

"ثم قال له: أقبل [أي بالجلالة على ذي الجلالة] فأقبل.

ثم قال له: أدبر [أي بالرسالة إلى ذوي الجهالة] فأدبر".

فكان أمْرُ الله له[6] بذلك حُكْماً لا حَتْماً، وكان امتثاله لأمر الله اختياراً لا إجبارا.

---

[1] أ، م: قدرته.

[2] هـ: الجهل والنفس بلاء.

[3] سقط هذا اللفظ من هـ.

[4] هـ: مبتدع.

[5] أ: مطيع.

[6] سقط اللفظ "له" من هـ.

ثم خلق الله تعالى الجهل ضد العقل، وأفهمه الخطاب ومكّنه من رد الجـواب، بحكم المقال والحال.

"ثم قال له: أقبل [أي على العقل] فأدبر كبراً وحسدا.
ثم قال له: أدبر [أي عن الجهل] فأقبل شقوة ونكدا".

فكان أمر الله له بذلك حُكماً لا حَتماً، وكانت[١] معصيته لأمر الله اختياراً لا إجباراً، وبه كني أبو جهل لأنه كان يكنى أبا الحكم، والحكم العقل، فلما اتصف بصفة الجهل في مقابلة العقل كناه الله به، وعلقه بسببه[٢]، فهو شريكه في ذم الله تعالى وغضبه.

ثم خلق النفس من نور العقل وظلمة الجهل، وأمزجة الطبع فهي بما فيها من نور العقل تعقل، وبما فيها من ظلمة الجهل تجهل، وبما فيها من أمزجة الطبع تحس.

فالعقل يدعوها بما فيها من النسبة إليه.
والجهل يدعوها بما فيها من النسبة إليه[٣].

فلما كانت دعوة العقل أخروية قدسية، مخالفة للملاذ الدنيوية الحسية، ودعوة الجهل طبيعية حسية، موافقة للملاذ الدنيوية الحسية، مالت إلى تلبية داعي الجهل ديناً ودنيا، وأعرضت عن داعي العقل ديناً ودنيا.

فسمى الله عز وجل كل فعل يطاع[٤] به الجهل، ويُعصى به العقل سيئة، وسمى الله[٥] كل فعل يطاع[٦] به العقل ويعصى به الجهل حسنة، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن

[١] هـ: فكانت.
[٢] هـ: بنسبه.
[٣] زاد في ب، م، هـ وهامش ق: والطبع يدعوها بما فيها من النسبة إليه.
[٤] هـ: يطيع.
[٥] لم يرد لفظ الجلالة في هـ، ق.
[٦] هـ: يطيع.

اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[1] أي لا تعبدوا الشيطان بفعل السيئة ومعصية العقل، "وأن اعبدوني "، أي بفعل الحسنة وطاعة العقل.

وعلى ذلك نقول:

إن الطاعة الجامعة لكل حسنة عقلية، داخلة في علم الله عز وجل ومشيئته، وإرادته ومحبته، ومدحه[2] ورضاه، خارجة عن كراهيته وذمه وغضبه.

وإن المعصية الجامعة لكل سيئة جهلية، داخلة في علم الله تعالى وكراهيته، وذمِّه وغضبه، خارجة عن مشيئته وإرادته، ومحبته ومدحه ورضاه.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الله تعالى حميد الذات، حميد الصفات، صفاته من ذاته، وإرادته من صفاته، يريد كل حميد قولاً وفعلاً وإرادة، ويكره كل ذميم قولاً وفعلاً وإرادة.

إرادته تتعلق بأمره، وأمره يتعلق برضاه، ورضاه يتعلق بثوابه، وكراهيته تتعلق بنهيه، ونهيه يتعلق بغضبه، وغضبه يتعلق بعقابه.

فمن عَلّل المعصية بالمشيئة، وسبَّبَها[3] بالإرادة، ولم يجعل للعبد مشيئة من شهوات نفسه، ولا إرادة من طبائع حسه، فقد تبَرّأ من لوازم ذنبه[4]، وجثا على ركب الجهل لمخاصمة ربه، وجعل المدح ذمّاً والعقوبة ظلماً، والأمر نهياً والنهي أمراً، والتمكين[5] قهراً والاختيار جبراً، والحبيب خصماً والعدو سلماً، ودخل في مقالة[6] أهل الإفك، من جاهلية أهل الشرك، حيث أخبر عنهم الرحمن بمحكم القرآن، وجعل مقالتهم كذباً وتكذيباً وظنّاً لقوله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم

---

[1] [يس: ٣٦/ ٦٠-٦١].

[2] هـ: ومدحته.

[3] أ: أشبهها، هـ: ونسبها.

[4] هـ: دينه.

[5] أ، ب، م، هـ: والتمكن.

[6] ق: مقابلة.

حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾[3].

هل قصدوا بذلك إلا تعليل ما هم عليه، وتسبيب[4] أفعالهم بإرادته، ليدحضوا الحجة، ويلبسوا واضح المحجة؟.

وهذا الاعتقاد- ممن يعتقده- كذلك الاعتقاد، لا فرق بينهما بصحة الانتقاد، وقد أخبرنا[5] الله عز وجل عمّا يريد من الخيرات، وعمّا يريد الذين يتبعون الشهوات، وعمّا يريد الشيطان من البغي والعدوان، وعمّا يريد الإنسان لنفسه، في[6] متابعة أهوية حسِّه، وذلك قوله تعالى:

- ﴿يريدَ الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[7].
- ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم. والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً. يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾[8].

---

[1] [الأنعام: ٦/ ١٤٨].
[2] [النحل: ١٦/ ٣٥].
[3] [الزخرف: ٤٣/ ٢٠].
[4] هـ وأصل ق: وتشبيه.
[5] ب، م: أخبر.
[6] ب، م: من.
[7] [البقرة: ٢/ ١٨٥].
[8] [النساء: ٤/ ٢٦-٢٨].

- ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[1].

فهذا[2] وما أشبهه في جميع القرآن، خبره عن جميع إرادته.

وقوله عز وجل فيما أخبر عن إرادة الشيطان وإرادة الإنسان:

- ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا ﴾[3].
- ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[4].
- ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾[5].
- ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾[6].
- ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾[7].

فهذا وما أشبهه في جميع القرآن، خبر الله عز وجل عن إرادته، الراجعة إلى محبته، وعن إرادة الشيطان الراجعة إلى عداوته، وعن إرادة الإنسان الراجعة إلى شهوته.

فأما قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾[8].

---

[1] [المائدة: ٥/ ٦].

[2] ابتداء من هنا غير موجودة في هـ إلى الحاشية (٧).

[3] [النساء: ٤/ ٦٠].

[4] [المائدة: ٥/ ٩١].

[5] [الأنفال: ٨/ ٦٧].

[6] [الصف: ٦١/ ٨].

[7] [القيامة: ٧٥/ ٥].

[8] [الأنعام: ٦/ ١٢٥].

فهذا وما أشبهه في جميع القرآن من الإرادة والمشيئة كقوله تعالى:

- ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾[1].
- ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾[2].

محمول على الجزاء لا على الابتداء فقط، يرجع تأويله إلى آيتين من المحكم:

إحداهما: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾[3]، أي فلا يتقون، فيضلهم الله جزاء منه لهم وغضباً عليهم. والآية الأخرى قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾[4]، أي يُغَيِّروا ما بأنفسهم من شكر النعمة فيبدلها نقمة.

وأما قوله تعالى:

- ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾[5].
- ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾[6].
- ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[7].
- ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾[8] وما أشبه ذلك في جميع القرآن..

فمعنى قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾: يعني ولو شاء ربك أن لا يُعْصَى، لقضى بالعصمة وأقضى، ولكن أمر بالطاعة ولم يعصم، ونهى عن المعصية ولم يحتم.

---

[1] [الأنعام: ٦/ ٣٩].

[2] [فاطر: ٣٥/ ٨].

[3] [التوبة: ٩/ ١١٥].

[4] [الأنفال: ٨/ ٥٣].

[5] [الأنعام: ٦/ ١٠٧].

[6] [الأنعام: ٦/ ١١٢].

[7] [الأنعام: ٦/ ١٤٩].

[8] [السجدة: ٣٢/ ١٣].

وأما معنى قوله تعالى: ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾. أي:

﴿فلله الحجة البالغة﴾: يعني عليكم بالتمكين والمهلة.

﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾: بالبرهان والعصمة.

وأما معنى قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ يعني بالبرهان والعصمة، ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[1]. يعني بالتمكين والمهلة.

وأما قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾[2]، وما أشبه[3] ذلك، فمعناه:

أن للعبد مشيئة سخيفة من جهة شهوته، والشهوة داعية الهوى، والهوى داعية المعصية.

ولله عز وجل مشيئة شريفة من جهة رحمته، والرحمة داعية الهدى، والهدى داعية الطاعة..

فظن من لا يعرف معاني القرآن، ولا يفهم مراد الرحمن، أن الفاسق داخل في مشيئة الله وإرادته، ما دام ينشأ منه الفسق ويريده، منتظراً لمشيئة وإرادة أخرى تأتيه من الله تعالى، فتنقله عن ذلك بغير طلب ولا سبب.

وهذا في نظر أهل المعرفة بالله صريح الإرجاء، المشير إلى الله تعالى بقبيح الإلجاء، ولم يعلم أن الله أراد بذلك قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[4]، ليسأله كافة عباده مما في خزائن فضله من خير الدارين، ويعوذوا به مما في خزائن عدله من شر الدارين.

---

[1] [السجدة: ٣٢/ ١٣].

[2] [التكوير: ٨١/ ٢٩].

[3] هـ وق: وما أشبهه فمعناه.

[4] [الحجر: ١٥/ ٢١].

فمن علم الله من حقيقة قلبه، حب الخير وكراهية الشر، شاء به الخير فحبّبه إليه فاتخذه سبيلاً، [وأعاذه من الشر، فكرّهه إليه فلم يتخذه سبيلاً][1].

ومن علم الله من حقيقة قلبه، كراهية الخير وحب الشر، شاء به الشر فحبّبه إليه فاتخذه سبيلا، ومنعه الخير وكرّهه إليه، فلم يتخذه سبيلا.

كما قال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾[2].

واعلم أن لله مشيئة وإرادة ترجعان إلى محبته وتمكينه، وتلك مشيئة الطاعة وإرادتها من كل مأمور عاقل متمكن من أحد الفعلين.

وأن له مشيئة وإرادة ترجعان إلى جبره وقهره، وتلك المشيئة المكونة للأشياء على ما يشاء بالقهر، المجرية لها على ما يريد بالجبر[3]، من كل ما لا يعقل ولا يتمكن من أحد الفعلين.

فلو شاء المشيئة القهرية، وأراد الإرادة الجبرية، أن يطيعه كل مأمور في ما أمر لأطاعه فقط، وأن لا يعصيه كل مَنْهِي فيما نهى لما عصاه فقط.

لكنه أمر وما قهر على فعل الأمر، ونهى وما جبر على ترك النهي وكل مطيع يجد الاختيار والتمكين في نيته وقوله وعمله للطاعة، ولا يجد الاضطرار ولا الإجبار، ومن أجل ذلك تقوم له[4] الحجة وتجب له المثوبة، وكل عاصٍ يجد الاختيار والتمكين في نيته وقوله وعمله للمعصية، ولا يجد الاضطرار ولا الإجبار، ومن أجل ذلك تقوم عليه الحجة، وتلزمه العقوبة.

---

[1] ما بين القوسين سقط من هـ.

[2] [الأعراف: ٧/ ١٤٦].

[3] ق: من الجبر، هـ: من جبر.

[4] هـ: به.

فصل

وأما القضاء الذي يلزمنا[١] العبارة عنه، والكشف عن مشيئة ما أشكل منه، فإنه على ثلاثة أوجه:

- قضاء علم.
- قضاء حكم.
- قضاء حتم.

فأما قضاء العلم: فهو العبارة الجامعة (لكل ما)[٢] سبق في أم[٣] الكتاب كَوْنُه، وقَدّر فيه[٤] وقته وأينه، وهو ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، من أقوال الخلق وأفعالهم ونيّاهم، وهو الإمام المبين، الجامع لأشكال الخلق أجمعين.

وأما قضاء الحكم: فهو[٥] ما قضى الله به في محكم كتابه من الأمر والنهي، والأحكام والحدود، والشرائع والسنن، وهو موقوف من كل مُكَلّف على الاختيار لا على الاضطرار والإجبار، كما قال تعالى:

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[٦].
﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾[٧].
﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا﴾[٨] وما أشبه ذلك.

وأما قضاء الحتم: فإنه ما قضى الله عز وجل به من خلق الخلق ورزقهم، وخيرهم وشرهم، ونفعهم وضرهم، وغناهم وفقرهم، وصحتهم وسقمهم،

---

[١] ق: تلزمنا.

[٢] أ: لما.

[٣] لفظ "أم" سقط من هـ.

[٤] سقط لفظ "فيه" من هـ.

[٥] ق، هـ: فإنه.

[٦] [الكهف: ١٨/ ٢٩].

[٧] [فصلت: ٤١/ ٤٠].

[٨] [الإنسان: ٧٦/ ٣].

وخصبهم وجدبهم، وحياتهم وموتهم[١]، وثوابهم وعقابهم، تدخل فيه الحسنة الدنيوية والسيئة، وتخرج عنه الحسنة الدينية والسيئة، وهو[٢] ما أراد الله عز وجل بقوله حيث أخبر عن الكفار:

﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾[٣].

لأن الكفار كانوا في جاهليتهم لا يعرفون الحسنة إلا صحة الجسم، وكثرة المال، وذكورة[٤] الولد، وخصب البلاد، وما أشبه ذلك، ولا يعرفون السيئة إلا مرض الجسم، وقلة المال، وإناث الولد، وجدب البلاد، وما أشبه ذلك.

فنسبوا كل حسنة تأتيهم مما هذا سبيله[٥] من الله فضلاً، ونسبوا كل سيئة تأتيهم مما هذا سبيله من النبي صلى الله عليه وسلم تطيُّرا.

كما أخبر الله تعالى في آية أخرى عن فرعون وملئه مع موسى صلى الله عليه وسلم بقوله:

﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾[٦]، يعني منه الحسنة التي جاءتهم فضلاً، ومنه السيئة التي أصابتهم عدلا.

فقال الله عز وجل لرسوله: ﴿قل كل من عند الله﴾[٧]، الحسنة فَضْلُه عليكم ونعمته، والسيئة عَدْلُه بكم ونقمته.

---

[١] أ، ب: ومماتهم.
[٢] أ، م، ب: وهما.
[٣] [النساء: ٤/ ٧٨].
[٤] هـ: وذكور.
[٥] هـ: سببه.
[٦] [الأعراف: ٧/ ١٣١].
[٧] [النساء: ٤/ ٧٨].

ثم علّلها عز وجل في آية أخرى[1] بقوله ليفرق بين عدله وفضله:

﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[2]، يعني ما أصابك من حسنة، فمن فضله عليك بغير سبب من نفسك، والسبب الاستحقاق، وما أصابك من سيئة، فمن عدله بك بسبب من نفسك، والسبب الذنب.

هذا مما خوطب به صلى الله عليه وسلم، والمراد أُمَّته[3]، يحقق ذلك قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم، ويعفوا عن كثير﴾[4].

وقد ذكر الله عز وجل الحسنة والسيئة، والخير والشر، في كتابه الكريم، على وجهين مشتبهين في اللفظ، مختلفين في المعنى:

أحدهما ما نسب[5] إلينا بقوله تعالى:

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[6].

﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾[7].

﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾[8].

﴿ومن جاء بالسيئة فكُبَّتْ وجوههم في النار هلً تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾[9].

---

[1] ب: في الآية الأخرى.

[2] [النساء: ٤/ ٧٩].

[3] هـ: منه.

[4] [الشورى: ٤٢/ ٣٠].

[5] ب، م: ما ينسب.

[6] [الأنعام: ٦/ ١٦٠].

[7] [يونس: ١٠/ ٢٧].

[8] [النمل: ٢٧/ ٨٩].

[9] [النمل: ٢٧/ ٩٠].

﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾[1].

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[2].

فهذه[3] حسنة وسيئة، وخير وشر، حملهن علينا وأضاف فعلهن إلينا، فاعلم ذلك.

وأما ما نُسب إليه من الحسنة والسيئة، والخير والشر، فقوله تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾[4].

﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾[5]. يعني بالخصب والجدب، والصحة والمرض، والغنى والفقر.

هذا مراده عز وجل في الآيتين جميعاً، فهذا وما أشبهه محمول عليه، منسوب في القضاء والقدر إليه.

وعلى ذلك نقول: إنه من اعتقد أن الله قضى بالمعصية حتماً فقد أجبر، ومن اعتقد أنه قضى بها حُكماً فقد جَوّر، ومن اعتقد أنه قضى بها علماً فقد نزه وكَبّر.

وأما القدر فإنه مشتق من التقدير لا من القدرة، وتفسير لفظه؛ تأريخ المعلومات وتعيينها[6] متى تقع، وكيف تقع، وأين تقع، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "كل شيء بقضاء وقدر، حتى العجز والكيس"[7]، أي بقضاء وقدر، معلوم أو محكوم أو محتوم، على ما ذكرنا أولاً.

---

[1] [القصص: ٢٨/ ٨٤].

[2] [الزلزلة: ٩٩/ ٧-٨].

[3] ق: فهذا.

[4] [الأعراف: ٧/ ١٦٨].

[5] [الأنبياء: ٢١/ ٣٥].

[6] أ، ب: وتعينها.

[7] م، هـ: والكسل.

ومن هاهنا نعلم ونعتقد أن الله قضى بالمعصية قضاء معلوماً، وقدّر كونها من فاعلها قدراً معلوما.

ولم يقض بها قضاء محكوماً، ولا قدّرها قدراً محتوماً، لأن قضاءه الحق والمعصية باطل، وحكمه العدل والمعصية ظلم، وحتمه الجبر والمعصية تمكين، والله أجلّ وأعظم وأعدل وأكرم من أن يعيب شيئاً أو يقبّحه أو يذمّه أو يغضب منه أو يعاقب عليه، وله شركة فيه بمشيئة أو إرادة أو قضاء محكوم أو قدر محتوم.

يحقق ذلك ما قال صلى الله عليه وسلم: "نية المؤمن أبلغ من عمله، [وقيل خير من عمله]، ونية الفاسق أبلغ من عمله، [وقيل شر من عمله]".

ومعنى ذلك أن الله عز وجل ينظر إلى مستديم نية المؤمن، فيعلم منه إرادة الإيمان قولاً وعملاً[1]، فيكتب له دخول الجنة بصالح عمله، ويكتب له الخلود فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين بصالح نيته.

ثم ينظر إلى مستديم نيّة الفاسق، فيعلم منه إرادة الفسق قولاً وعملاً، فيكتب له دخول النار بسيء عمله، ويكتب عليه الخلود فيها بسيء نيته.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بَيَّتَ طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يُبَيِّتون﴾[2].

﴿يستخْفون من الناس ولا يستخْفون من الله وهو معهم إذ يُبَيِّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا﴾[3]، يعني يستترون بما يظهرون لك وللناس من قول الإسلام وعمله، والله يعلم من قلوبهم خلاف ذلك من سوء النيات وقبيح الإرادات، فأجرى ذلك منهم مجرى القول، لأن النية نطق لسان القلب، والإرادة فعل معناه.

---

[1] أ، ب: وفعلا.

[2] [النساء: ٤/ ٨١].

[3] [النساء: ٤/ ١٠٨].

فالذّم والغضب واقعان على نيّة كل فاسق وإرادته وقوله وعمله، والمدح والرضا واقعان على نيّة كل مؤمن وإرادته وقوله وعمله، وبالله التوفيق.

وعلى الجملة إن الله عز وجل علّل المعصية بالشيطان بقوله تعالى: ﴿فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾[1].

وبقوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تَبيّن لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم﴾[2].

وسبّبها بالنفس بقوله تعالى:

﴿فطوّعت له نفسُه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾[3]، [من أجل ذلك][4].

وأدخلها في الكسب بقوله تعالى:
﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيما﴾[5].
﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يَرْمِ به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا﴾[6].
فإذا كان الله عز وجل غار وغضب من أن تَحْمل ذنبك على أخيك، أو تلجيه إليه أو ترميه به، وكيف لا يغار ويغضب من أن تَحْمِل ذنبك عليه أو تلجيه إليه، أو ترميه به؟

فاحذر العطب[7] فيما تريد به النجاة، واحذر النّشب فيما تريد به الخلاص[8].

---

[1] [البقرة: ٢/ ٣٦].
[2] [محمد: ٤٧/ ٢٥].
[3] [المائدة: ٥/ ٣٠].
[4] ما بين القوسين لم يرد في أ.
[5] [النساء: ٤/ ١١١].
[6] [النساء: ٤/ ١١٢].
[7] م، هـ: الغضب.
[8] ق، أ، ب: الإخلاص.

واقْتَد في تعليلها بأبيك آدم وكرام الرسل من ذريته، حيث علّلها بظلم نفسه، وسأل المغفرة لما اكتسب بخمسه، حيث قال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[1].

- وبذلك علّلها يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾[2].
- وبذلك علّلها يوسف عليه السلام بقوله: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾[3].
- وبذلك علّلها موسى عليه السلام بقوله: ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾[4]، ثم ردّها إلى ظلم نفسه بقوله: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾[5].
- وبذلك علّلها يونس عليه السلام بقوله: ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[6].
- وبذلك علّلها نبينا عليه الصلاة والسلام في دعائه بقوله: "عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

ولا تقتد في تعليلها بالشيطان في مقابلة الرحمن فتدخل في الخسران بقوله: ربِّ بما ﴿أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾[7]، فتخَبّط اللعين بجهله، فجاء عذره أقبح من فعله.

ويُروى عنه بلسان الحال ولسان المقال، ليلبس على الجهال، بما في مقالته[1] من المحال، أنه قال: أنا إبليسكم فمن إبليسي أنا.

---

[1] [الأعراف: ٧/ ٢٣].
[2] [يوسف: ١٢/ ١٨].
[3] [يوسف: ١٢/ ٥٣].
[4] [القصص: ٢٨/ ١٥].
[5] [القصص: ٢٨/ ١٦].
[6] [الأنبياء: ٢١/ ٨٧].
[7] [الأعراف: ٧/ ١٦].

فانظر إلى إشارته الدالة على عبارته، وانظر إلى عبارته الدالة على إشارته، كيف أضاف وألجا، ثم سأل المهلة والإرجاء، فهو إمام الملجئة والمرجئة في الإلجا والإرجاء.

فيا سبحان[2] الله العظيم، ما هذا السهو الشامل مع العقل الكامل، وما هذا الإشكال العام مع العقل التام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما قولِ موسى عليه السلام، الذي يحتج به سائر العوام، حيث يقول: ﴿إن هي إلا فتنتك تُضلُّ بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾[3]:

فاعلم- وفقك الله- أن موسى عليه السلام عبر بما في هذه الآية من الأقوال، عن أسرار عشرة أحوال، وذلك:

أنه لما هبط[4] من الجبل وجد قومه الذين اختارهم من قومه موتى قد أخذتهم الرجفة، فهاله ذلك فقال بلسان ما يوجبه العدل: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾.

- ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه العدل: ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا﴾.
- ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه التذلل: ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾.
- ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه الافتقار: ﴿أنت وليُّنا ﴾.
- ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه الاعتراف (وطَلب المغفرة)[5]: ﴿فاغفر لنا﴾.
- ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما توجبه المسكنة: ﴿وارحمنا ﴾.

---

[1] أ: بما في مقابلته من مقالته.

[2] هـ: سبحان.

[3] [الأعراف: ٧/ ١٥٥].

[4] م، هـ: أهبط.

[5] لم ترد في ق.

– ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه حسن الثنا: ﴿وأنت خير الغافرين﴾.

– ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه الخوف: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾[1]، يعني عصمة تحجزنا بها عن معصيتك.

– ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما يوجبه الرجاء: ﴿وفي الآخرة﴾ يعني رحمة توجب لنا بها دخول جنتك[2].

– ثم عطف عن ذلك فقال بلسان ما توجبه الإنابة: ﴿إنا هدنا إليك﴾[3] أي رجعنا[4].

فمن ذا يكون له عند الله ما لموسى، فيتذلل[5] في مقابلة الله تذلل[6] موسى، فافهم ذلك.

فإن قال قائل هل يكون في مُلْكِه ما لا يشاء، أو يقع[7] في سلطانه ما لا يريد، قلنا:

من طريق المشيئة والإرادة الراجع حكمهما[8] إلى القهر لا يكون.

ومن طريق المشيئة والإرادة الراجع حكمهما إلى التمكين يكون.

وعن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم قال: "كنت جالساً عند أبي، فقال له رجل يا بن[9] العباس:

---

[1] [الأعراف: ٧/ ١٥٥-١٥٦].

[2] أ، ب، م: الجنة.

[3] [الأعراف: ٧/ ١٥٦].

[4] هـ: رجعنا إليك.

[5] في أصل ق: فيتدلل.

[6] في أصل ق: بتدلل.

[7] هـ: ويقع.

[8] أ، ب، م، هـ: حكمها، وهي كذلك في المرة التالية.

[9] هـ: يا أبا العباس.

إن هاهنا قوماً يزعمون أنهم أُوتوا من قبل الله، وأن الله أجبرهم[1] على المعاصي. فقال: لو أعلم[2] أن هاهنا أحداً منهم، لقبضت على حلقه، فعصرته حتى تزهق نفسه[3] وروحه".

تم شرح العقيدة، والله الموفق[4]، (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)[5].

قصة إلى السلطان

بسم الله الرحمن الرحيم[6]

قابلك الله بإقبال رحب، بتأييد يحجبك عن الريب، ويبوئك أعلى معالي الرتب، ويوطيك رقاب العجم والعرب، وأطلع بك من[7] شموس الْمنّة، وبدور الفرض والسُّنَّة ما غرب، وقوّمَ بك من قضب الدين وأغصان اليقين ما انقضب[8]، وأخلف بك من عدل الخلافة ما درس وذهب، وأطفأ بك من نار الشرك وجمرات الإفك ما التهب.

خلّد الله ملكك.

في هذا الشهر المبارك صدقات، ووسائل من الخيرات[9] وقربات، فاجعل من صدقاتك –أيدك الله– فَكّ أسير يقال له علوان من جهة الظفر، له في السجن زمان،

---

[1] أ، ب: جبرهم.

[2] أ، ب: علمت.

[3] لفظ "نفسه" ليس في أ، م.

[4] هـ: والله الموفق للصواب.

[5] لم ترد الصلاة في ق.

[6] جاء بعد البسملة: مطالعة الفقير المحب في السلطان، الداعي له، أحمد بن علوان.

[7] أ، م: من عين شموس.

[8] ما انقضب: ما انقطع.

[9] ق: الخير.

شهد عليه شاهد زور، بأنه وجد كنـــزاً ليوقعه في محذور، فـأمر مولانـا الـسلطان باعتقاله في حصن تعز عن ظاهر مقاله.

وفي عدل مولانا السلطان لكل ملهوف ملاذ[1]، ومن كل شيطان معاذ[2]، مـن أن يأخذ بريئاً بغرض، لأجل سبب من الدنيا أو عرض.

فلهذا[3] المسجون والدة ضعيفة، قد قطع قلبها الحزن عليه، وضاعف كربها طول الاشتياق إليه.

وشفيعنا فيه إلى مولانا السلطان، وعدله الذي يطلب بـه وجـه الـرحمن، وعلمه الراسخ بالحديث والقرآن، وفضله الذي فضل به على كل سلطان بفك هـذا الأسير، وذلك عليه يسير.

أيّده الله تعالى ونصره، وأعلا أمره وأظهره، آمين، وصلى الله علـى سـيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قصة عن العطَّابة[4] بذي السمكر إلى السلطان الملك المظفر،

أقلاّ[5] العبيد العطابة بذي السمكر، يُقبِّلون الأرض ويستغيثون بالله العظـيم، وبعدل مولاهم العميم، من ظلم بَهَظهم[6] ثقله، وأطال[7] عليهم من ضـعفهم[8] حملـه، اعتمده الولاة والنوّاب بالجند المحروس، تكليفهم[9] شراء العطب الـسلطاني المقـيم، بأكثر من ثمنه المستقيم، وإكراههم على دفع الثمن قبل البيع بالترسـيم، فتـضاعفت

---

[1] أ، ب: ملاذا.

[2] أ، ب: معاذا.

[3] ق: ولهذا.

[4] العطّابة نسبة إلى العُطب وهو القطن وفي هـ: العصابة.

[5] أقلا بمعنى جماعة، وفي أ، م، هـ:أقل.

[6] بهظهم: غلبهم، وفي هـ: ينهظهم.

[7] أ، ب، م: وطال.

[8] أ، م: مع ضعفهم.

[9] هـ: وتكلفهم.

عليهم الحسرات حتى ضعفوا، وعجزوا عن القيام بحوائج أنفسهم وعسفوا، واستغاثوا فلم يغاثوا، واستنصفوا فلم ينصفوا.

وقد رفعوا قصتهم[1] إلى مولاهم وببابه وقفوا، ليكشف عن قضيتهم[2] قبل أن ينكشفوا، ويدفع عنهم هذه المظلمة التي بها قد تلفوا.

فهم بعدله عائذون، وبحسن نظره لائذون، خلّد الله سلطانه، ورفع في الدارين شأنه وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

فصل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون

- إنما الإسلام قربة لتجلي[3] الإيمان.
- وإنما الإيمان قربة لتجلي اليقين.
- وإنما اليقين قربة لتجلي العين.
- وإنما العين قربة لتجلي الحق.

فإذا تجلى الحق للعين، انطوى الإسلام في الإيمان، وانطوى الإيمان في اليقين، وانطوى اليقين في العين، فصار العبد والعبادة عيناً ناظرة ﴿إلى ربها ناظرة﴾[4]، تشرب الربوبية[5] وتسقيها العبودية نوراً، ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾[6].

تتفجر بأربعة أنهار ربانية، تفضي بمن شربها إلى أربعة أنهار جنانية:

---

[1] ق: قضيتهم.

[2] ق: قصتهم.

[3] هـ: ليتجلى، وهي كذلك في المرات التالية.

[4] [القيامة: ٧٥/ ٢٣].

[5] م: الربوبية حضراً.

[6] [الإنسان: ٧٦/ ٦].

- من ماء إسلام غير آسن (بنَتَنٍ كامن)[1].
- ومن لبن إيمان لم يتغير طعمه، بعرض مما يكرهه الله ويذمه.
- ومن خمر محبة لذة للشاربين، من المشتاقين إلى الله والمحبين.
- ومن عسل معرفة مُصَفّى من الشك والالتباس، فيه شفاء للناس.
- ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾[2]، ثمرات حكَم غالية، من شجرات همم عالية، تنبتها هذه الأنهار الصافية، في القلوب القدسية الإلهية، ومغفرة من ربهم لعظائم ذنبهم، لدوام ظمئهم إلى هذه الأنهار، وشربهم المحقق لإسلامهم وإيمانهم، ومعرفتهم وحبهم.

طوبى لهم من فتية كرام، وطوبى لحزبهم، ما أقرب ربهم منهم وما أقربهم من ربهم، تجلو لإخوانهم به وتَجَلّى لهم بهم، فتح لهم أبواب التأويل، بمفاتيح فهم التنزيل.

فهم في ﴿ظل ممدود﴾[3] من المعرفة ظليل، ﴿وماء مسكوب﴾[4] من الحكمة شاف للعليل، ﴿وفاكهة كثيرة﴾[5] من التفكر الطويل، ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾[6] من الرب الجليل، ﴿وفرش مرفوعة﴾[7] من الفعل الجميل. (الرجز)

طوبى لهم من فتية كرام	جازوا على الإسلام بالسلام
وأخلصوا الإيمان بالتمام	بالحج والصلاة والصيام
وباجتناب كثرة[8] الآثام	فرفعوا إلى المحل[1] السامي

---

[1] ما بين القوسين لم يرد في ق وفي م: أي غير نتن خبيث كامن.

[2] [محمد: ٤٧/ ١٥].

[3] [الواقعة: ٥٦/ ٣٠].

[4] [الواقعة: ٥٦/ ٣١].

[5] [الواقعة: ٥٦/ ٣٢].

[6] [الواقعة: ٥٦/ ٣٣].

[7] [الواقعة: ٥٦/ ٣٤].

[8] ق: كثر أو كبر فهي غير منقوطة.

وشـــاهدوا بـــأعين الأفهـــام … نـــور جـــلال هيبـــة المقـــام

فوقفـــوا بالنـــسك والإحـــرام … وكفتوا[2] الأيـــدي لـــدى الظـــلام

إلى صـــــدور جَمَّـــــة الغـــــرام … تحـــت أيـــادي جـــوده الجـــسام[3]

يـــــــستغفرون الله للأنـــــــام … وللنفـــــوس الغـــــرّة اللئـــــام[4]

فهل تـــرى ذا الفـــضل والإنعـــام … يـــــــردهم بخيبـــــــة وذام[5]

وهـــــو ولي الجـــــود والإكـــــرام … كـــــلا ورب البيـــــت والمقـــــام

فصل

السنون تنقسم بالشهور، والــشهور تنقــسم بالأيــام، والأيــام تنقــسم بالساعات، والساعات تنقسم بالأنفاس، وما وراء الأنفاس لا ينقسم ولا ينقاس[6].

فالعارفون مع الله عز وجل بما لا ينقسم، ومع الدنيا والآخرة بما ينقسم.

فإذا كانوا مع الله عز وجل بما لا ينقسم، دخل ما ينقسم من ساعاتهم فيمـــا لا ينقسم، ودخل ما لا ينقسم تحت سلطان نظر الرحمن:

فما حَسُنَ قبلـــه، وما قَـــبُحَ حَمَلـــه، وما نقص كفلـــه،

وما انقطع وصلَه، وما قـــلّ كثّـــره، وما صغر كبّـــره،

وما بؤس نضّره[7]، وما خبث طهّره، وما ساء غفـــره،

فيرفع[8] حسناتهم درجات، ويبدل سيئاتهم حسنات.

---

[1] أ، ب، هـــ: اليقين.

[2] أ: وكنفوا، ب: وكتفوا.

[3] ب: الحسام.

[4] أ، ب: الإيلام.

[5] الذامي: الهزيل والهالك، وفي م: المرام.

[6] ب، هـــ: يقاس.

[7] ق: نصره.

[8] أ، ب: فترجع.

أولئك الملتفتون[1] إلى الله بالكلية، الواقفون بين يديه بالعقلية، على بساط الأزلية القبلية، في مواقف دهرية، لا شرقية ولا غربية، ولا ذكرية ولا فكرية، تعمى فيها الأبصار، وتنسى فيها الأخبار، وتعفو فيها الآثار، وتطفأ فيها الأنوار، وتعقر[2] فيها الأغيار، وتبرز فيها الأسرار، لله الواحد القهار، فيغفر لها بلا استغفار[3]، ويعطيها بلا مقدار.

أولئك أخيار الأخيار، وأبرار[4] الأبرار، وخلفاء النبي المختار، بهم تنزل الأمطار، وبهم تغزر الأنهار، وبهم تخصب الأقطار، وبهم تثمر الأشجار، وبهم تمهل[5] الفجار والكفار، ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[6]. **(مجزوء الكامل)**

نظر الإله إليهم وإلى الذين لديهم

فرمى الذمام عليهم من بأسه وعليهم

فصل[7]

إن الله عز وجل تعَبَّدك بالتنزيل بداية وخبرا، وتعَبَّدك بالتأويل نهاية ونظرا، فأوّل ذلك:

- **تأويل التوحيد.**
- **ثم تأويل الإسلام.**
- **ثم تأويل الإيمان.**
- **ثم تأويل اليقين.**

---

[1] م: المقبلون.

[2] أ، ب، هـ: وتغور، وفي م: وتغير.

[3] م: بالاستغفار.

[4] م: وأبر.

[5] ق: يمهل.

[6] [الحشر: ٥٩/ ٢].

[7] ق: وقال أيضاً رضي الله عنه.

فلفظ التوحيد (لا إله إلا الله)، وتأويله تسعة وتسعون اسماً في القرآن، ويختص منها كل عبد على حدته بثلاثة أسماء، تلزمه المعرفة[1] والمراقبة والتقوى:

– أحدها اسمه العليم.

– والثاني اسمه السميع.

– والثالث اسمه البصير.

فتأويل الإسلام:

- إسلام قلبك من كل ما يغضب العليم من سوء الضمائر.
- وإسلام اللسان[2] من كل ما يغضب السميع من سوء البوادر.
- وإسلام الأركان من كل ما يغضب البصير من الكبائر والصغائر.

وتأويل الإيمان:

- أن تصدق بكل ما أخبرك القرآن.
- وأن تمتثل كل ما أمرك به من فرائض الأديان.

وأن تَنْتَهِ عن كل ما نهاك عنه من الزور والبهتان، والإثم والعدوان، والظلم والطغيان.

وتأويل اليقين: أن يقوم الخبر في نفسك مقام العيان، في كل ما أخلص به قلبك من الإيمان:

فتعبد الله كأنك تراه،

وترجو الثواب كأنك تراه، وتخاف العقاب كأنك تراه،

وتستعد للموت كأنك تراه، وتستعد للقبر كأنك تراه،

وتستعد للبعث كأنك تراه، وتستعد للحساب كأنك تراه،

وتستعد للميزان كأنك تراه[3]، وتستعد للصراط كأنك تراه،

---

[1] أ، ب، هـ: المعرفة بها.

[2] هـ: لسانك.

[3] هذه العبارة والعبارة التي تليها سقطتا من هـ.

فإذا لم يتفرع توحيدك وإسلامك وإيمانك ويقينك على هـذه الأصـول، لم يثمر لك في الدنيا والآخرة محصول[1]، ولم تفتح لك أبواب الجنة لـدخول، ولم تغلـق عنك أبواب النيران[2] لنـزول.

قال الله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾[3]، يعـني أمـة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر درجاتهم، في تفاوت صفاتهم، (فقال)[4]: ﴿فمنهم ظالم لنفسه، ومنـهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾[5].

- فالظالم لنفسه: هو الذي قرأ وما درى، ومرّ على القرآن كأنه لا يـسمع ولا يرى، فإذا لاح له شيء من الدنيا وثب عليه واجترى؟.
- وأما المقتصد: فهو الذي اتبع الأوامر، واجتنـب الكبـائر، وسـعى بقـدم الاقتصاد، في طاعة رب العباد.
- وأما السابق بالخيرات: فهو الذي اتخذ التنـزيل سلماً إلى التأويل، فقـام في نفسه الخبر مقام العيان، فشاهد الرحمن فسأله الرضوان[6]، وشاهد الجِنـان فخطـب الحور الحسان، وشاهد النيران فلاذ بالعفو والغفران.
- فالسابق بالخيرات يطير.
- والمقتصد على مَهَلٍ يسير.
- والظالم لنفسه على خطر كبير.

فصل

ضاقت عن الله قلوب، واتسعت له قلوب.

---

[1] أ، ب، م: بمحصول.

[2] ب: النار.

[3] [فاطر: ٣٥/ ٣٢].

[4] اللفظ لم يرد في أ، ق.

[5] [فاطر: ٣٥/ ٣٢].

[6] هـ: رضوان.

فأما علامات[1] القلب الذي ضاق عن الله فإنه:

- **ضاق عن الطاعة ففسق وفجر.**
- **وضاق عن السائل فزجر ونهر.**
- **وضاق عن اليتيم فظلم[2] وقهر.**
- **وضاق عن الأهل فقَتَر وأساء.**
- **وضاق عن الجار فما احتمل ولا واسى.**
- **وضاق عن القرابة فما واصل ولا واتى[3].**
- **وضاق عن الصاحب فما ناصح ولا وافى.**
- **وضاق عن العامة فما نصح[4] ولا دارى.**

وأما علامات القلب الذي اتسع لله فإنه:

- **اتسع للطاعة فائتمر وانتهى[5].**
- **واتسع للسائل فأكرم وأعطى.**
- **واتسع لليتيم فأطعم وسقى.**
- **واتسع للأهل فأحسن المعاشرة وأرضى.**
- **واتسع للجار فاحتمل وواسى.**
- **واتسع للقرابة فواصل وواتى[6].**
- **واتسع للصاحب فناصح ووافى.**
- **واتسع للعامة فنصح[7] ودَارَى.**

---

[1] ق، هـ: علامة.

[2] هـ: فطار، أ، ب: فظلمه.

[3] أ، م، هـ: فما وصل ولا أتى.

[4] ق، هـ: ناصح.

[5] هـ: ونهى.

[6] أ، هـ: فوصل وأتى.

[7] ق: فناصح.

وشاهد ذلك قوله تعالى:

- ﴿فمن يُرِد الله أن يَهْدِيَه يشرح صدره للإسلام﴾، أي يوسعه لمحاسن[1] الأخلاق، فيرحمَ الخلق ويطيعَ الخلاق.

- ﴿ومن يُرِد أن يُضِلّه يجعل صدره ضيقاً حرجا﴾: فلا يرحم الخلق، ولا يطيع الخلاق.

- ﴿كأنما يَصّعد في السماء﴾، أي تشق عليه الطاعة والجود، كما يشق عليه صعود عقبة كئود.

- ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾[2]، والرجس هو التضييق، وعلامته عاجل عقوبة من الله في الدنيا لشرار عبيده.

والهدى هو الشرح، وعلامته عاجل مثوبة من الله تعالى في الدنيا لخيار عبيده.

جعلنا الله وإياكم والمسلمين جميعاً ممن شرح صدره للإسلام، فسلم في الدنيا من الأنام[3]، وفي الآخرة من الآثام[4].

وأعاذنا وإياكم من الرجس الموقع في الدنيا بالأنام[5]، وفي الآخرة بالآثام[6] آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم.

---

[1] م: بمحاسن.

[2] [الأنعام: ٦/ ١٢٥].

[3] ب، م: الآثام.

[4] ب، م: الانتقام.

[5] ب، م: بالآثام.

[6] ب، م: بالانتقام.

الفهارس

الصفحة

الصفحة

- من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومـن توضـأ ولم يـصلّ ركعتين فقد جفاني، ومن صلّى ركعتين ولم يدعني فقد جفـاني، ومن دعاني ولم أجبه فقد جفوته، ولست برب جـاف.[ذكـره الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في كتابه "العبادلـة" بلفـظ: "إذا توضأ عبدي ولم يصلّ فقد جفاني، وإذا صـلّى ولم يـدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوتـه ولـست بـرب جاف، ولست برب جاف، ولست برب جاف"، وذكـر أنـه حدثه بهذا الحديث الشيخ عبد الوهاب بن علـي بـن سـكينة برباطه ببغداد سنة ٦٠١هـ (العبادلة، ص١٧٢)]. ٣٢٠
- ليس شيء يسعني ويسعني قلب عبـدي المـؤمن.[أخرجـه الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه.. واللفظ ضمن حديث طويل: "... فقال الله: إن السماوات والأرض ضـعفن عـن أن يسعنني، ووسعني قلب عبدي المؤمن"]. ٣٣٨

الأحاديث النبوية الواردة بالكتاب

الصفحة

عنه واللفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حاكياً عن ربه تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر في قلب بشر"].

- أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك.[أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس واللفظ: "أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك"]. ٢٥٠
- أتدخل الجنة بعملك؟.. قال: بل برحمة الله.[رواه البخاري في كتاب الرقاق باب القصد والمراوحة على العمل، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله. واللفظ: "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا إلا أن يتداركني الله برحمته، فقاربوا وسددوا واغدوا وروحوا بشيء من الدلجة والروحة تبلغوا"]. ٢٥٠
- تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق، فإنكم لن تقدروا الله حق قدره.[ذكره الزين العراقي في تخريج الإحياء فال:أخرجه أبو نعيم في الحلية مرفوعا بإسناد ضعيف ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب واللفظ: "إن قوم تفكروا في الله عز وجل فقال النبي (ص): تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره"]. ٢٥١
- إن قوما يؤمر بهم إلى الجنة فيقولون: إلهنا وسيدنا ما عبدناك للجنة، فيجرون إليها بالسلاسل.[رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبخاري وأبو داود والإمام أحمد في مسنده ولفظ الإمام البخاري: "عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل"]. ٢٥١

الصفحة

- لما خلق الله الخلق وفرغ منهم، قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال تبارك وتعالى: مه. فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. فقال تعالى: أما يكفيك أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك.[رواه البخاري في صحيحه ج/٦،ص١٣٤ وفي كتاب التوحيد وكتاب الأدب، وأخرجه مسلم في الأدب والنسائي في التفسير واللفظ: "خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال لها: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك. قالت: بلى يا رب. قال: فذاك لك"]. ٢٥٩
- الرحم شجنة من الله تعالى.[رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب: إني قطعت، يا رب: إني أُسيْءَ إليّ. يا رب: إني ظلمت. يا رب يا رب... فيجيبها: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك]. ٢٥٩
- كل نسب وسبب منقطع إلا نسبي وسببي. [ذكره الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث جاء فيه قوله (ص) بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، إن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وإن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة]. ٢٦٠
- أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه. ٢٧٦
- أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر. [قال الحافظ العراقي في كتابه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار أنه أخرجه الطبراني في ٢٨٩

الصفحة

الأوسط من حديث أمامة، وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين واللفظ: "إن الله لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أشرف منك، فيك آخذ وبك أعطي"].

- من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فالنار أولى به. [أخرجه أبو الفتح الأزدي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا واللفظ "من أتى عليه الأربعون سنة فلم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار"]. ٣٠٥
- رحم الله امرؤا سمع مقالتي فوعاها، وبلغها إلى من يسمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع. [ذكره الزين العراقي في تخريجه الإحياء قال: أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والترمذي وابن ماجه، واللفظ: "نضر الله امرؤا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها"]. ٣١٠
- الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. رواه البخاري ومسلم وأبو داؤد وأحمد في مسنده وفيض القدير برقم ٣: ١٧٥ والتمييز ١٨ والدرر برقم ١٥ وكشف الخفاء برقم ٣١٥ وأسنى المطالب ٤٢٩ والجامع ٣٠٥٠ وصحيح الجامع ٢٧٦٥ وتخريج المشكاة ٥٠٠٣ والأزهر ا- ١٩٤ وتاريخ بغداد ٣: ٣٢٩ ومسند القضاعي ٥٠ ٣١١
- طلب الحلال فريضة على كل مسلم. [أخرجه البيهقي من الطبراني.. وفيه ضعف، واللفظ: "طلب كسب الحلال فريضة"]. ٣١٣
- إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف. [رواه الطبراني في الكبير والأوسط.. وفيه ضعف واللفظ: أن الله يحب المؤمن المحترف]. ٣١٦

الاستشهاد بالأقوال والمرويات الواردة عن الأنبياء والصالحين

الصفحة

١٠ وعن علي بن عبد الله بن العباس رضـــي الله عنـــهم قال: كنت جالسا عند أبي، فقال له رجـــل يـــا بـــن العباس: إن ها هنا قوما يزعمون أنهم أوتوا من قبـــل الله، وأن الله أجبرهم على المعاصي. فقال: لو أعلم أن ها هنا أحدا منهم، لقبضت على حلقه، فعصرته حـــتى تزهق نفسه وروحه. ٣٦٥

فهرس القصائد

٣٢ طوبى له من عليل	بالسلسبيل	١٣	٣٢٣
٣٣ لساني كليل	قليل	١٠	٢١٦
٣٤ ومن ذا في هوى ليلى كقيس	كليلى	٢	٢٢٢
قافية الميم:			
٣٥ أخي كم أخ نام عن حزمه	عزمه	١٠	٣٢٩
٣٦ أمعلم الكرم الكرام	النعم	٢٢	١٩٣
٣٧ خالط لحمي وجوده ودمي	قدمي	٢	٢٠٥
٣٨ زمان يضحك السفهاء منه	الحليم	١	٢٢١
٣٩ طوبى له من رجل كريم	العظيم	٨	٢٤٠
٤٠ طوبى لهم من فتية كرام	بالسلام	٩	٣٦٩
٤١ نظر الإله إليهم	لديهم	٢	٣٧١
٤٢ نفس جرى بنسيمكم	سليمكم	٧	١٢٥
قافية النون:			
٤٣ إذا المعاني هي المغاني	ثان	٥	٢١٥
٤٤ خاطب المحبوب قلبا شجنا	حسنا	١٦	٢٣٧
٤٥ خطابك يشفيني ووجهك يكفيني	الدين	٢٢	٣٢٤
٤٦ فلو طعمت طعام الطاعمينا	هنينا	١٢	٢١٣
قافية الهاء:			
٤٧ شربوا هواه	ما هو	٥	٢١٢
٤٨ فاقتضى الحق مقتضاه	منتهاه	٩	٢١٤
		٦١٥	

فهرس التقديم والترجمة

الصفحة

فهرس مواضيع الباب الأول

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس مواضيع الباب الثاني

الصفحة

الصفحة

فهرس مواضيع الباب الثالث

الصفحة

الصفحة

مراجع التحقيق

١. القران الكريم.

معاجم وموسوعات:

٢. التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية (ج/٢،١)، تأليف اللواء محمد مختار باشا، تحقيق وتكملة الدكتور محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،ط/١-١٩٨٠م.

٣. مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي.

٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي. طبعة ثانية- دار الفكر.

٥. المنجد في اللغة والأعلام- طبعة (٢٧).

تصوف:

٦. العبادلة، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، ط/أولى ١٣٨٩هـ، مكتبة القاهرة، مصر.

٧. الفتوح للشيخ أحمد بن علوان.تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، ط/ثانية ١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر، لبنان.

٨. المواقف والمخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النفري، طبع بعناية وتصحيح واهتما آرثر يوحنا أربري، محاضر بالجامعة المصرية، زميل كلية بمبروك في جامعة كمبردج سابقا، مكتبة المتنبي- القاهرة.

تاريخ وتراجم:

٩. الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان، للقاضي شمس الدين بن عبد الصمد الموزعي، تحقيق الأستاذ عبد الله محمد الحبشي منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد- ٤.

١٠. تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تأليف شمس الدين محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي.

١١. تاريخ اليمن، المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تـأليف تـاج الـدين عبدالباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق مـصطفى حجـازي عـام ١٩٦٥، إصدار دار العودة- بيروت ودار الكلمة صنعاء.
١٢. تاريخ اليمن خلال القرن ١١هـ، المعروف بطبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تأليف عبد الإله بن علي الوزير، تحقيق محمد عبد الرحيم جـازم مركز الدراسات والبحوث اليمني الطبعة الأولى- ١٩٨٥م.
١٣. جامع كرامات الأولياء (ج/٢،١) تأليف القاضي يوسف بـن إسماعيـل النبهاني، إصدار المكتبة الشعبية، تحقيق إبراهيم عطوة عـوض-ط/٤، عـام ١٩٨٣م.
١٤. السلوك في تاريخ العلماء والأولياء والملوك (المعروف بتـاريخ الجنـدي) للقاضي أبي عبدالله بهاء الدين محمد بـن يوسـف بـن يعقـوب الجنـدي السكسكي الكندي (ج/٢،١) "مخطوط بالهيئة العامة للآثار ودور الكتـب بصنعاء، تحت رقم (٢٤٩٦)".
١٥. السلوك في تاريخ العلماء والأولياء والملوك (المعروف بتـاريخ الجنـدي) للقاضي أبي عبدالله بهاء الدين محمد بـن يوسـف بـن يعقـوب الجنـدي السكسكي الكندي (ج/٢،١) "مخطوط بالهيئة العامة للآثار ودور الكتـب بصنعاء، تحت رقم (٢٤٩٧)".
١٦. السلوك في طبقات العلماء والملوك (المعروف بتاريخ الجندي) للقاضـي أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقـوب الجنـدي السكـسكي الكندي (ج/٢،١) تحقيق القاضـي محمـد بـن علـي الأكـوع، ط/أولى ١٩٨٣م- وزارة الإعلام والثقافة.
١٧. صفة جزيرة العرب، للسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمـداني، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع. مركز الدراسات والبحوث الـيمني، ط/ ثالثة ١٩٨٣م.
١٨. الصوفية والفقهاء في اليمن للأستاذ عبد الله محمد الحبشي ط/ أولى.

١٩. طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، تأليف العلامة أحمد أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي، إصدار الدار اليمنية للنشر والتوزيع. ط/أولى ١٩٨٦م.
٢٠. طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تأليف العلامة المؤرخ عبدالوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني، تحقيق الأستاذ عبد الله محمد الحبشي. مركز الدراسات والبحوث اليمني/ الطبعة الأولى.
٢١. طبقات فقهاء اليمن، تأليف. عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق فؤاد سيد دار القلم- بيروت.
٢٢. طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تأليف الملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي.
٢٣. العسجد المسبوك في من تولى اليمن من. الملوك،. للشيخ. علي بن الحسن الخزرجي، إصدار وزارة الإعلام والثقافة- ط/ ثانية عام ١٩٨١م.
٢٤. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، للشيخ علي بن الحسن الخزرجي، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع- مركز الدراسات والبحوث اليمني ط/ ثانية ١٩٨٣م.
٢٥. معجم البلدان والقبائل اليمنية، جمع إبراهيم المقحفي الطبعة الأولى، تحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع.
٢٦. مناقب شيخنا القطب الأعظم الفرد الجامع عبد الهادي محمد بن علي السودي، لحفيده عبد الرحمن بن عبد القادر السودي، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب.ط/أولى ١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر، لبنان.
٢٧. الموسوعة العربية الميسرة، صادرة عن دار الشعب بمصر ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بإشراف محمد شفيق غربال صورة طبق الأصل من طبعة عام ١٩٦٥م.

فهرس عام

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب

٤/ ١٩٩١م